

رسالة المعلم

إسلامية ثقافية شاملة

السنة الأولى - العدد الثالث - رجب ١٤٢٦ هـ - أغسطس ٢٠٠٥ م

• حوار مع سماحة الشيخ باقر الحواج

• إله أم نبي؟! المسيح بين القرآن والإنجيل

• اعرف نفسك أولاً قبل كل شيء

• الغيبة وآثارها في الحياة الإنسانية

• نسب الروح ونسب الدم

• الرجل والمرأة في كفتي العقل والعاطفة

• في رثاء شهيد المحراب



رسالة المعلم
إسلامية ثقافية شاملة

د. والثلة وما يحيون

رسالة المعلم

إسلامية ثقافية شاملة

فصلية تصدر عن

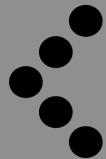
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية

رئيس التحرير:
غازي عبد الحسن
aboab@hotmail.com



كتابات



التبلیغ بین العمل الفردي والمؤسساتي

(٥) حوار مع سماحة الشيخ باقر الحجاج (حاوره: سعيد حسن المادح)

إله أم نبى؟! المسيح بين القرآن والإنجيل (القسم الأول)

(١٤) فاضل عبد الجليل الزاكى

اعرف نفسك أولاً قبل كل شيء

(٤٨) ياسر ميرزا الحوري

الرؤية الكوئية

(٧٠) محمود عاشور عبد علي

حقيقة العصمة

(٧٥) محمد باقر خليل الشيب

الغيبة وأثارها في الحياة الإنسانية (القسم الأول)

(٨٩) عبد الله علي الدفاق

التوبة

(١٢) محمود حسن غلوم

قضية فدك

(١٢٩) محمد إبراهيم المبشر

الرجل والمرأة في كفتي العقل والعاطفة

(١٦٥) علي أحمد الكربيادي

فن الالقاء

(١٧) سيد عباس جعفر شير

أخبار المشاهدة (القسم الثاني)

(١٨٥) محمد علي العربي

مقدمات لعلم الفقه

(١٩٩) حسن عبد الله احمد القصاب

في رثاء شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم (رحمه الله)

(٢١٣) علي عبد الحسين البنى

الهوية الحقيقية

(الإسلاميون) هم خلفاء الله في أرضه، دستورهم القرآن الكريم، وقائدهم رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم (وهو الإسلامي الأول)، وظيفتهم هي وظيفة الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، لا وهي هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتحقيق الحكم الإلهي.. ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون)) [إمائدة ٤٥]، ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون)) [إمائدة ٤٤]، ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون)) [إماءدة ٤٧]، أي أن الإنسان الذي يتذكر حكم الله مع علمه بحقيته، هو في المأذور القرآني [كافر، ظالم، فاسق]، وعلى هذا، فالإسلاميون الحقيقيون هم الذين يؤمنون بحكم الله، ويرفضون كل منهج وأدوات لا تلتقي مع حكم الله، وأما من تلفظ بالشهادتين ووضع القرآن فوق الرفوف وأخرجه إذا استلزم الأمر لتلاوته فوق القبور، وتعامل مع الله (عز وجل) بين جدران المسجد، فهذا مسلم في إطار الظاهري، ولكنه لم يستوعب الدين الإسلامي في مفهومه الشامل والكامل.

إذن، عدم الاعتقاد بما يتباين مع المنهج الإسلامي وأدواته ليس منقصة، بل هو من كمال الإيمان بالله (عز وجل)، وإذا رفع بعض الإسلاميين شعارات كالديمقراطية أو المجتمع المدني أو غيرها في بعض الواقع - لا عن اعتقاد - ، فليس باعتبار أنها (الأخير)، بل الخط الثالث دسالة القلم ٣

باعتبارها الأطروحات الممكنة بحسب البيئة المعاشرة و (الأقل سوءاً)، حيث أنها - في الأعم الأغلب - لا تلتقي مع الإسلام في مفهومها الثقافي والفكري، ولكن ربما تلتقي مع الإسلام من حيث الأسلوب في بعض الواقع والظروف، وهذه ميزة كبرى تسجل للدين الإسلامي في أبعاده الشمولية. فكم هو جميل أن يعيش الإنسان المسلم غيوراً على دينه وإسلامه، وأجمل من ذلك هو أن تنطلق تلك الغيرة عن وعي ومعرفة بقيم الإسلام ومبادئه السماوية السمحاء، فيعيش الفرد المسلم - حينئذ - فدائياً لإسلامه ودينه وقيمه، باذلاً عقله وقلبه وروحه وفكرة وقلمه ودمه، من أجل رفع راية الإسلام خفاقة في ربوع المعمورة، ولا يتاتى ذلك إلا بالرجوع إلى الثقلين اللذين لن يفترقا أبداً حتى يردا الحوض على رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله) ومنقذ الأمة من التيه والضلal.

رئيس التحرير

التَّبَلِيجُ ..

بَيْنَ الْعَمَلِ الْفَرْدَىِ وَالْمَؤْسَاتِىِ

حوار مع: سماحة الشيخ باقر الحواج

حاوره: سعيد حسن المادح

﴿الَّذِينَ يُلْغُونَ رَسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (١).

كَهـ نلتقي في هذا الحوار المتجدد لنسلط الضوء على جنبة من جنبات الوظيفة الأساسية لطالب العلم، ألا وهي تبليغ الرسالة الإسلامية. وهذا الموضوع متشعب جداً، ولكن ارتأينا أن نتناول جانباً مهماً منه اغتناماً لفرصة المتابعة.

فكان الحديث عن التبليغ بين العمل الفردي والمؤسساتي مع شخصية مخضرمة في هذا المجال.

فسماحة الشيخ باقر الحواج قد زاول التبليغ الفردي شأنه شأن أغلب العلماء في الحقبة الماضية، وأيضاً هو يزاول حالياً العمل المؤسساتي من خلال إدارته لواحدة من أكبر المؤسسات التبلغية في البحرين. لكن في الحقيقة لم تستكمل الحوار نظراً لضيق وقت سماحته، حيث

زاحمناه في سفره إلى مدينة قم المقدسة، وهو مع ذلك لم يدخل علينا بشطر من الإجابات القيمة، فلا يسعنا إلا أن نشكره على سعة صدره وتفاعله.

● لكل من العمل الفردي والمؤسسي إيجابيات وسلبيات، بنظركم ما هي أهم تلك السلبيات والإيجابيات؟

▣ سؤالكم يسلم أو يفترض وجود سلبيات للعمل المؤسسي ولعل ذلك نتيجة بعض التجارب غير الموفقية، حيث أخفقت بعض المؤسسات في تحقيق أهدافها ، أو نتيجة ما يجده البعض من أعمال وإنجازات قامت على جهود فردية. ومع كل ذلك فالتسليم بأن العمل المؤسسي له سلبيات أمر غير واضح إن لم يكن غير صحيح، وذلك لأمرتين:

الأول: التطبيق الخاطئ لا يقلل من القيمة الذاتية للعمل المؤسسي، وفشل التجربة لا يدل على فشل الفكرة والنظرية، وهذه مسألة سيالة في أمور كثيرة، فكثيراً ما يقع بون شاسع بين النظرية والتطبيق ثم حين تفشل التجربة ولا تتحقق الأهداف المرسومة تُحاكم النظرية! وهذا خطأ. علماً بأن التطبيق إما خاطئ أو ناقص لم يتتوفر على كل عناصر وقيود النظرية خارجاً.

سأذكر لكم مثالاً: هناك أعمال وبرامج يقولون عنها أنها عمل مؤسسي، ومنطلقة من مؤسسة، وتُلبّس هذا اللباس، وفي الواقع إن روح الفردية والذاتية هي التي تحكمها. وعندما تفشل يُتّهم العمل المؤسسي مع أنه من الأساس والبداية عمل فردي.

الثاني: التجارب الموفقية والنتائج الباهرة وفي حقول شتى للعمل

المؤسساتي، وما النقلة النوعية التي يشهدها العالم، والتطور السريع، إلا وراء ثقافة العمل المؤسساتي التي تنطوي على احترام التخصصات - والكلام هنا في الأعم من المؤسسات الدينية - إذن فالتجربة والواقع لها رأي آخر والتجارب الفاشلة ليست بشيء أمام التجارب الناجحة.

التسليم بأن العمل المؤسساتي له سلبيات أمر غير واضح إن لم يكن غير صحيح

أعود إلى أصل السؤال.. ما هي إيجابيات العمل المؤسساتي؟
أولاً: بما أن العمل المؤسساتي هو اجتماع أفراد تحت مظلة واحدة، وبذل جهود منسقة وموجهة نحو تحقيق أهداف معينة ومحددة. ففي إسلامنا وثقافتنا ما يدعو ويرغب إلى مثل هذا الاجتماع، بل تجدون أن الترغيب في الاجتماع يصل حتى إلى العبادات.. الإسلام يعطي قيمة للصلة جماعةً مع أنها علاقة خاصة بين العبد وربه، أي علاقة ثنائية، وفرضية الحج كذلك يطلبها في موسم محدد ومكان محدد، أي بشكل جماعي.. وهناك مفردات أخرى يمكن أن تكون شواهد.

وهذه في الحقيقة تربية إسلامية رائعة، فحين تشير الروايات إلى أن المعطيات والآثار المعنوية الكاملة للعبادات تتوقف على اجتماع والتقاء وأداء جماعي فهي من جهة أخرى تنمّي الإحساس بوجود الآخر وطاقة الآخر، وأنك جزء ولست الكلّ.

إذا كان ذلك في مجال العبادات فكيف إذن في مجال العمل الاجتماعي والثقافي، فصرح القرآن يدعو إلى التعاون.
أما الإيجابيات اختصاراً فهي:

١. إيجاد برامج ومشاريع مدرستة وغير مرتجلة، فالمشروع وقد شارك في صياغته ودراسته أكثر من عقل، يختلف عن المشروع الذي صاغه ودرسها عقل واحد.

٢. استمرارية العمل، فالعمل المؤسساتي يتميز في العادة بالنفس الطويل والاستمرارية، وعدم توقفه على فرد، وغياب الفرد لا يعطل المشروع. وهذا بخلافه في العمل الفردي.

٣. تعزيز التخصص، فالمناخ والمكان المناسب لتعزيز ثقافة التخصص هو المؤسسة والعمل المؤسساتي.

٤. توفير الوقت.
٥. تنسيق الجهود.

المشروع وقد شارك في
صياغته ودراسته
أكثر من عقل،
يختلف عن المشروع
الذي صاغه ودرسها
عقل واحد.

وأجد مثلاً حياً لإسقاط الإيجابيات المذكورة، وهو هذه المجلة الوليدة، أعني (رسالة القلم) .. فهل كانت ستخرج بهذا الشكل لو لا التنوع في الوظيفة وتنسيق الجهود.. وهل.. وهل؟
بالطبع لا.

أما سلبيات العمل الفردي، فقد اتضحت من خلال ذكر إيجابيات العمل المؤسسي.

**(رسالة القلم) هل كانت ستخرج بهذا الشكل
لولا التنوع في الوظيفة وتنسيق الجهد..**

● المؤسسة التبليغية لها خصوصية تختلف بها عن باقي المؤسسات.. حيث أنها تمثل بؤرة للدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإلى القيم والأخلاق الفاضلة، فهي ليست كباقي المؤسسات التي تخضع في نجاحها وفشلها إلى مجرد قوة الإدارة والنظام وما شابه. بنظركم ما هي أهم المقومات الأخلاقية والدينية التي تكفل نجاح المؤسسة في أداء رسالتها الإلهية؟ وكيف يمكن أن تترجم تلك المقومات بشكل عملي في واقع هذه المؤسسة؟

▣ كما تفضلتم، هناك خصوصية للمؤسسة التبليغية الدينية، ولا يكفي الاطلاع على علم الإدارة أو التوفير على التجربة والخبرة الإدارية لنجاح المؤسسة الدينية، وإنما تنضاف لذلك شروط أخرى، منها:

١. أن يكون المنطلق للتأسيس والحاكم على عمل المؤسسة هو تقوى الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ
بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ
وَرَضْوَانٍ﴾ (٢).

خِلُوصُ نِيَةِ الْقَائِمِينَ
يَعْطِيُ الْمُؤْسَسَةَ قُوَّةً
وَمَتَانَةً وَمَصَدَّاقَيْةً.

فخلوص نية القائمين يعطي المؤسسة قوة ومتانة ومصداقية. إذن

فالكفاءة الإيمانية والتدين شرط مهم.

٢. الوزن العملي والثقافي يشكل عاملًا من عوامل نجاح المؤسسة، وكلما كان المؤسس أو من يدير المؤسسة من الوجوه المعروفة في هذا الجانب فذلك يعطي ثقلًا للمؤسسة، ويؤدي إلى قناعة الناس بالمؤسسة وبرامجهما.

٣. درجة وعي القائمين على المؤسسة، ولذلك دخل في تحديد البرامج والمشاريع والأولويات. ووجود هذا الأمر يجنب المؤسسة والكثيرين من المشاكل والانشغال بما لا يهم ولا ينفع المجتمع.

٤. روحية التطوع، ومهما قيل من أن الحوافز المادية ضرورية للعمل المؤسسي إلا أن ذلك لا يلغى فاعلية وأهمية هذا الشرط.. العمل الديني لا يحسب بالساعات والدقائق حتى يقدر ثمنه على أساس ذلك..

نعم، يؤمن هذا الجانب وتغطي حاجة العامل والمؤسسة ولكن ليس بالطريقة الموجودة في المؤسسات الأخرى. ولو أن الدعوة إلى الله والعمل الديني توقف على المقابل المادي لما قامت للإسلام قائمة. فالتطوع لعب دوراً في الماضي ولا زال.

● سؤالان: ماذا ينتظر المجتمع من المؤسسة التبليغية؟

وماذا تنتظر المؤسسة التبلديّة من المجتمع؟

- المجتمع يتضرر من المؤسسة ببرامج ومشاريع قائمة على دراسة وتحطيم.. المجتمع يتضرر مشاريع تلامس همومه وتقدم حلاً لما يعانيه.. يتضرر ببرامج خلقة تساهم في خلق مناخ وأجواء إيمانية.. يتضرر ببرامج تلتحق الانحراف الذي يهدد سلوكيات وأخلاقيات أبنائه.

أما المؤسسة فتنتظر من المجتمع أن يؤمن ويقنع بالعمل المؤسسي، وما لم يكن ذلك فالفاصلة تكون كبيرة.. المؤسسة تنتظر الدعم مادياً ومعنوياً.. تنتظر رفدها ببطاقات كفوءة وواعية.. تنتظر التواصيل والتفاعل مع برامج ومشاريع العمل المؤسسي.

● استقلالية أي مؤسسة تشكل عنصراً أساسياً في حفظ المصداقية. ولا تكاد تسلم مؤسسة من اتهامها بأنها في قراراتها تابعة لفلان وفلان. برأيكم ما هي الضابطة في تحديد مفهوم الاستقلالية؟ وهل أن خضوع المؤسسة في قراراتها المصيرية أو توجيهها العام لعالم من العلماء مثلاً يمثل حالة سلبية بالمطلق، وهل يخدش ذلك في مصداقية المؤسسة؟

▣ المشكلة اليوم أن هناك استعمال لمفاهيم بلا حدود وضوابط، وعليك أن تحدد رأيك وموقفك قبولاً أو رفضاً، وهذه مشكلة. فاستقلالية المؤسسة هل ينافقها أن تخضع في قراراتها لمرجعية دينية أو لا ينافقها؟ تارة لا يوجد اختيار وتفويض لهذه المؤسسة والقائمين عليها في تحديد سياستها وآلية العمل وإنما تدخل مفروض من جهة تتدخل في القرارات.. واضح أن هذه المؤسسة غير مستقلة.

وصورة أخرى هي أن يرى القائمون على المؤسسة ويتذمرون على الاسترشاد برأي عالم أو مرجعية دينية ويصيغون نظاماً داخلياً، مثلاً أحد بنوده: أنهم لا يخالفون رأي هذا العالم أو ذاك المرجع، فهنا حالة من الاختيار والاتفاق، ولا يخدش ذلك في مصداقية واستقلالية المؤسسة.

● هل تؤيدون ذوبان جميع المبالغين في بوتقة العمل المؤسسي، أم أن هناك ضرورة للحفاظ على العمل الفردي أيضاً إلى جانب العمل المؤسسي؟

- بعيداً عن التأييد وعدمه، التنوع في الأسلوب والأداء لا يمكن إلغاؤه.
- فهناك أمور لا تقوم بها إلا المؤسسة. ولا يستطيع الفرد أن ينجزها لوحده، وهناك أمور أخرى باستطاعة الفرد إنجازها والقيام بها.
- بطبيعة الحال فإن هناك من لا يؤمن بالانخراط في العمل المؤسسي من المسلمين. والسؤال هو: ما هي العلاقة التي ينبغي أن تسود الطرفين؟
- الإيمان بضرورة التبليغ موجودة عند من يؤمن بالعمل الفردي والمؤسسي، وهذه أرضية مشتركة. ثم لا يوجد طرفان أصلاً حتى يكون هناك تخوف وبالتالي تكون الحاجة إلى رسم علاقة تؤمن أي تصادم، فالعلاقة الإيمانية هي التي تحكم وتسود، والفارق إنما هو في الأسلوب.
- كثيراً ما توسم المؤسسات بأنها كثيرة التنظير ومتشعبة اللجان، ولكنها قليلة الإنتاج وضعيفة التأثير في الواقع الحياتي للناس. بنظركم ما هي أهم العوامل التي تؤدي إلى مثل هذه النتيجة؟
- أولاً ليس كل مؤسسة قائمة هي ضعيفة الإنتاج والتأثير. نعم، في الجملة المشكلة التي تشيرون إليها موجودة وترجع لأمور منها:

 ١. انعدام أو ضمور ثقافة العمل المؤسسي لدى بعض الأعضاء. فتجد أن خياراته المفضلة وأولوياته واهتماماته ووقته لغير المؤسسة أكثر منه للمؤسسة. فلا تفرغ كافٌ من قبل العضو للمؤسسة.
 ٢. انشغال أفراد المؤسسة وأعضاء اللجان في أكثر من مؤسسة ولجنة.
 ٣. عدم المعرفة والمهارة الإدارية.
 ٤. عدم التجربة الكافية للعمل المؤسسي.. فأنتم تعلمون أن ما يقارب ثلاثة عقود والوضع السياسي لا يسمح بتكوين وإنشاء جمعيات واتحادات

ومؤسسات. إذن التجربة حديثة لدى الكثير من الأعضاء.

● ما هي قراءاتكم لمستقبل التبليغ المؤسسي؟

▢ قراءة إيجابية ونظرة متفائلة لوجود مناخ مشجع.. ثم إن هذه التجربة آخذة في النضج.

المجتمع ينتظر (من المؤسسة) مشاريع تلامس
همومه وتقدم حلاً لما يعانيه.

أما المؤسسة فتنتظر من المجتمع أن يؤمن ويقتنع
بالعمل المؤسسي، وما لم يكن ذلك فالفاصلة
تكون كبيرة.

* * *

المهاوى

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) التوبة: ١٠٩.

إِلَهُ أَمْرٌ نَبِيٌّ !!؟

المسيح بين القرآن والإنجيل

(القسم الأول)

فاضل عبد الجليل الزاكى

مدخل البحث:

يرى المسلمين بأن المسيح هو نبي كبقية الأنبياء^(١)، في حين يعتقد المسيحيون بأنه يمثل الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عندهم^(٢)، هذا ويدعى المسلمون والمسيحيون أن هذه النظرة مستمدة من كتبهم المقدسة. وما نحاول التعرض له في هذا البحث هو دعوى ألوهية السيد المسيح من منظور القرآن الكريم والكتب المقدسة عند المسيحيين. وقبل الدخول في البحث لابد من التنبيه على الفارق الجوهرى بين نظرة المسلمين لكل من القرآن الكريم والإنجيل وبين نظرة المسيحيين لهما:

- فالMuslimون يرون بأن هذين الكتابين هما كتابان سماويان أنزلهما الله على رسوليه محمد ﷺ وعيسى عليه السلام، ويرون بأن الأنجليل الموجودة في يد المسيحيين حالياً ما هي إلا كتب محرفة، في الوقت الذي يعتقدون فيه بأن القرآن محفوظ ومنزه عن التحريف.

- وال المسيحيون في المقابل يعتقدون بأن الإنجيل هو عبارة عن سيرة كتبها بعض الأفراد عن المسيح والأفعال والأقوال والمعاجز التي قام بها إلى حين صلبه، والأناجيل الموجودة عندهم أربعة أناجيل كتبها أربعة أفراد ملهمون من قبل الله - ولهذا تكتسب حالة من القدسية عندهم - ولكنها ليست وحياً مباشرة من السماء، ولا تقتصر الكتب المقدسة عندهم على خصوص الأنجليل بل هناك كتب أخرى مقدسة أيضاً وهم يقسمون هذه الكتب إلى مجموعتين رئيسيتين يطلقون على المجموعة الأولى اسم العهد القديم^(٣) ويطلقون على المجموعة الثانية اسم العهد الجديد^(٤)، في حين أن القرآن - بحسب نظرتهم - كتاب فاقد لأي صفة قدرية، لأنه لم يكتب بإلهام إلهي.

وينقسم البحث إلى قسمين:

القسم الأول: سنظر من خلاله نظرة المسيحيين لل المسيح من خلال مصادرهم، ونسعى لمناقشتها بموضوعية تامة وبعيداً عن الأحكام المسبقة.

القسم الثاني: وسننظر من خلاله الأدلة التي ساقها القرآن الكريم لنفي الوهية المسيح وإثبات أنه إنسان كباقي الأنبياء، ولكن سيكون بحثنا في هذا القسم بشيء من الإختصار.

ولكوني مسلماً - ولكي أكون موضوعياً في البحث - فما سأذكره في القسم الثاني من الآيات القرآنية التي تنفي الوهية المسيح إنما سأتعامل معها كمنبهات فقط، أي أنني لن أنقلها على أنها أدلة مستقلة، ولن أتعامل

معها بحسب عقيدتي فيها، إذ لا يمكن إلزام المسيحيين بكتاب لا يعتقدون به، وهذا بخلاف ما ورد في الأنجليل مما يمكن الاستدلال به على نفي ألوهية المسيح إذ أنها – وإن كانت محرفة بحسب نظرنا – تعتبر بمثابة إقرار منهم بذلك، فيمكتني إلزامهم به.

القسم الأول: المسيح في المصادر المسيحية:

كمدخل للبحث أرى من اللازم طرح بعض الأسئلة ومحاولة الإجابة عليها من خلال المصادر المسيحية، وذلك لتض� النقاط المهمة قبل الدخول في البحث، وسأذكر الأسئلة أولا ثم ذكر الجواب عنها في ضمن محاور مستقلة:

١- ما هي حقيقة الثالوث المقدس عند المسيحيين؟
٢- ما هي النصوص التي تشير إلى الأقانيم الثلاثة في الكتب المقدسة؟

٣- هل وردت لفظة الثالوث في نصوص الكتاب المقدس؟
٤- هل يوجد تعارض بين نظرية الثالوث وبين التوحيد؟
٥- ما هي الأدلة على أن المسيح ابن الله؟
في مقام الجواب نقول:

١- حقيقة الثالوث عند المسيحيين:

يدعى المسيحيون بأنهم موحدون، وأن نظرية التثليث لا تتنافى مع التوحيد^(٥)، فهم يدعون بأن الأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) هي جوهر واحد، وفي هذا الصدد يقول قاموس الكتاب المقدس:

" الثالوث الأقدس: عرف قانون الإيمان هذه العقيدة بالقول (نؤمن باله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساوين في القدرة والمجد) . في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أزلية، يعلنها الكتاب في صورة شخصيات (أقانيم) متساوية . ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانية ليست إلا حقاً سماوياً أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم، لكنه قدمه في العهد الجديد وأضحاها، ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط التالية:

- ١ - الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.
 - ٢ - هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة واحدة عن الأخرى.
 - ٣ - هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً بل أبدى و حقيقي.
 - ٤ - هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد.
 - ٥ - الشخصيات الثلاث الأب والابن والروح القدس متساوون.
 - ٦ - ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة، بل بالأحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية^(٦).
- ويبقى أن نشير إلى أن هذه العقيدة التي نص عليها قاموس الكتاب المقدس لم تكن واضحة المعالم في زمن المسيح أو في الفترة التي تلت عصر المسيح، فقد مرت بالكثير من المخاضات العسيرة، الأمر الذي يفسر لنا لماذا كانت حقيقة الثالوث السبب الرئيسي في انعداد معظم المجامع

المسكونية بدءاً من مجمع نيقية الذي انعقد في سنة ٣٢٥ م لإثبات ألوهية المسيح والرد على آريوس الذي نفى أن يكون المسيح إلهها.

٢- النصوص التي تشير إلى الأقانيم الثلاثة:

لم يغفل مؤلفو قاموس الكتاب المقدس عن سوق الأدلة على نظرية التثليث من خلال نصوص الكتاب المقدس، ولكنهم اكتفوا بالإشارة إلى المصدر بذكر أسماء الكتب وأرقام الفصول على ما هو المتعارف في أمثال هذه الأمور، وفي ما يلي نذكر نص عبارتهم^(٧) وسنذكر في الهوامش النصوص التي يشيرون إليها وسنعطي لكل نص رقماً خاصاً به:
”ولقد كانت هذه الحقيقة مُتضمنة في تعليم المسيح (يو ١٤: ٩ – ١١) و(يو ١٤: ٢٦) و(يو ١٥: ٢٦)^(٨) وقد تمسكت الكنيسة بما جاء واضحاً في (مت ٢٨: ١٩)^(٩).
وتحدث الرسل مقدمين هذه الحقيقة في (٢ كو ١٣: ١٤) و(١ بط ١: ٢) و(١ يو ٥: ٧)^(١٠).

ولا نستطيع أن نُغفل منظر معمودية المسيح وفيه يسمع صوت الأب واضحاً موجهاً إلى المسيح، ويستقر الروح القدس على رأس المسيح الابن في شكل حماماتة (مت ٣: ١٦ و ١٧) و(مر ١: ١٠ و ١١) و(لو ٣: ٢١ و ٢٢) و(يو ١: ٣٢ و ٣٣)^(١١) انتهى ما نقلناه عن قاموس الكتاب المقدس.

٣- لفظة الثالوث في نصوص الكتاب المقدس:

وهنا نتساءل عن سبب إهمال نصوص الكتاب المقدس لأي إشارة للفظة

الثالوث بوصفها عقيدة؟

ومن أين أتى رجال الكنيسة بهذا اللفظ؟

وكيف اكتشفوا طبيعة علاقة هذه الأقانيم الثلاثة بعضها بالبعض الآخر؟

وهل صحيح بأن لفظ الثالوث لم يرد في الكتاب المقدس؟!

ويجيبنا قاموس الكتاب المقدس عن هذه الأسئلة قائلاً:

لقد كان يقين الكنيسة وإيمانها بلاهوت المسيح هو الدافع الحتمي لها لتصوغ حقيقة التثليث في قالب يجعلها المحور الذي تدور حوله كل معرفة المسيحيين بالله في تلك البيئة اليهودية أو الوثنية وتقوم عليه. والكلمة نفسها "التثليث أو الثالوث" لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتيlian في القرن الثاني للميلاد^(١٢)

وكلامهم صريح في أنه لا يوجد في الأنجليل بل غيرها من كتب العهد الجديد أيضاً أي نص صريح يشير إلى نظرية التثليث كنظرية متكاملة، وهذا ليس بداعاً من القول بل نجد بعض الباحثين منهم يصرحون بأنه "من المعروف أن تعليم وحدانية الله وامتياز الأقانيم أحدها عن الآخر ومساواتها في الجوهر، ونسبة أحدها للآخر لم يرد في الكتاب المقدس جملة واحدة بالتصريح به، بل في آيات متفرقة. غير أن جوهر هذه الأمور منصوص عليه من أول الكتاب المقدس إلى آخره"^(١٣)

٤- التوحيد ونظرية الثالوث:

وإذا ما تسائلنا كما يتساءل الكثيرون: لا تتناقض هذه العقيدة مع

التوحيد؟ فكيف يمكن أن تكون هذه المعادلة ($1=3$)، وهل يمكن للعقل أن يقبل بهذا؟! فينبري مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس حينئذ للإجابة بما يعتقدون أنه يرفع العيرة من النفوس قائلين:

”أخيرا نود أن نشير إلى أن عقيدة التثليث عقيدة سامية ترتفع فوق الإدراك البشري ولا يدركها العقل مجردا، لأنها ليست ولدة التفكير البشري بل هي إعلان سماوي يقدمه الوحي المقدس، ويدعمه الاختبار المسيحي . وهكذا تصير كل ديانة يبتدعها البشر خالية من عقيدة التثليث . وفي سبيل قبول هذه العقيدة واعتناقها لا بد من الاختيار العميق للحياة المسيحية“^(١٤)

٥- الأدلة على أن المسيح ابن الله:

في فترات سابقا أجريت بعض الحوارات مع شخصيات مسيحية حول كون المسيح ابن الله، وفي أثناء بعض هذه الحوارات التي جرت - شفاهيا وكتابيا - حول هذه النقطة ذكرروا جملة من الأدلة، كما أن قاموس الكتاب المقدس^(١٥) يشير إلى بعض هذه الأدلة أيضا، ويمكن تلخيص أهم الأدلة على ذلك بما يلي:

- ١- وردت الإشارة كثيرا إلى المسيح بلفظ "ابن الله" في موارد كثيرة جدا من الأنجليل الأربعه^(١٦).
- ٢- نقلت الأنجليل عن المسيح تعبيره عن الله بلفظة (أبى)، أو (الأب) وذلك في موارد كثيرة جدا.
- ٣- ما ورد في انجيل يوحنا، على لسان المسيح أنه قال (فان لم

تؤمنوا بي فامنوا بالأعمال لكي تعرفوا و تؤمنوا أن الأب في وأنا فيه)^(١٧) ، وقال أيضاً "ليكون الجميع واحداً أيها الأب كما انك أنت في و أنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا لكي يؤمن العالم انك أنت أرسلتني"^(١٨) فاليس المسيح هنا يقول أنه متعدد وحدة تامة مع الأب.

٤- عند عمودية المسيح جاء صوت من السماء قائلاً : "هذا ابني الحبيب" على ما ذكره متى في إنجيله^(١٩).

٥- ما حصل على يديه من معاجز كشفاء المرضى وإحياء الموتى.

٦- قيامته من الأموات وصعوده إلى السماء.

٧- أنه ولد من غير أب كما تصرح الأنجليل، بل ويصرح بذلك القرآن الكريم أيضاً.

فيقولون بأن مجموع هذه الأمور تنفي أن يكون المسيح شخصاً عادياً كباقي الناس، ولذا فلا بد أن يكون ابن الله.

حقيقة هذه البنوة:

ولكن ماذا يقصدون من كون المسيح ابن الله؟ هل المقصود الولادة الجسدية؟

لم تكن مسألة بنوة المسيح لله مسألة مسلمة عند مسيحيي القرون الأولى، فكما تشير المصادر فقد برزت في الأوساط المسيحية فتنان رئيسية أنكرتا هذه العقيدة:

١- التبنيين: وهؤلاء قالوا بأن المسيح ليس سوى إنسان تبناء

الله، ولهذا فقد أطلق عليهم لفظ "التبنيين" لأنهم يقولون بعقيدة التبني، فال المسيح في نظرهم ليس ابنا الله بالمعنى الصحيح للكلمة، فيرفضون بنوة المسيح لله ويرفضون كونه أزليا، وفي ذلك يقول المطران كيرلس سليم بسترس "لقد سار في هذا الاتجاه منذ القرن الأول بعض النصارى من اليهود، الذين آمنوا أن يسوع هو المسيح، لكنهم رفضوا الاعتراف بأنه ابن الله المولود من الأب منذ الأزل"^(٢٠)

٢- الأريوسيين: وهؤلاء هم أتباع آريوس الذي جاهر بنفي ألوهية المسيح ونفي بنته حيث يصرح بأن المسيح مخلوق من مخلوقات الله، وقد تسببت آرائه في حصول لغط شديد مما دفع رجال الكنيسة إلى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م برعاية الإمبراطور الروماني الذي كان حديث عهد بال المسيحية وقد قرروا من خلال هذا المجمع رفض آراء آريوس وأصدروا قانوناً جديداً عرف فيما بعد باسم قانون الإيمان النيقاوي وجاء فيه: "بالحقيقة أؤمن بإله واحد، الله الأب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، ..." وقد صار هذا القانون نصاً ترددت الكنائس المسيحية في جميع قداساتها.

لقد أحاطت هذه البناءة المدعاة بهالة من العموض والضبابية في عبار

أرباب الكنيسة ولا زالت عبائرهم مشوشه، ولعل السبب الرئيسي في ذلك أنه لا توجد لديهم نصوص صريحة في كتب العهدين –القديم والجديد– توضح طبيعة وماهية هذه العلاقة، الأمر الذي أسمهم بشكل مباشر في وقوع الخلاف حول طبيعة هذه العلاقة، فيحكي لنا التاريخ بأن طبيعة هذه البنوة كانت محل نزاع بين المسيحيين في القرون الأولى، فقد كان نسطور بطريرك القدسية يعتقد "أن القديسة مريم، لم تلد إليها متجسداً، بل ولدت إنساناً فقط. ثم حلَّ فيَهُ بعْدَ ذَلِكَ ابْنُ اللهِ، لَا حَلَّ الْإِتْهَادُ بِلِ حَلَّ الْمُشَيْةِ وَالْإِرَادَةِ". وأن المسيح لهذا السبب طبعتين وإنقونمين^(٢١) وقد تبعه على هذا القول جماعة كثيرة عرفوا فيما بعد بالنساطرة.

لقد كان لآراء نسطور وقعاً الشديد على الكنائس المسيحية حيث أشتد الجدال حولها وأحدثت الكثير من البلبلات، وعلى إثر ذلك انعقد مجمع أفسس الأول في تركيا سنة ٤٣١ م بزعامة كيرلس بطريرك الإسكندرية لمناقشة هذه المسألة وقد قام هذا المجمع بالرد على آراء نسطور وتم تجريده من منصبه كبطريرك للقدسية، وتبنى هذا المجمع رأياً يقول بأن المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة واقنوماً واحداً متجسداً، وفي ذلك يقول بطريرك الإسكندرية القديس كيرلس: "إن سيدنا يسوع المسيح أقنوماً واحداً إليها اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تماماً بلا اختلاط ولا امتراج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فمريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد، لذلك هي حقاً أم الله". وهذا القول تبنته الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وأغلب الكنائس الشرقية،

وقد عرّفوا باليعاقبة نسبة إلى يعقوب البرادعي على ما قيل، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الجماعة في ضمن سورة المائدة^(٢٢).

كانت قرارات مجمع أفسس الأول الذي انعقد في سنة ٤٣١ م المفتاح الذي أدى إلى تفتيت وحدة الكنائس المسيحية، وبالإضافة إلى أنه أفرز طائفنة النساطرة فإن قرارات هذا المجمع أوجدت حالة من السجالات الكلامية في أوساط بعض المسيحيين وقد واجه بعض القساوسة تهمًا بالهرطقة وساد جو من الفوضى في أوساط رجال الكنيسة الأمر الذي قاد في نهاية الأمر إلى عقد مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩ م الذي ترأسه بابا الإسكندرية ديسقوروس وقد قرر هذا المؤتمر طرد فلابيانوس أسقف القدسية لأنه كان يؤمن أن المسيح بعد تجسيده كان له طبيعتين ومشيئتين.

لقد كانت قرارات مجمع أفسس الثاني المنعقد في سنة ٤٤٩ م السبب المباشر في حصول الإنقسام التام بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية حيث أن قرارات هذا المجمع قوبلت بالرفض من قبل كنيسة روما الكاثوليكية التي سمتها (مجمع اللصوص) وسعت لعقد مجمع بهذا الخصوص وانعقد هذا المجمع في سنة ٤٥١ م في مدينة خلقدنية وفي هذا المؤتمر اتخذت قرارات هامة منها عزل بابا الإسكندرية ديسقوروس وتم التأكيد على أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين واقنوم واحد، فهم من هذه الجهة يشابهون النساطرة الذين يقولون بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، والفرق بين الكاثوليكي وبين النساطرة يكمن في أن النساطرة يقولون أن

مريم ولدت الإنسان فقط ثم حلت فيه المشيئة الإلهية بينما الكاثوليك يقولون أن مريم ولدت الإثنين معا.

لم يقبل أساقفة مصر بقرارات مجمع خلقديونية، ولكن وبعد أن تم عزل بطيريك الاسكندرية ونفيه حاول الإمبراطور الروماني مرقيانوس أن يفرض على المصريين (بابا) جديداً يتبنى آراء مجمع خلقديونية فأرسل لهم بروتاريوس بدليلاً عن البابا المعزول إلا أن هذا الإجراء قوبل بالرفض من قبل الأساقفة المصريين وقد أدى ذلك إلى حدوث صدامات عنفية بين المصريين والقوات الرومانية التي كانت تسيطر على مصر آنذاك وقد قتل على إثر ذلك ما يقارب الثلاثين ألف مصري على حسب بعض المصادر^(٢٣).

وبهذا تعمق الخلاف بين الكنيسة المصرية الأرثوذكسية وبين كنيسة روما الكاثوليكية.

التعليق:

ولكي يكون التعليق وافياً بالموضوع سأضع تعليقي في ضمن نقاط:

أولاً: نظرية التثليث في ضوء العقل:

يقول خصوم المسيحيين أن نظرية التثليث تعني أن (الواحد) يساوي (الثلاثة)، ولا شك أن العاقل لا يمكنه أن يقبل بصحة مثل هذه المعادلة ولذا لا يمكننا أن ننسبها إلى شخص عاقل، فهل صحيح أن نظرية التثليث التي يتبناها المسيحيون تعني ذلك؟

للجواب عن هذا السؤال لابد من استحضار مقصودهم بالجوهر الواحد

والأقانيم الثلاثة، وهنا نقع في دوامة من الألفاظ المتناقضة، وقد أشرنا سابقاً إلى ما ورد في قاموس الكتاب المقدس ونشير هنا إلى عبارة ثانية أوردها بعض باحثيهم محاولاً بيان حقيقة التوحيد المسيحي فقال:

”هذا الإيمان الجامع هو أن تعبد إلهاً واحداً في ثالوث، وثالوثاً في توحيد. لا نمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر. إن للأب أقنوماً، وللابن أقنوماً، وللروح القدس أقنوماً. ولكن الأب والابن والروح القدس لاهوت واحد ومجد متساو، وجلال أبيدي معًا. كما هو الأب، كذلك الابن، كذلك الروح القدس. ... وكما أن الحق المسيحي يكفلنا أن نعرف بأن كلاً من هذه الأقانيم بذاته إله ورب. كذلك الدين الجامع، ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب. فالآب غير مصنوع من أحد، ولا مخلوق، ولا مولود. والابن من الآب وحده، غير مصنوع، ولا مخلوق، بل مولود. والروح القدس من الآب والابن، ليس مخلوق ولا مولود بل من بشق. فإذاً آب واحد لا ثلاثة آباء، وابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح قدس واحد لا ثلاثة أرواح قدس. ليس في هذا الثالوث من هو قبل غيره أو بعده ولا من هو أكبر ولا أصغر منه. ولكن جميع الأقانيم سرمديون معاً ومتتساونون.“^(٤٤)

وهنا لا نجد مفراً من التساؤل ماذا يقصدون بالأقنوم؟ ولماذا يحاولون التستر خلفه؟ من المعروف أن الأقنوم لفظة يونانية تعني الشخص Person ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن القبول بأن ثلاثة أشخاص يساوي شخص واحد، فهم يصررون على أن هذه الأقانيم شخصيات متمايزة فيقولون (لانمزج الأقانيم) وفي نفس الوقت يصررون

على أنها إله واحد وليس ثلات آلهة، وخصوصاً إذا ما لاحظنا العبارة التي تنسب إلى يوحنا (هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد)^(٢٥).

إن العقل يستحيل أن يقبل بمعادلة تقول (١=٣) إذن هم يقولون ثلاثة أقانيم أي ثلاثة أشخاص، فقولهم: لا نمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر لنغير من الحقيقة شيئاً، وهل يمكننا أن نتعقل أن الأقانيم الثلاثة متساوون وفي نفس الوقت يقولون لنا بأن الابن مولود من الأب وحده، والروح القدس منبع من الأب والابن، ثم يصرون أيضاً بأنه ليس في هذا الثالوث من هو قبل غيره أو بعده وأن جميعهم سرمديون؟ هل هذا إلا التناقض بعينه؟؟؟!!.

لقد أدرك قساوستهم بأن هذه العقيدة تناقض العقل، وأن العاقل لا يمكنه أن يتقبل مثل هذه العقيدة، ولذا لجأت الكنيسة إلى حيلة لتسويق هذه العقيدة، وهي الإصرار الدؤوب على التشكيك بمقدمة "أن عقيدة الشليث عقيدة سامة ترتفع فوق الادراك البشري ولا يدركها العقل مجرداً"^(٢٦) وبهذا يتم غلق ملف القضية بعد توجيهه أصابع الاتهام إلى العقل البشري بالنقص والقصور، فقاموس الكتاب المقدس مثلاً يعلل ذلك بأن هذه العقيدة "ليست وليدة التفكير البشري بل هي إعلان سماوي يقدمه الوحي المقدس، وفي سبيل قبول هذه العقيدة واعتนาها لا بد من الاختيار العميق للحياة المسيحية"^(٢٧)، وفي نفس السياق يقول معجم اللاهوت الكاثوليكي: "ال الثالوث هو سر في المعنى الحضري، ومن غير

الممكн أن يعرف من دون وحي، والذى لا يمكن حتى وإن أوحى به أن يسبر غوره العقل المخلوق”^(٢٨).

وفي نفس السياق نجدهم يذكرون قصة لأحد قساوستهم تتعلق بهذا الموضوع فيقلون عن القديس أغسطينوس “أنه وبينما كان سائراً على شاطئ البحر ، وكان يفكر في إعداد كتابه عن الثالوث القدس، رأى طفلاً صغيراً يحمل ماء من البحر ويصبه في حفرة صغيرة على الشاطئ كان قد حفرها بنفسه، وحينما سأله القديس: ماذا تفعل يابني؟ أجابه إبني أقوم بإفراغ البحر في هذه الحفرة. فسألته القديس وكيف تسع حفرتك الصغيرة هذا البحر الواسع؟ أجابه الطفل – وكان ملائكاً من الله – وأنت كيف تستوعب عقيدة الثالوث القدس بعقلك البشري المحدود؟”^(٢٩). ويعلق عليها بعض المسيحيين قائلاً: هذا حق فإننا لو استطعنا احتواء الله بالكامل في عقولنا المحدودة لكان الله محدوداً ، وحاشا الله أن يكون محدوداً. و كأنهم بهذه العبارت يقولون للناس إذا أردتم الإيمان بال المسيحية فلا بد أن تتركوا عقولكم في الخارج قبل أن تدخلوا إلى الكنيسة.

وهنا نجد أنفسنا ملزمين بطرح هذه الأسئلة:

١- إذا كانت هذه العقيدة بهذه المثابة من الغموض، وكان العقل البشري قاصراً عن فهمها، فمن أين أتى بها آباء الكنيسة الأوائل؟ خصوصاً وأنهم يصرحون بأن الكتاب المقدس لم يشر إلى هذه العقيدة بشكل صريح وواضح.

٢- وكيف تمكنا من فهم هذه العقيدة بكل دقائقها وحيثياتها؟ أم أن

عقولهم ليست بشرية؟

٣- الا يفتح هذا التبرير الباب واسعا لكل أحد ليطرح ما شاء من أراء وعقائد ثم يلقي باللائمة على عقول البشر التي تقصّر عن فهم ما طرحه؟ لقد سعى بعض الكتاب لرفع هذا الإشكال بعقد مقارنة فقال "يواجه العقل المسيحي عقиде التثليث باعتبارها سرا من أسرار الوجود، ولا عجب في ذلك فهي تتناول طبيعة الله وشخصه . فنحن - المسيحيين - نقبلها كما نقبل أي سر آخر من أسرار الحياة والكون بمزيج من التأمل والتسليم، دون محاولة رفضها أو الانتقاض منها، فهناك أمور في الطبيعة لا نفهمها بالكامل ومع ذلك لا نرفضها ... مثلا لا نرفض نظرية الجاذبية الأرضية أو الكهرباء أو أسرار الكون الفسيح فنحن لا نرفض أو نتعارض على أي اختراع علمي لمجرد أننا لا نستطيع أن نستوعبه بالكامل ... فإذا كان الأمر كذلك فلماذا إذن نقبل أسرار الطبيعة بتسليم ورضا ونرفض الإيمان والتسليم بأسرار الله العلي العظيم الغير محدود ، المعلنة لنا منه" ^(٣٠) ولا يخفى فساد هذه المقارنة من أصلها، إذ أن إيمانا بالجاذبية الأرضية وبالكهرباء وغيرها من أسرار الكون الفسيح التي لم نرها بالعين نابع من أننا أدركنا وجودها من خلال آثارها المحسوسة لنا، فلا فرق بين أن نراها بالعين أو أن نرى آثارها، مضافا إلى أن الإيمان بهذه الأسرار لا يتناقض مع أحکام العقل الأخرى، وهذا ما تفتقده عقيدة التثليث كما وضحناه سابقا، وأما قوله أن هذه العقيدة معلنة لنا من الله فقد مررت الإشارة أن نصوص العهد الجديد خالية من أي نص صريح على عقيدة التثليث،

وسيأتي الحديث حول النصوص التي تثبتوا بها لإثبات هذه العقيدة. ويبقى أن نشير إلى أنهم بتبريرهم هذا يغلقون الباب أمام أي مناقشة علمية لما جاء في الكتاب المقدس إذ أن أي مناقشة تقود إلى نفي نظرية التثليث ستبقى مرفوضة في ضوء هذا التبرير، ولن نجد مجالاً لأي حوار جاد ما لم يعودوا إلى رشدتهم ويرفعوا أيديهم عن هذا التبرير.

هذا وستأتي بعض النقاط المتعلقة بالثالوث والعقل عند استعراض الرؤية القرآنية

ثانياً: التثليث والوهية المسيح في العهد الجديد:

إن الدليل على نظرية التثليث عند المسيحيين يحصر في تأويل بعض النصوص الواردة في الكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد، فلذا لا يمكن لأحد الإيمان بهذه النظرية ما لم يؤمن بأمرتين معاً:

- ١- قدسيّة كتبهم المقدسة وسلامتها من التحريف.
- ٢- الإلتئام بصحة تأويلهم لهذه النصوص التي تحمل أكثر من معنى. ولا يكفي الإيمان بأحد هذين الأمرين فقط دون الآخر، بل لابد من الإيمان بكل الأمرين معاً، وإلا فلا يصح التمسك بتلك النصوص كما هو واضح.

ونحن هنا لن نخوض في الأمر الأول بشكل مفصل، إذ أنها كمسلمين لا شك لدينا في أن الإنجيل الصحيح هو كتاب سماوي نزل على عيسى الثَّلِيْثُ، وأن الأنجليل الموجودة -حتى وإن لم تخلو من بعض الصحة فيما تسبّه إلى المسيح- هي أناجيل محرفة، ولكننا سنكتفي

٣٠ رسالة القلم  العدد الثالث

بالإشارة المقتضبة إلى بعض النقاط:

أ- أن المسيحيين يعجزون عن إثبات قدسيّة كتبهم، إذ
أنهم يقرّون بـملء أشداهم بأن هذه الكتب كتبها أشخاص
عاديون، ولكنهم مع ذلك يدعون بأنهم كتبواها باللهام إلهي،
وهو ما يعجزون عن إثباته، إذ أنه مجرد دعوى لا يسندها
أي دليل.

ب- أن قدسيّة هذه الكتب إنما تبنتها الكنيسة بعد مدة
من زمن المسيح، ولم يتضح سبب مقنع في إعطاء القدسية
لخصوص هذه الكتب دون غيرها، خصوصاً مع وجود
العديد من الكتب الأخرى التي قيل عنها بأنها مقدسة أيضاً،
وتم رفضها بـدعوى أنها مزيفة، وقامت الكنيسة بإصدار
لوائح تبيّن فيها الكتب القانونية من غير القانونية، ولم تستقر
اللائحة النهائية للكتب المقدسة إلا في أواخر القرن الرابع
للميلاد^(٣١)، بل نجد لوقا في مقدمة إنجيله يصرّح بأن عدد
الأناجيل التي تكلمت عن المسيح وسيرته كثيرة^(٣٢)، فأين
اختفت تلك الأنجليل ولماذا لم تبق لنا الكنيسة غير هذه
الأناجيل الأربع؟!!

ج- يوجد خلاف شديد حول مؤلفي عدد من هذه
الكتب، ففي حين تتسبّب هذه الكتب إلى أشخاص
بأعيانهم، يوجد تشكيك - من مفكرين مسيحيين - حول

صحة هذه النسبة.

د- إن الأنجليل الأربع بحسب نسخها الأصلية كتبت بلغات مختلفة فبعضها كتب بالعبرية أو الآرامية والبعض الآخر باليونانية، وعلى كل حال فالمتافق عليه هو أن النسخ الموجودة هي نسخ مترجمة والنسخ الأصلية مفقودة، ولا توجد أي إشارة إلى مترجم هذه الكتب ومدى دقتها وأمانته في الترجمة، وهذا الأمر يفقد هذه الأنجليل أي قدسيّة تدعى لها.

ه- إن التناقضات الكثيرة جداً في ما بين الأنجليل الأربع واضحة للعيان ولا تحتاج إلى استدلال عليها، وقد أشار الباحثون إلى الكثير من هذه الاختلافات، وهذا لا يتناسب مع كونها بأكملها إلهام الهي، وإلى هذا تشير الآية القرآنية ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)).^(٣٣).

وأما الأمر الثاني: فنجد أن المسيحيين يصررون على تأويل النصوص الواردة في مصادرهم وتفسيرها بما يشير إلى الوهية المسيح ونظرية الشليث، متمسكين في ذلك بظاهر بعض الألفاظ، ويتغاضون عن النصوص الكثيرة الأخرى التي تنفي هذا القول، وسبق لنا أن ذكرنا -نقلًا عن قاموس الكتاب المقدس- أهم النصوص التي اعتقادوا بأنها تدل على عقيدة الشليث، وأوردنا نصوصها مرقمة وبشكل مفصل في الهوامش، وسنسعى

الآن إلى رد هذه النصوص من خلال أسلوبين:

١- مناقشة هذه النصوص مناقشة سريعة لمعرفة مدى دلالتها على عقيدة التثليث.

٢- طرح الأدلة والنصوص التي تنفي عقيدة التثليث ومحاكمة النصوص الأولى على ضوئها.

١- مناقشة النصوص التي أوردوها:

وستناقش الآن تلك النصوص المزعومة مناقشة سريعة لمعرفة مدى دلالتها على عقيدة التثليث، وسنلتزم في هذه المناقشة بالترقيم الذي ذكرناه في الهوامش:

١- بالنسبة للنص الأول الذي أشاروا إليه، لا يدل بشكل صريح على عقيدة التثليث، إذ أنه لم يشر إلا إلى اقتصادي الأب والإبن فقط، ولم يشر إلى الروح القدس، بل يمكن القول بأن هذا النص ينافي ما يعتقده المسيحيون، إذ أنه يصرح بأن الأب حل في الإبن.

٢- وأما بالنسبة للنصين الثاني والثالث فهما لا يدلان على التثليث لا من قريب ولا من بعيد، إذ لم يشيرا إلى أن الإبن والروح القدس أقوامان، ومجرد ذكرهما مع الأب في نص واحد لا يدل على ذلك.

٣- وأما النص الرابع فهو كسابقيه، إذ أن مجرد إقتران بعض الأسماء مع الذات الإلهية في نص واحد لا يعني أنها آلهة أيضا، فالشهادتين في الإسلام يرد فيها اسم الله وإسم الرسول ﷺ، ومع ذلك لم يدع أحد بأنه إله لمجرد هذا الإقتران، مضافا إلى أن الأنجليل الثلاثة الأخرى تذكر

حادثة ظهور المسيح لتلاميذه ولا تذكر هذه العبارة، وبعضها تذكر عبارات أخرى، فهذه العبارة مما تفرد به أنجيل متى.

٤- وأما النص الخامس والسادس، فيمكن المناقشة في دلالتهما حيث أنه مجرد أقران للأسماء وليس أكثر من ذلك، حيث لا دلالة هنا على أن الابن والروح القدس أقوeman، كما أن نفس هذين القائلين قد وردت منها عبارات كثيرة أشارا فيها إلى طلب البركة من المسيح لوحده من دون ذكر الأب أو الروح القدس، مضافا إلى إمكان المناقشة من جهة الشخصيات القائلة ولا سيما بالنسبة إلى النص الخامس حيث قائله بولس^(٣٤) وهو المتهم الأول في الإنحراف الذي شاب الديانة المسيحية كما هو معلوم.

٥- وأما النص السابع فهو موضوع ومحرف قطعا، ولذلك فقد حذف من الطبعات الأخيرة المنقحة من كتاب العهد الجديد، وقد تم الإكتفاء بالإشارة إلى هذا النص في الحاشية وقالوا أنها إضافات وردت في بعض المخطوطات^(٣٥)، فهذه العبارة أقحمت هنا إقحاما كما هو ظاهر سياق العبائر، ولهذا فقد تم حذفها من الطبعات الجديدة، والغريب أن قاموس الكتاب المقدس يتثبت بهذه العبارة المزورة بحسب إقرارهم.

٦- وأما النصوص الاربعة الأخيرة (٨، ٩، ١٠، ١١) فالتناقضات بينها كثيرة، وهي من أقوى الدلالات على أنه نص مختلف ولا أساس له، ففي حين يذكر متى ومرقس بأن حادثة نزول الحمامات وصدور الصوت من السماء كانت حين خروج المسيح من الماء^(٣٦)، يذكر لوقا بأن هذه الحادثة حدثت حينما كان المسيح يصلى^(٣٧)، ومن جهة أخرى يقول

أنجيل يوحنا على لسان يوحنا المعمدان أنه لم يكن يعرف أن يسوع هو المسيح إلا حينما رأى الحمامات تنزل عليه أي بعد تعميده^(٣٨)، في حين أن متى يذكر أن يوحنا المعمدان كان يعرف أن يسوع هو المسيح قبل تعميده ولهذا خاطبه قائلاً: "أنا أحتاج أن أتعمد على يدك، فكيف تجيء أنت إلى"^(٣٩)

كانت هذه مناقشات سريعة لتلك النصوص التي أوردها قاموس الكتاب المقدس وأدعى دلالتها على عقيدة التثليث، وسنذكر المزيد من المناقشات في ضمن النقاط التالية.

٢- التوحيد والتثليث في العهد الجديد:

لقد صرخ المسيح بعقيدة التوحيد كما تنقل عنه الأنجليل، فقد نقل مرقس في انجيله "فجاء واحد من الكتبة و سمعهم يتحاورون فلما رأى انه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلينا رب واحد"^(٤٠)

ومع هذا نجد المسيحيين يصررون على عقيدة التثليث مؤكدين عدم تنافيها مع التوحيد الذي أشار له المسيح، وقد نقلنا عنهم قولهم "لا نمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر" ولكن في المقابل نجد نصوصا كثيرة من العهد الجديد تدل على المغایرة الصريحة بين الأقانيم مما يعني انفصالتها عن بعضها البعض انفصالا تماما وليس شكليا، فليست شخصية واحدة كما يدعون بل هي ثلاثة شخصيات متمايزة، مما يثير التساؤل حول حقيقة ما يدعونه من أن هذه العقيدة مأخوذة من نصوص الكتاب المقدس،

وستقتصر هنا على إيراد عدد من هذه النصوص:

١- جاء في إنجيل متى ما نصه "فلما تعمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حماماً وآتيا عليه، وصوت من السماوات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سرت"^(٤١) وال المسيحيون يستدللون بهذا النص على عقيدة التثليث كما تقدم، ولكن الصحيح أنه على نفي عقيدة التثليث أدل، فهو صريح في التغيير والإنفصال التام بين جسم وهيئة كل واحد من هذه الأقانيم الثلاثة مع الأقئومين الآخرين، فكيف يمكن القبول بأنها جوهر واحد مع كل هذا التغيير، خصوصاً مع ملاحظة التغاير بين المتكلّم وأسم الإشارة "هذا"، وهذه العبارة تدل على الانفصال التام بين الأقانيم حيث أن الإبن على الأرض، والأب في السماء، والروح القدس نازل من السماء إلى الأرض على هيئة حماماً، ثم لنا أن نتساءل: هل الله يتكلّم عن نفسه فيقول "ابني الحبيب الذي به سرت"؟ أليس هذا دليلاً على التباين التام الذي لا تصمد معه فذلكاتهم؟

٢- إن حقيقة التباين بين هذه الأقانيم الثلاثة وردت أيضاً في إنجيل يوحنا حيث جاء فيه "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينثني فهو يشهد لي"^(٤٢) بحسب ما يدعونه فإن المعزي هنا هو روح القدس، أي أن الإبن سيعث الروح القدس إلى التلاميذ، وهنا لابد لنا من طرح بعض الأسئلة:

أ- هل يمكن أن يكون المرسل - بكسر السين - والمرسل -

بفتح السين - شخص واحد؟

ب- إذا كان الإبن والروح القدس شيء واحد فما معنى أن الروح لن يأتي ما لم يذهب الإبن؟

ج- ثم إن هذه العبارة تخالف ما هو متسالم عندهم من أن الروح القدس منيق من الأب والإبن معا وليس من الأب وحده.

ـ٣ـ تذكر الأنجليل أن المسيح صلى قبيل القبض عليه وطلب من الله أن يدفع عنه "هذه الكأس" فعلى سبيل المثال يذكر مرقس "وأخذ معه بطرس ويعقوب ويونا، وبدأ يشعر بالرهبة والكآبة، وقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت، ابقوا هنا واسهروا، ثم ابتعد قليلا وخر على الأرض وأخذ يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن كان ذلك ممكنا، وقال أبا، يا أبي، كل شيء مستطاع لديك، فأبعدعني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريده أنت" ^(٤٣) وقد كرر المسيح هذه الصلاة ثلاث مرات كما يذكر لوقا، وهنا لنا أن نتسائل:

أ- هل يمكن لنا أن نقبل بإله أن يشعر بالرهبة والكآبة مما قد تفعله به المخلوقات؟

ب- هل يبلغ الخوف والرهبة حدا يجعلنه يتسلل لإبعاد هذه الكأس "أي الصلب" عنه، مع أنه إنما أتى ليقتل مصلوبا فيخلاص المؤمنون به من الخطية كما يدعون.

ج- هل الإله يصلي لنفسه، أليس من المفروض أن المسيح إله أيضا كما يدعون؟ إذن هل كان يصلي مخاطبا نفسه بهذا

الدعاء والتضرع؟

د- إذا كان الثالوث إلها واحدا كما يزعمون، فلا بد أن تكون إرادته واحدة أيضا، وإلا لم يكن إلها واحدا، كيف نجمع بين هذا وبين ما قاله المسيح "ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريده أنت"

٤- لقد أشار يوحنا في أنجيله إلى العلاقة بين المسيح وبين الله في ضمن عبارتين، حيث قال في العبارة الأولى "فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل شيئاً من عنده، بل يعمل ما رأى الأب يعلمه. فما يعلمه الأب يجعل مثله الابن، فالآب يحب الابن ويريه كل ما يعمل"^(٤) ويقول في العبارة الثانية "انا لا اقدر ان اعمل شيئاً من عندي فكما اسمع من الآب أحكم، وحكمي عادل، لأنني لا أطلب مشائطي بل مشائة الذي أرسلني"^(٥)، ومن خلال هاتين العبارتين تتضح بعض معالم شخصية المسيح:

- فاليسوع -الابن- عاجز عن فعل مالا يريده الآب (الله).
- الآب (الله) هو الذي يوجه الابن - أي المسيح- ويرشده في أعماله.
- المسيح يحكم بما يسمعه من الآب (الله)، فهو يتبع ما يوحى إليه.
- أن الآب هو الذي أرسل المسيح -الابن- ولهذا فاليسوع يريد تنفيذ إرادة الله وليس إرادته هو.

فهذين النصين يؤكدان بأنه لا مجال للقول بأن الآب مساو للابن، كما لا مجال للقول بأنهما متحدان بعد كل هذه المغايرة في الأفعال والإرادة،

والمرسل والمرسل، وهذا رد صريح لنظرية الثالوث.

٥- ذكر يوحنا في أنجيله بأن المسيح بعد أن قام من قبره تكلم مع مريم المجدلية قائلاً لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد إلى أبي ولكن اذهب بي إلى أخوتي وقولي لهم اني اصعد إلى أبي وأبيكم والهبي وإلهكم^(٤٦) وهنا نرى المسيح يصرح بما لا مجال فيه للتأويل بأنه ذاهب إلى إلهه، فهل يوجد إله للإله؟

٦- قال بولس " لأن الله واحد، والوسط بين الله والناس واحد هو المسيح يسوع الإنسان الذي ضحى بنفسه فدى لجميع الناس"^(٤٧) وهذه العبارة صريحة في أن الله واحد، وأن المسيح وسيط بين الله والناس، فهل يمكن أن يكون المسيح أحد أقانيم الذات الإلهية كما يزعمون؟؟ إن هذا ببساطة يعني أن يكون المسيح وسيطاً بين الناس وبين نفسه.

٧- من الواضح أنه لا بد أن يتصرف الإله بالكمال المطلق، وبالنسبة لنظرية التثليث نقول لو كان هناك أقئوم أعظم من أقئوم فهذا يعني بالضرورة بأن هناك نقصاً في الأقئوم الآخر، وإنما كان هناك أي معنى للتفاضل، ولذا نجد أن المسيحيين يصررون على إن نظرية التثليث قائمة على أساس التساوي بين الأقانيم الثلاثة، وهذا أمر لا يختلف فيه إثنان منهم، ولكن في المقابل نجد هناك نصوصاً صريحة تنفي التساوي وتصرح بأن الأب أعظم من الإبن وللتوضيح نشير إلى بعض الأمثلة:

- نجد إنجيل يوحنا ينقل عن المسيح قوله " سمعتم أبي قلت لكم أنا ذهب ثم آتني إليكم لو كتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت امضى

إلى الأب لأن أبي أعظم مني" وهي عبارة صريحة في أن الأب أعظم من الإبن.

- ونجد المسيح يصرح بمحدودية علمه في قبال علم الله، إذ ينقل عنه أنجيل مرقس قوله متتحدثاً عن يوم القيمة "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الإبن إلا الأب" ^(٤٨) فهل يعقل أن يكون الإله جاهلاً بموعد القيمة؟!! وهل هناك عبارة أدل من ذلك على أن المسيح بشر يعتريه ما يعتري البشر من النقص والمحدودية؟!

- كما نجد المسيح يصرح في موارد عديدة جداً بأنه مرسل من قبل الأب كما نصحت على ذلك جميع الأنجليل ^(٤٩) ، وفي نفس الوقت يقول لهم "الحق الحق أقول لكم انه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسلي" ^(٥٠) فاليس يشهد لهم بأن الأب هو الذي أرسليه، وبأنه لا يوجد رسول أعظم من مرسليه، فهو يقول بصريح العبارة بأن الذي أرسلني أعظم مني، فهل يبقى مجال للقول بأن الأقانيم متساوية؟

٨- قال يوحنا "الله لم ينظره أحد قط" ^(٥١) المعروف أن يوحنا كان من تلامذة المسيح الملازمين له وقد رأى الكثير من معاجزه وروها في انجيله، وحينما كتب يوحنا هذه العبارة كان المسيح قد رفع إلى السماء منذ مدة، فهل يمكن أن يكون يوحنا معتقداً بألوهية المسيح ومع ذلك ينفي أن يكون قد رآه أحد؟؟؟!!

من الواضح ومن خلال هذه العبارة أن يوحنا يعتقد بأن الله ليس هو المسيح وإنما كان هناك معنى لنفي رؤيته، بل العبارة تنفي كون الله هو

الروح القدس وذلك لأن الروح القدس قد رؤي أكثر من مرة كما تشير إلى ذلك مصادرهم، وليس في سياق العبارة ما يشير إلى كون الحديث عن خصوص أقوم الأب كما قد يتوهّمه البعض، على أن العبارة قالت لم يره أحد فقط، مما يعني أن الأقوميين الآخرين أيضاً لم يشاهداه.

وعلى فرض كون المراد من هذه العبارة هو خصوص أقوم الأب، أليس من حقنا أن نتساءل فنقول: إذا كانت الأقانيم الثلاثة متساوية ومن جوهر واحد كما يقولون فلماذا يختص أقوم الأب بهذه المزية ولا يشارك فيها الأقومانيون الآخرون !!؟؟

هذه بعض الإشكالات التي تنفي نظرية الثالوث من خلال نصوص العهد الجديد، وهناك نصوص كثيرة أخرى أعرضت عن التعرض لها للإختصار، فإن في ما ذكرناه كفاية.

يتبع في العدد القادم

* * *

الهوامش

(١) يمكن تلخيص رأي الإسلام في المسيح بأنه نبي من أولي العزم، أنزل الله عليه أحد الكتب السماوية وهو كتاب الإنجيل، وهو بشر كباقي الأنبياء كما صرّح القرآن الكريم، فهو عبد الله ورسوله الذي لا يستنكر عن عبادة الله، وهو الذي ولدته مريم العذراء من غير أب، وأنه جاء مصدقاً للتوراة التي سبقته ومبينا بنوته النبي الأكرم ﷺ، وقد أنجه الله من مؤامرة اليهود الذين أرادوا صلبه فرفعه إلى السماء فصلبوا شخصاً آخر وتوهّموا أنهم صلبوا المسيح.

(٢) يمكن تلخيص نظرية المسيحية المعاصرة للمسيح على أنه إله، وهو يمثل الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس (الأب والأبن والروح القدس)، فهو ابن الله الذي جاء ليخلص البشر من تبعات الخطيئة التي ارتكبها أبوهم آدم، وقد صلب في هذا السبيل، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليرتفع إلى السماء، ويجلس إلى يمين الأب، تعالى الله عن ما يقولون علوًّا كبيرًا.

(٣) العهد القديم: هي الكتب التي كانت عند اليهود قبل مجيء المسيح، وهي كثيرة تصل إلى ٣٩ كتاباً منها أسفار التوراة الخمسة، ومنها المزامير ونشيد الإنجاد والقضاة... الخ، وعادة ما يستند لها المسيحيون لإثبات البشارة باليسوع على لسان الأنبياء السابقين، وأما التعاليم - أحکام الشريعة- التي في هذه الكتب فلا يكادون يلتقطون إليها، لأنهم يعتقدون أنها خاصة بالشعب اليهودي خلال حقبة معينة، وهناك من يضيف إلى هذه المجموعة كتاباً آخرى يسمونها بالأسفار القانونية الثانية، فيصبح المجموع ٤٦ كتاباً. ولكن هذه الإضافة غير مقبولة لدى الكنائس البروتستانتية في حين تقبلها الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية.

(٤) العهد الجديد: هو مجموعة من الكتب والرسائل التي كتبت حول المسيح والديانة المسيحية، ويصل عددها إلى ٢٧ كتاباً، منها الأناجيل الأربع (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) وأعمال الرسل ورسائل بولس و...الخ، وتعتبر هذه الكتب عند المسيحيين أهم من كتب العهد القديم.

(٥) رغم أن نظرية التثلث هي السائدة في الأوساط المسيحية إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود أشخاص ينفون هذه النظرية ويتبرأون منها، فقد ظهر في أوساط المسيحيين عدّة مفكرين رفضوا هذه النظرية والتزموا بالتوحيد الكامل، وقالوا بأن المسيح ليس إلهًا، خصوصاً في بدايات ظهور المسيحية، فقد عقد مجمع نيقية في أواسط سنة ٣٢٥ للرد على الأسقف آريوس أسقف كنيسة بو كاليس في الإسكندرية، الذي نفى نظرية التثلث وكان له الكثير من الأتباع، ورغم أن هذه الآراء بدأت بالتللاشي شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت إلا أنه كان لها بعض الرواد بين الفينة والأخرى طوال هذه القرون المتتمدة.

(٦) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، ص ٢٣٢.

(٧) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، ص ٢٣٢.

(٨) النصوص المشار إليها هي:

- ١- "قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدتة ولم تعرفي يا فيليس الذي راني فقد رأى الأب فكيف تقول أنت أرنا الأب، ألسست تؤمن أنني أنا في الأب والأب في، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحال في هو يعلم الأعمال، صدقوني أنني في الأب والأب في وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها"(انجيل يوحنا ١٤ : ٩ - ١١)
- ٢- "أما المعزي القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويدرككم بكل ما قلته لكم" (انجيل يوحنا ١٤ : ٢٦)
- ٣- "ومتي جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينشق فهو يشهد لي" (انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦)
فيقولون بأن النص الأول صرح بذلك اقوس الأب وأقوس الإبن، والنصين الثاني والثالث يحتويان على ذكر كل واحد من الأقانيم الثلاثة، فالمتكلم هو (الابن) وقد أشار إلى (الأب) (والروح القدس).

(٩) النص المشار إليه هو:

- ٤- "فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (انجيل متى ٢٨ : ١٩)

فيقولون بأن المسيح هنا يأمرهم بأن يكون التعميد باسم الأقانيم الثلاثة، وليس باسم أحدها فقط.

(١٠) النصوص المشار إليها هي:

- ٥- "نعمـة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم امين" (رسالة كورنثوس الثانية ١٣ : ١٤)
- ٦- "بمقتضى علم الله الأب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح لتکثر لكم النعمة والسلام" (رسالة بطرس الأولى ١ : ١)
- ٧- "فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧)

فيقولون بأن هذه النصوص التي جاءت على لسان الرسل تدل على أن الرسل كانوا يعتقدون بالشillet.

(١١) النصوص المشار إليها هي:

٨- "فَلَمَا اعْتَمَدَ يُسَوِّعُ صَعْدَ الْلَّوْقَتِ مِنَ الْمَاءِ وَإِذَا السَّمَاوَاتِ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَّامَةٍ وَآتَيَا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا هَذَا هُوَ أَبْنِي الْحَبِيبِ الَّذِي بَهَ سَرَرَتْ" (إنجيل متى ٣: ١٦ و ١٧)

٩- "وَلَلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدْ انْشَقَتْ وَالرُّوحُ مِثْلَ حَمَّامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ، وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ أَنْتَ أَبْنِي الْحَبِيبِ الَّذِي بَهَ سَرَرَتْ" (إنجيل مرقس ١: ١٠)

(١٢)

١٠- "وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الْشَّعَبِ اعْتَمَدَ يُسَوِّعُ أَيْضًا وَإِذَا كَانَ يَصْلِي انْفَتَحَتْ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقَدْسُ بِهِئَةٍ جَسْمِيَّةٍ مِثْلَ حَمَّامَةٍ وَكَانَ صَوْتُهُ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا أَنْتَ أَبْنِي الْحَبِيبِ بَكَ سَرَرَتْ" (إنجيل لوقا ٣: ٢١ و ٢٢)

١١- "وَشَهِدَ يُوحَنَّا قَائِلًا إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَّامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَ عَلَيْهِ، وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكُنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأَعْمَدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرًا عَلَيْهِ فَهُدَا هُوَ الَّذِي يَعْمَدُ بِالرُّوحِ الْقَدْسِ" (إنجيل يوحنا ١: ٣٣ و ٣٤).

فيقولون بأن هذه النصوص أشارت إلى الأقانيم الثلاثة ودللت على تميزها.

(١٣) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، ص ٢٣٢.

(١٤) راجع: (وحدةانية الثالوث في المسيحية والإسلام)، وهي مقالة طويلة ومفصلة للكاتب: اسكندر جديدي. وهي مشورة في العديد من المواقع المسيحية على الانترنت.

(١٥) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، ص ٢٣٣.

(١٦) وعلى سبيل المثال ورد في إنجل متى ١٦: ١٦، ما لفظه (فأجاب سمعان بطرس وقال

انت هو المسيح ابن الله الحي)، كما ورد في إنجل مرقس ٣: ١١، ما لفظه (و الأرواح

التجسة حينما نظرته خرت له وصرخت قائلة انك انت ابن الله)، كما ورد في إنجل لوقا ١:

٤ دسالة القلم  العدد الثالث

- ٣٥، ما لفظه(فلذلك ايضاً القدس المولود منك يدعى ابن الله)، كما ورد في انجيل يوحنا ٦:٦٩، ما لفظه (و نحن قد امنا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحي).
- (١٧) انجيل يوحنا ١٠:٣٨.
- (١٨) انجيل يوحنا ١٧:٢١.
- (١٩) راجع، انجيل متى ٣:١٧.
- (٢٠) الفصل السادس من كتاب (الله الخالق)، للمطران كيرلس سليم بسترس.
- (٢١) السنكسار القبطي، شهر توت: اليوم الثاني عشر.
- (٢٢) حيث يقولون بالطبيعة الواحدة للهрист، وقد اشار لهم القرآن الكريم مرتين في سورة المائدة مرة في قوله ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهَلِّكَ الْمُسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَمْمَهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلَلَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَتَّهِمُهَا بِحَلْقٍ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) وفي قوله ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمُسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)) فقد أشار المفسرون إلى أن المقصود بهاتين الآيتين هم فرقة العياقة.
- (٢٣) السنكسار القبطي، شهر مسرى: اليوم الثالث والعشرون.
- (٢٤) راجع: (وحدة الثالوث في المسيحية والإسلام)، وهي مقالة طويلة ومفصلة للكاتب اسكندر جديد. وهي منشورة في العديد من المواقع المسيحية على الانترنت
- (٢٥) راجع: رسالة يوحنا الأولى ٥:٧.
- (٢٦) قاموس الكتاب المقدس : ٢٣٣.
- (٢٧) قاموس الكتاب المقدس: ٢٣٣.
- (٢٨) معجم اللاهوت الكاثوليكي: ص ٩٧، نقاً عن (الكتاب المقدس في الميزان: ٣٤٤) للشيخ محمد علي برو.

(٢٩) القديس أغسطينوس (٣٥٤م - ٤٣٠م) هو أسقف كنيسة هيبون، كان له دور بارز في صياغة عقيدة الثالوث المسيحي كما يقول قاموس الكتاب المقدس، ومدينة هيبون هي مدينة جزائرية قديمة، وهذه القصة منتشرة في مصادر المسيحيين.

(٣٠) مقال "الإيمان المسيحي وحقيقة التثليث" وهو مقال منشور في الموقع المسيحية في الإنترنيت، وموقع باسم "ابن الدين المسيحي".

(٣١) يذكر التاريخ وجود العديد من الأنجليل التي كانت منتشرة (مثل انجيل توما، انجيل بطرس، انجيل مريم المجدلية، انجيل المصريين، انجيل ميتاس، انجيل يعقوب، انجيل يهودا، انجيل بربانيا وغيرها) وقد صدرت عدة قرارات لإلغائهما من قبل الكنيسة، كما أن هناك الكثير من الكتب كانت محط تجاذبات في الأوساط الكنسية إلى أن تم إقرارها في فترات متأخرة. مثل سفر الرؤيا الذي أقروه في بعض الكائنات ثم حذفوه مجتمع لاودكية سنة ٣٦٣م، ثم عادوا لإقراره مرة أخرى في مجمع قرطاجنة سنة ٣٩٧م، كما أن الأسفار القانونية الثانية -المعروفة بأسفار أبوكريفا- لازالت محل نزاع بين الكائنات المسيحية ففي حين تعرف بها كل من الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكسية تعارضها الكنيسة البوستانية بشدة، وترفضها جملة وتفصيلاً، فالكنيسة كانت دوما هي التي تتدخل لتحديد الكتب المقدسة، ولم تستقر اللائحة النهائية للكتب المقدسة إلا في أواخر القرن الرابع للميلاد، أي في مجمع قرطاجنة سنة ٣٩٧م.

(٣٢) يقول لوقا في أول الإصحاح الأول من إنجيله : ((لأن كثيرا من الناس أخذوا يدونون رواية الأحداث التي جرت بيننا، كما نقلها إلينا الذين كانوا من البدء شهود عيان وخدماما للكلمة، رأيت أنا أيضا بعدما تتبع كل شيء من أصوله بتدقير أن أكتبه إليك)).

(٣٣) سورة النساء: ٨٢

(٣٤) بولس هو أحد اليهود الذين

(٣٥) هذه الطبعة هي الطبعة التي أصدرتها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، وهي ترجمة متقنة ومضبوطة، وهي - وكما جاء في مقدمتها- أول ترجمة عربية تصعها لجنة

مؤلفة من علماء كتابيين ولاهوتيين ينتمون إلى مختلف الكنائس المسيحية من كاثوليكية وارثوذك司ية وإنجليزية.

- (٣٦) انجليل متى ٣: ١٧، وانجليل مرقس ١: ١١
- (٣٧) انجليل لوقا ٣: ٢١.
- (٣٨) انجليل يوحنا ١: ٣٣
- (٣٩) انجليل متى ٣: ١٤.
- (٤٠) انجليل مرقس ١٢: ٢٨-٢٩.
- (٤١) انجليل متى ٣: ١٦ و ١٧، وقد ورد شبيه بهذا النص في : انجليل مرقس ١: ١٠ و ١١، وانجليل لوقا ٣: ٢١ و ٢٢.
- (٤٢) انجليل يوحنا ١٥: ٢٦
- (٤٣) انجليل مرقس ١٤: ٣٣ - ٣٦. ومثله في متى ٢٦: ٣٧ - ٣٩، ومثله أيضا في لوقا ٤١: ٢٢-٤٣.
- (٤٤) انجليل يوحنا ٥: ١٩ - ٢٠.
- (٤٥) انجليل يوحنا ٥: ٣٠.
- (٤٦) انجليل يوحنا ٢٠: ١٧.
- (٤٧) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس ٢: ٥ - ٦.
- (٤٨) انجليل مرقس ١٣: ٣٢.
- (٤٩) على سبيل المثال راجع: انجليل متى ١٠: ٤٠، انجليل مرقس ٩: ٣٧، انجليل ٩: ٤٨، انجليل يوحنا ١٣: ٢٠.
- (٥٠) انجليل يوحنا ١٣: ١٦.
- (٥١) رسالة يوحنا الأولى ٤: ١٢.

أعْرَفْ نَفْسَكَ أَوْلَى قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ

ياسر ميرزا الحوري

المرتبة الأولى للإنسان هي المرتبة التي خلق عليها الإنسان من غير إرادة منه ولا اختيار.. وهي المرتبة التي وصل إليها الإنسان بعد أن كان نطفة ثم مضغة ثم علقة ثم جنيناً ثم طفلاً مولوداً... وهكذا وجد الإنسان من غير سعي منه لوجوده!..
وفجأة رأى الإنسان نفسه في عالم الوجود!!!.. في عالم الضياء والنور!!!..
بعد أن كان منغمساً في ظلمات العدم..

إن هذا المولود قبل سنة واحدة فقط لم يكن شيئاً مذكوراً.. وفجأة أصبح مذكوراً ومحاطاً بالرعاية والعناية والرحمة واللطف والحب من كل جانب!!...
هذه بداية وجود الإنسان.. إنها غير اختيارية.. ولم يكن بيده تحديد هويته وتحديد شكله وتحديد قدراته وتحديد ميوله الأولية الفطرية... ولم يكن بيده أي شيء!!!..

رأينا أنفسنا متمتعين بسمع وبصر وعلم وحب وبغض وبأشياء كثيرة

تمتعنا بها من غير أن يكون لنا أي دور في تكوينها...
إنها المرتبة الأولى لوجود الإنسان..... ولنسمّيها المرحلة الـلـاـإـرـادـيـة
للإنسان... .

إذن هناك إنسانية تكوينية وهي بمثابة رأس مال غير مكتسب يبدأ به
الإنسان تجارته.. وكل ما مرّ كان بياناً لهذا الأمر..

وهنا نبدأ بنقطة جديدة وهي أنَّ الإنسان عليه أن يسعى للحصول على
الإنسانية الاختيارية! وهي عبارة عن الهدف النهائي من وجود الإنسان..
والمرحلة الأخيرة التي يصل إليها الإنسان في مشوار كمالاته.. وهي الفصل
الأخير من كمالات الإنسان..

وهذه الكمالات الإنسانية الاختيارية ليست كمالات تكوينية يجد
الإنسان نفسه أنه متمنٌ بها كالبصر والسمع والإحساس والحركة وما شابه...
كلا.. فهي كمالات لا بد للإنسان أن يسعى لها بقدمه وسعيه وإرادته.. كما
في الآية المباركة ﴿وَأَنَّ لَئِنَسَانَ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (١).

هنا في عالم الدنيا هناك أشياء كثيرة حصل عليها الإنسان من غير
سعى.. ووجد نفسه ملأى بالنعم التكوينية.. ولكن في عالم الآخرة لن يكون
للإنسان إلا ما سعى إليه وحصله بإرادته.. سواء كان خيراً أم شراً.. كما هو
مفاد الآية المباركة المتقدمة..

ومن كمالات الإنسان الاختيارية التي يجب عليه السعي نحوها..
العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن.. وهذه محاور ثلاثة
تمثل العلم الحق والقلب الحي وجمال الظاهر.. ولكمالات الإنسان مراتب

أخرى غير هذه..

يبدأ الإنسان من غير علم حق ولا قلب متلائِع بأنوار الهدى.. ومن غير سلوك حسن.. ولكنه يملك القابلية لسلوك هذا الطريق.. والوصول إلى كمالاته اللائقة به..

والطريق التكاملِي الاختياري من نقطة الابتداء وهي الإنسانية التكوينية وهي المحطة الأولى لوجود الإنسان القابل للكمالات.. إلى نقطة النهاية وهي الإنسانية الاختيارية وبلغ مقام الإنسان الكامل.. هذا الطريق من نقطة الابتداء إلى نقطة الانتهاء يسمى بالصراط المستقيم للإنسان..

فالصراط المستقيم لكل موجود يبدأ مشواره من النقص إلى الكمال هو عين الطريق من ابتداء سلوك الكمال إلى نهاية بلوغ كل الكمالات اللائقة به... .

ولذا يختلف الصراط المستقيم للمخلوقات المتكاملة.. فبذرة التفاح مثلاً صراطها المستقيم يبدأ من شروعها بالتكامل إلى نهاية بلوغها شجرة تفاح مثمرة... وهكذا لكل شيء من شأنه التكامل يكون صراطه المستقيم مبتدئاً من أول نقطة للكمال ومتهاياً بآخر نقطة للكمال..

غاية ما في الأمر أنّ بذرة التفاح مثلاً غير مخيرة لأنّ تسير في طريق يوصلها إلى أن تكون شجرة برتقال مثلاً.. لأنّ طريق كمالها مشخص لا يتغير... .

بينما الإنسان.. يختلف.. فهو بإمكانه أن يتكامل تكاملاً حيوانياً بهيمياً أي من جهة الشهوة.. أو تكاملاً حيوانياً سبعياً أي من جهة الغضب.. أو

تكمالاً خيالياً شيطانياً أي من جهة الأوهام الشيطانية.. أو تكمالاً إنسانياً ملائكيأً أي من جهة العقل... وبإمكان الإنسان أن يتكمّل في الجهة الشهوة والغضب والوهم دفعه واحدة على حساب العقل.. عرفاً أنَّ على الإنسان أن يتكمّل في إنسانيته.. ولكن ما هي إنسانية الإنسان؟!!.. وكيف نتعرف عليها؟!!.. وما هي حدودها؟!!..

البعض من الناس وهم كثيرون يرون أن الموسيقى والرقص والطرب والفن والتمثيل والأزياء وما شابه ذلك كلّه يدخل ضمن دائرة كمالات الإنسان.. فدائرة كمالات الإنسان في نظرهم واسعة وأصحاب هذه الفنون يرون أنفسهم قد تكاملوا في الإنسانية وبلغوا قصب السبق فيها.. ولكن مما لا شك فيه عند الإسلام أنَّ بعض هذه الفنون تشکّل نقصاً فادحاً لإنسانية الإنسان وتلقى به بعيداً عن حاشية الصراط المستقيم الإنساني... .

والسؤال هنا كيف تميّز تميّزاً عقلياً بين الأشياء التي تعد كمالات حقيقة للإنسان وبين الأشياء التي تعتبر كمالات زائفة للإنسان.. يحسب ويتوهم أنها كمال ولكنها نقص و وبال على إنسانيته؟!.... وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي علينا أن نتعرف على فطرة الإنسان ونحددها تحديداً واضحاً يميّزها عن غيرها من صفات الحيوان والنبات والجماد... وذلك لأنَّ التكمال الإنساني في خط الفطرة فقط يكون تكمالاً إنسانياً حقيقياً... وأما إذا كان تكمالاً في خط الحيوان مثلاً فليس تكمالاً بشرياً بل هو تكمال حيواني لا إنساني..

بيان الفطرة..

من الواضح للمطلعين على علوم القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام أن الفطرة محظ اهتمام قرآني وروائي وديني.. إلى درجة أن الله عز وجل يوكل الدين القيم كله بحذافيره إلى الفطرة في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فُطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).
فما هي هذه الفطرة؟؟...
الجواب:

لا يخفى على أحد أن الإنسان يمتلك عدة أبعاد مختلفة.. إنه مركب من أبعاد وليس بسيطاً ذا بعد واحد.. فهو مركب من البعد الجسماني الجمادي والبعد النباتي والبعد الحيواني والبعد الإنساني.. كيف ذلك؟؟!!..
فإننا نجد أن لدى الإنسان جسمية وصفات الجسم كالامتداد في الاتجاهات الثلاثة وال الحاجة إلى المكان والتحيز.. ولكن الإنسان ليس مساوياً للجسم بل يتميز عن الأجسام بصفات خارجة عن إطار الجسم... كالحس والحركة والإدراك مثلاً.

وكذلك نجد لدى الإنسان كمالات نباتية!.. من قبيل نمو الجسم فجسم الإنسان ينمو كما هو الحال لدى أجسام النبات.. فنمو جسم الإنسان هو جانب نباتي.. ولكن يبقى أن الإنسان أيضاً ليس مساوياً للنبات وأن لديه كمالات أرفع من النبات.. كالحس والحركة والإدراك مثلاً..
وكذلك نجد لدى الإنسان كمالات حيوانية.. من قبيل الحس

والحركة الإرادية والإدراك لما حوله.. والميل نحو الطعام والشراب والجنس.. والخوف من الخطر.. وما شابه مما يشترك به الإنسان مع الحيوان.. ولكن هل الإنسان حيوان محض لا يتميز بشيء عن سائر أنواع الحيوان الأخرى.. أم أنه يرتفع بكمالاته إلى مستوى أرفع من الحيوان ويتجاوز الحيوانية كما تجاوز من قبل الجسمية والنباتية !!!...
لا أعتقد أن ثمة في العالم من يقول عن نفسه أنه حيوان محض أو حتى يتحمل ذلك.. ومن أقطع الشكأن تسب شخصا فتقول له يا حيوان!!! مع أنه لو قيل له يا جسم لكان أقل فطاعة ومفضلا عند هذا الشخص!!!!

فلماذا النفور من الحيوانية!!! وهي إحدى أبعاد الإنسان وبعض مراتبه الكمالية!!!؟؟؟!!!.

هذا النفور من الحيوانية خير دليل على ارتقاء الإنسان عن مستوى الحيوانية ليتجاوزها ويرتفع عنها ارتفاعا هائلا.. ليبلغ إلى هضبة الإنسانية.. إنها الهضبة التي سيبدأ منها السير والسلوك نحو الله تعالى ليتنهي به المقام إلى قمة جبل الإنسان الكامل..

فالإنسان يتميز عن الحيوان بنفس ناطقة.. فما هي النفس الناطقة!!!..
النفس الناطقة هي النفس التي لديها قدرة على الإدراك والاستنتاج والتعبير عن ذلك بالنطق.. فهي نفس اجتماعية أيضا.. أي تحاور الآخرين في مدركاتها واستنتاجاتها.. وهذا ما لا يمتلكه أي نوع من عالم الحيوان..
نعم هناك في الحيوان قوة إدراك.. لكنه ليس إدراكا استنتاجيا..

فالحيوان لا يمكنه أن يجلس ويفكر ويجمع المعلومات ثم يأخذ النتيجة المناسبة... وحتى لو فرضنا جدلاً أن بعض الحيوانات وصلوا لهذا المقام لكنه سيكون تفكيراً ضعيفاً لا يؤهل هذا الحيوان للتكامل والرقي.. ولذلك لا نجد رقى في عالم الحيوان.. فالبقر هو عين البقر قبل ألف وألفي عام وهكذا...

يبينما قوة إدراك الإنسان قوية جداً للدرجة التأهل للتكامل والرقي..
لدرجة معرفة أسرار الكون.. لدرجة بناء رؤية كونية فلسفية شاملة.. لدرجة
التأهل لمعرفة أسرار عوالم الغيب وما وراء الطبيعة... لدرجة معرفة الحالق
البارئ المصور ومعرفة صفاته الذاتية والأفعالية..

وهناك لدى الإنسان جهاز يختلف نوعاً عن العقل والمعرفة والإدراك.. ولكنه متصل بمقام العقل.. فالعقل يمدّه بالمعرفة وأما هو فدوره الشعور والإحساس بهذه المعرفة.. إنه القلب..

فالعلاقة بين عقل الإنسان وقلبه هو أنَّ الأول يدرك والثاني يشعر..
الأول يدرك مثلاً وجود الله عز وجل والثاني يشعر بوجود الله عز وجل..
إذن للإنسان مقامان.. مقام العقل.. ومقام القلب..

ومن المقام العقل هو قوة إدراك الأشياء واستنتاج الحقائق.. هذا المقدار أمر تكويني خلق عليه الإنسان.. وعلى الإنسان من جهة اختيارية أن يستغل قوته العقلية من أجل الوصول إلى الحقائق الكونية والإلهية.. من قبيل الوصول إلى إدراك معرفة وجود الله عز وجل وعدله وحكمته وعلمه وقدرته وما شابه.. ولكن البعض لا يستغلون القدرة العقلية من أجل الوصول إلى هذه

الحقائق الربانية.. بل يستغلونها في بناء أمر الدنيا وكيفية تعميرها فقط!!!
فعندما تسأّلهم عن أمور دنياهم يش Moreno عن سواعدتهم الأدبيات!!!.. ولكن لو
سألتهم عن أمر خالقهم وآخرتهم لتلكأوا وحاروا!!!.. وكأنّ أذهانهم لم
تخلق لهذا الشأن!!!..

وتقام القلب هو قوة الشعور بالأشياء المدركة بالعقل .. وهذه القوة
موجودة لدى الإنسان في أصل تكوينه ولكن على الإنسان اختياراً أن
يستغلها ليصل إلى مقام الشعور بوجود الله عز وجل بعد الإدراك العقلي به
تعالى.. وهكذا بالنسبة إلى سائر الحقائق الإلهية ينبغي أن تنتقل كلها من
مقام العقل إلى مقام القلب.. من مقام الإدراك إلى مقام الإحساس والشعور
والذوق.. والفرق بين العقل والقلب كالفرق بين معرفة الحلاوة وتذوق
الحلاوة.. فالعقل معرفة مجردة والقلب تذوق وشuron..
إذن.. للإنسان نفس ناطقة تميزه عن سائر أنواع الحيوان.. وهذه النفس
الناطقة لها مقامان.. مقام العقل ومقام القلب..
ولمقام العقل حيّثيات...
حيّثية بها يدرك الأشياء التي لا علاقة لها بالفعل أو عدم الفعل.. مثل
إدراكه بأنّ الواحد نصف الاثنين..

وحيّثية يدرك بها الأشياء من حيث وجوب فعلها أو وجوب تركها...
مثلاً يدرك الإنسان بعقله وجوب فعل العدل ووجوب ترك الظلم.. وهذا ما
يعبر عنه بإدراك العقل لحسن العدل وقبح الظلم.. فالعقل يقول أنّ العدل
حسن (أي ينبغي فعله ويجب)، وأنّ الظلم قبيح (أي لا ينبغي فعله ويجب

تر كه) ..

والحيثية الأولى للعقل التي يدرك بها الأشياء من غير توجه إلى لزوم الفعل أو لزوم الترك تسمى بالعقل النظري.. والحيثية الثانية التي يدرك بها العقل الأشياء من جهة لزوم الفعل أو الترك تسمى بالعقل العملي..

ومن خلال الأمثلة المقلبة سيتضح الفرق الشاسع بين العقل النظري والعقل العملي للإنسان.. ونبذأ بالعقل العملي لأنّ أمثلته أوضح.. ونقول بأنّ العقل العملي لا يتناول إلا المسائل التي فيها حسن عملي أو قبح عملي.. مثلا يقول الأب لطفله: (الكذب قبيح).. (الصدق حسن).. (الغرور قبيح).. (التكبر قبيح).. (التواضع حسن).. (الغضب في غير موضعه قبيح).. وهكذا... وكل هذه المسائل هي إدراكات يدركها العقل.. وتسمى بإدراكات العقل العملي..

ويمكن أن يقال هنا أن كل مسائل الأخلاق التي فيها توجيه عملي للإنسان هي من مدركات العقل العملي للإنسان... .

وأما العقل النظري.. فلا تحتوي أي مسألة من مسائله على كلمة قبيح أو حسن.. مثلا علم الرياضيات كله من العلم النظري الذي يخلو عن التعبير بالقبح والحسن.. فالمعادلات والهندسة والجبر وما شابه.. لا يرد فيها أي تعبير عن القبح أو الحسن... فلا يقال هذه المعادلة حسنة أو قبيحة!!!.. نعم يقال صحيحة أو خاطئة..

ومن أمثلة العقل النظري أيضا علم العقائد.. ابتداء من التوحيد وانتهاء بالإمامية.. إلا بعض المسائل كحسن عدل الله.. وحسن لطف الله بعباده وما

شابه.. وهي التي ترد فيها تعبيرات الحسن والقبح إشارة إلى الجانب العملي من لزوم الفعل أو لزوم الترک.. ولكن سائر المسائل التي لا يرد فيها هذا النوع من التعبير هي من نوع العقل النظري كمسألة أن الله تعالى موجود وأنه عز وجل كامل وأنه واحد وما شابه..

نعم إن العقل النظري قد يمد العقل العملي بالإمدادات الالزمة.. مثلا يقول العقل النظري الخالق موجود.. هنا يأتي العقل العملي ويقول.. إذن تجب عبادة الخالق وأن عبادة الخالق حسنة.. فهنا عندنا معلومتان.. إحداهما من مدركات العقل النظري والأخرى من مدركات العقل العملي.. هما: الخالق موجود، عبادة الخالق حسنة... حيث الأولى نظرية والثانية عملية كما هو واضح...

ونعود لنقول أن مقام العقل بحيثيته النظرية والعملية هو جانب تكويني في الإنسان وليس باختياري.. بعبارة أوضح أن الله عز وجل أنعم علينا بقوة عقلية من خلالها يمكننا أن ندرك الجوانب النظرية والعملية.. إلى هنا انتهي الجانب التكويني.. ويبقى الجانب الاختياري وهو استغلال العقل وتوجيهه بقوته النظرية والعملية نحو الهدف المطلوب من وجود الإنسان وخلقه...

إذن هناك جهازان إلهايان خاصان بالإنسان.. هما جهاز العقل وجهاز القلب.. والعقل يتفرع إلى العقل النظري والعقل العملي.. والعلاقة بين هذه الأمور الثلاثة هي أن العقل النظري يدرك ثم العقل العملي يأمر أو ينهى ثم القلب يشعر ويتأثر...

مثال ذلك:

العقل النظري يدرك وجود الله عز وجل..

العقل العملي يأمر بعبادته ويقول أن عبادته حسنة...

القلب يشعر بالعبادة والذل والذوبان..

والمشكلة التي يواجهها الإنسان هنا هي أنه قد يفهم عقله النظري شيئاً ثم يأتي العقل العملي يأمره بأدائه.. وهذا يدل على أن مقام العقل بكل حيويته مفعّل لدى هذا الإنسان.. ثم تقوم الإرادة بالاستجابة لأمر العقل العملي.. وهذا يدل على قوة الإرادة وفاعليتها..

ولكن رغم أن العقل والإرادة مفعلن.. إلا أن مقام القلب في غالب الأحيان يبقى معطلاً.. ولا يحصل له أي أثر.. مع ملاحظة أن دور القلب الأساسي هو الانفعال لا الفعل.. فنجد القلب غير منفعل وغير متأثر وليس به ذرة من شعور أو إحساس...

مثال ذلك.. الصلاة.. فقد مرّت الصلاة على مقام العقل نظرياً وعملياً.. ثم دخلت مرحلة الإرادة والتطبيق.. ولكن في الأعم الأغلب لا نجد لها أثراً في القلب أو يصعب ويتعدّر الشعور بحقيقة الصلاة...

ولذلك نعرف أن مقام القلب قد يختلف عن الاستجابة رغم فعلية مقام العقل والإرادة.. بل هناك ما هو أكثر!.. وهو أن يستجيب القلب لأشياء مضادة لإدراكات العقل النظري والعملي معاً!!!...

مثلاً.. يدرك العقل نظرياً ضرر شرب الخمر نظرياً .. ويدرك بأنه قبيح عملياً.. ولكن القلب يستجيب استجابة مضادة عند بعض الأشخاص فيشعر

بحب شرب الخمر ويسعى بالسعادة حين الشرب!!...
ستتحدث فيما بعد حول هذا الموضوع...
ولكن كل الذي يهمنا الآن.. هو بيان فطرة الإنسان!... فما هي
الفطرة؟!...

وقد كانت هذه مقدمات ضرورية لفهم الفطرة...
ولإيضاح حقيقة الفطرة نحتاج أن نركّز على أبعاد الإنسان المختلفة..
ثبت لنا بالوجدان أنَّ للإنسان جسماً..
كذلك أنَّ له نفساً نباتية..
كذلك أنَّ له نفساً حيوانية..
وأخيراً أنَّ له نفساً إنسانية ناطقة.. فيها عقل نظري وعملي وقلب
شاعر..

ومن الواضح كما كررنا ذلك مراراً في بداية الموضوع هو أنَّ الإنسان
 بكل هذه النعم الجسمية والنباتية والحيوانية والإنسانية هو مخلوق وقد
 خلقت معه هذه النعم من غير أن يختار جسميته أو نباتيته أو حيوانيته أو
 نفسه الناطقة بعقلها وقلبه..

وفجأة وجد نفسه موجوداً مزيجاً من جسمية ونباتية وحيوانية
 وإنسانية... وسمي إنساناً تبعاً لأشرف أجزاءه...
 ونذهب الآن للجسم لنجد أنَّ له خصائص خاصة مطبوعة في
 جسميته.. هي خصائص تكوينية في الجسم...
 مثلاً جسم الماء له خصائص تكوينية مثل السيولة والشفافية وانعدام

الرائحة وهكذا...

ومثل جسم الحديد له خصائص تكوينية مثل الصلابة والصدأ مع الماء وغير ذلك.. وهكذا كل جسم له خصائص تكوينية... ولنذهب إلى النبات لنجد أن النباتية من حيث النباتية لها خصائص تكوينية كالنمو والتنفس..

ولنذهب إلى الحيوان.. لنجد أن الحيوانية من حيث الحيوانية لها خصائص تكوينية من قبيل الإحساس بشهوة الجنس والمأكل والمشرب والإحساس بالغضب وغير ذلك أيضاً مما هو من خصائص الحيوانية... ولنأت الآن إلى الإنسان!! ولنبحث في أعماق الإنسانية!! ماذا سنجد؟!! سنجد خصائص إنسانية.. فما هي؟!! إنها خصائص فطرها الله داخل النفس الناطقة... إنها عناصر إلهية غرذت في عمق النفس الإنسانية... سأعود قريباً لأبيتها.. ولكن قبل ذلك علينا أن نعرف بأن خصائص الجسم من صلاة وسيلة ونعومة وخشونة وما شابه تسمى هذه الخصائص بالطبع الجسمية...

وأن خصائص النبات من نمو وتنفس تسمى بالطبيعة النباتية... وأن الخصائص الحيوانية من إحساس بالشهوة والغضب وغير ذلك تسمى بالغرائز الحيوانية..

والآن اقتربنا نحو الفطرة!! لأنها هي الخصائص الإنسانية.. هي العناية الإلهية التكوينية التي غرذت في نفس الإنسان الناطقة.. هذه لا تسمى بالغريرة إلا مسامحة.. لأن اسمها الفطرة..

ولكن ما هي هذه الخصائص بنحو من التفصيل؟!!..
الفطرة التي فطر الناس عليها هي تلك الخصائص التكوينية التي
أودعها الله عز وجل في النفس الناطقة الإنسانية..
وبما أنَّ النفس الناطقة لها مقامان مقام العقل ومقام القلب فيمكن
تقسيم الفطرة إلى قسمين.. فطرة متعلقة بالعقل وفطرة متعلقة بالقلب..
فالعقل في الإنسان له خصائص تكوينية قد فطر عليها.. كما أنَّ القلب
له خصائص تكوينية قد فطر عليها....
ونبدأ بالفطرة التي فطر عليها العقل..

ووجد عقل الإنسان نفسه مفطوراً على معرفة البدويات.. مثلاً وجد
نفسه يعلم بأنَّ اجتماع التقىضيين محال.. وأنَّ لكل أثر مؤثراً.. وأنَّ الكل
أعظم من جزئه..

كانت هذه أمثلة لحيثية العقل النظري.. وأما العقل العملي فكذلك
ووجد نفسه مفطوراً على معلومات بدويية من قبيل أنَّ العدل حسن والظلم
قبيح..

فهذه كلها معلومات فطر عليها عقل الإنسان.. ويمكن أن يقال بتعير
آخر فطر على أن يعرفها.. فمستحيل أن لا يعرفها.. فهو غير مختار في
معرفتها.. لأنَّ وجد نفسه مفطوراً على معرفتها..

هذه فطرة العقل..
وأما فطرة القلب..

فالقلب أيضاً وجد نفسه مفطوراً على مشاعر فطرية موجودة في

أعماقه من غير أن يكون مختاراً في وجودها....

من قبيل حب الكمال المطلق..

حب البقاء والخلود..

حب النعيم والرحة المطلقة..

حب الإنسان الكامل..

حب العلم والمعرفة....

انظر إلى هذه المشاعر القلبية الفطرية... إنها ميول إلهية مغروزة في قلب كل إنسان.. مهما كان مكان هذا الإنسان أو زمانه أو عرقه أو حضارته.. فهو في كل الحالات المختلفة المتباينة المتشتتة تراه يشعر بهذه المشاعر الفطرية من غير أن تكون البيئة أو الوراثة أو الحضارة أو العرق والجنس أو الفقر والغني مانعاً عن وجود هذه المشاعر الفطرية في قلب الإنسان...
إنها من فطرة الله التي فطر عليها القلب.. لا تبديل لخلق الله..
هذه هي الفطرة.. إنها خصائص إنسانية انفرد بها الإنسان.. وهي لا

تتوفر لدى الجسم والنبات ولا الحيوان..

بعد كل هذا نرجع لموضوعنا الأول!..

لنقول أن تكامل الإنسان إما أن يكون حقيقياً راجعاً إلى التكامل في الحقيقة الإنسانية، وإما أن يكون تكاملاً خارج إطار الحقيقة الإنسانية، كأن يكون التكامل في الجسم والنباتية والحيوانية - وهي أبعاد موجودة في الإنسان ويمكن أن يتکامل فيها، ولكن على حساب عقله وقلبه - تكاملاً

مضاداً للنفس الناطقة.... كيف ذلك؟؟؟...

لأنَّ الإنسان يمتلك أبعاداً أربعة فهو مؤهل للتكامل في أيِّ من هذه الأبعاد. غاية ما في الأمر أنْ هناك تعارضاً بين هذه الأبعاد ولا يمكن التكامل فيها جميعاً بنحو مطلق.. فبعضها ضد الآخر وبعضها يرفض الآخر.. والإطلاق لأحدِها يوجب التقيد في الآخر....

والذِي يهمنا من هذه الأبعاد الأربعَةَ هما بعدهنَ فقط.. الجانب الحيواني والجانب الإنساني.. وأما الجسمية والنباتية فتأثيرهما على نفس الإنسان بنحو ضعيف خاصَّةً إذا عرَفنا أنَّ التكامل الجسمي والنباتي (النمو والتنفس) شبهٍ تكوينيٍّ...

وأما الجانب الحيواني فله تأثيرٌ كبيرٌ جداً على نفس الإنسان إلى درجةٍ يمكن أنْ يصبح فيها الإنسان كما قال الإمام علي عليه السلام: (الصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان!)^(٣).

والصراع الأعمق الذي يدور في باطن الإنسان هو بين الحيوانية ومتطلبات الغرائز الحيوانية وبين الإنسانية ومتطلبات الفطرة الإنسانية... فلا يمكن الجمع بين متطلبات الغرائز الحيوانية ومتطلبات الفطرة الإنسانية... فالغرائز تدعُوا إلى طريق الفطرة تدعُوا إلى اتجاه آخر معاكس تماماً!...

ولا يعني هذا أنَّ الفطرة تدعُوا إلى قتل الغرائز!.. كلاً أبداً!!.. بل تدعُوا إلى تنظيمها وتقييدها.. ويمكن مع تقدير الغرائز أنْ تصبح هذه الغرائز المقيدة عوناً للإنسان في سلوكه صراط الفطرة المستقيم...

ولا يوجد صراع حينها بين الغرائز والفطرة.. لأنَّ الصراع أساساً ناشئ من انطلاق الغرائز من غير حدود فتتجاوز المصالح الفطرية وتضر بمتطلبات الكمالات الفطرية... وهذا يخالف ما لو تقييد الغرائز بحدود مناسبة للفطرة وكمالات الفطرة.. فإنها حينئذ لن تتعارض مع الفطرة وسوف تصبح رفيقة الفطرة في طريق الكمال الإنساني...
وهذا يعني أنَّ الإنسان بين عدة خيارات:

- ١- أن ينطلق في طريق الغرائز من غير حدود ضارباً بعرض الحائط أي معارض لغرائزه الحيوانية.. حتى لو كان هذا المعارض أمراً فطرياً...
- ٢- أن ينطلق في في طريق الفطرة من غير حدود.. محارباً أي غريزه تقف في وجه الفطرة..
- ٣- أن لا ينطلق في الغرائز ولا ينطلق في الفطرة.. أحياناً يأخذ من الغريزة ما يضر بالفطرة وأحياناً أخرى يأخذ من الفطرة ما يضر بالغريزة...
وهذه هي الخيارات الممكنة أمام الإنسان.. وهناك خيار آخر لكنه مستحيل!.. وهو أن ينطلق في كل من الغريزة والفطرة معاً.. هذا مستحيل لأن الانطلاق في الفطرة يوجب التقييد في الغريزة كما أنَّ الانطلاق في الغريزة يوجب التقييد في الفطرة.. فالانطلاق في أي منها يوجب تقييد الآخر.. وعليه يستحيل الانطلاق فيهما معاً من غير أن يتقييد الآخر...
وبقي أمامنا الخيارات الثلاثة الممكنة...

نريد مناقشتها.. لمعرفة أي من الخيارات هذه يجب أن يسلك الإنسان في طريق تكامله الحقيقي..

الخيار الصحيح الذي ينبغي على الإنسان اختياره هو الخيار الثاني أي التكامل المطلق في الجانب الفطري والمقييد في الجانب الغريزي..
ويعني ذلك أن الجوانب الفطرية نور وبهاء مطلق.. لا يحدوها حد ولا يقيدها قيد.. ويمكن إيضاح هذا المعنى بهذا الشكل:

ولنأخذ مثلاً لأحسن وأرقى فطرة عند الإنسان وهي فطرة التعلق بالكمال والجمال المطلق الذي لا تشوبه شائبة نقص أبداً.. فهو أي الكمال المطلق الذي هو الله عز وجل: نور مطلق من غير ظلمة (طبعاً ليس المراد من النور معنى الضوء الفيزيائي بل إذا أطلق على الله عز وجل يكون بمعنى الوجود وتكون الظلمة بمعنى العدم).. وهو قدرة كله من غير عجز وعلم كله من غير جهل وحياة كله من غير موت.. فلا يشذ عن ذاته كمال ولا صفة جمال..

فهو تعالى محبوب الإنسان الحقيقي... والإنسان كل إنسان.. والبشر كل البشرية لا يحبون في واقع أمرهم سوى الله عز وجل!.. هذا ما تقوله فطرتهم.. التي جبلوا عليها...

نحن لم نخلق لنحب أي شيء مطلقاً سوى شيء واحد وهو الجميل المطلق والكمال المensus.. وكل شيء لا يكون جمالاً مطلقاً ولا جمالاً محضاً ويكون مشوباً بالنواقص فهو خارج عن تعلق قلب الإنسان!... ولذلك نجد الإنسان يحب كمال الشيء وينفر من نقصه.. مثلاً يحب الكمال الذي في الأكل وينفر من نواقص الأكل.. يحب السيارة من جهة كمالها وينفر من نقصتها...

لا يستطيع الإنسان أن يتعلق قلبه بالنقص.. هذا أمر فطري.. خلق عليه
الإنسان...

فقلب الإنسان وقف على الكمال.. الكمال وحسب.. ولا مجال لغير
الكمال إلى قلب الإنسان... فما أعظمها من فطرة!.. وما أعظمها من صبغة
إلهية!.. ومن أحسن من الله صبغة.. صدق الله العلي العظيم...
فطريق الفطرة يقول للإنسان سر في خط الكمال المطلق.. لأن قلبك
متولع به.. اترك عنك الكمال الناقص.. لأن قلبك متغفر عن الناقص ومتولع
بنور الجمال الأقدس...

وينبغي هنا أن نفهم شيئاً مهماً جداً...

وهو أن الفطرة هي قابلية التعلق بالجمال المطلق.. وليس الفطرة هي
حصول التعلق بالفعل.. ويمكن أن نفهم الفرق بين القابلية والفعل من خلال
هذا المثال.. نحن نقول هذا الطفل طيب بالقوية والقابلية.. أي أنه يملك
قابلية أن يكون طيباً ولكنه لم يصبح طيباً لحد الآن.. هذه جهة القابلية..
ونقول أيضاً.. هذا الرجل طيب بالفعل.. أي أنه الآن هو طيب حقيقة..
وهذه جهة الفعلية...

والذي نريد أن نقوله هنا هو أن الفطرة هي قابلية التعلق بالله عز وجل
باعتباره تعالى الكمال والجمال المطلق في الوجود.. ولا تعني الفطرة أن
هناك تعلق قلبي حقيقي بالفعل...

ومن هنا نقول أن الله عز وجل خلق في نفس الإنسان قابلية التعلق
القلبي بالكمال المطلق.. وعلى الإنسان أن يستغل هذه القابلية ليوصلها إلى

حد الفعلية ويصبح متعلقا بالكمال المطلق حقيقة وبالفعل... ولكن يمكن أيضا أن لا تستغل هذه القابلية الفطرية وتهمل وتفسد.. كما تفسد قابلية البذرة لتصبح شجرة.. وذلك حينما تهمل البذرة ولا تستغل قابليتها بالشكل المطلوب.. فيمكن أن تهيا الأرضية الخصبة للبذرة لتصبح شجرة مثمرة ويمكن أن ترمي في الشارع أو الصحراء فتضيع قابليتها هباء.. وفساد قابلية التعلق بالكمال المطلق تنشأ من التوجّه القلبي للكمالات الناقصة.. رغم أن القلب يحب جهة الكمال وينفر من جهة النقص إلا أن القلب ممكّن أن يخدع!! ويصور له النقص على أنه كمال... ويحسب ما ليس بكمال كاما.. ويحسب ما ليس بجمال جمالا...).

ومن هنا يبدأ نور الفطرة بالخفوت!! وتوهج التعلق بالكمال المطلق الحقيقي بالانطفاء.. ويبدأ الإنسان يحب ما يحبه الحيوان!! ويتعلق بالكمال الزائل والناقص.. والارتباط بالأأنوار الناقصة.. ويبعد عن مصدر النور المطلق شيئاً فشيئاً.. ويصد عنه.. ويحسب أن الارتباط بالنور المطلق خرافه.. وإن لم يعتقد أنه خرافة وأسطورة فإنه على الأقل سيتجنب الارتباط به خوفا على ضياع الكمالات الناقصة وفقدانها.. رغم أن العقل يقول أن النور الأتم يغنى عن النور الناقص..

عموما إن التوجّه الفطري نحو الله عز وجل والكمال المطلق يضر بالغرائز الحيوانية.. ولا يسمح لها بالانطلاق بلا حدود.. لأن الغرائز الحيوانية تلهي الإنسان عن الكمال المطلق وتجعله مرتبطا بالكمالات الحيوانية الناقصة... رغم أن الإنسان يريد أن يحلق بعيدا نحو الجمال الأبدي..

و كذلك بالنسبة إلى فطرة حب البقاء والخلود.. تدعى الإنسان إلى كره الدنيا الزائلة.. والتعلق بالحياة الحقيقة التي لا موت فيها.. التي هي الدار الآخرة والتي عَبَرَ عنها القرآن الكريم بدار الحيوان أي دار الحياة الفوارة التي تفوت دائماً من غير موت.. والحيوان استعمل هنا مبالغة في الحياة.. وهذه الفطرة وتنميتها والعمل طبقها يتعارض مع الانطلاق في الغرائز الحيوانية التي تعطل الطاقة البشرية عن تعمير الآخرة وتدعى إلى تعمير الدنيا..

إذن طريق الفطرة كلها نور وبهاء وينبغي الانطلاق فيه.. بينما الغرائز الحيوانية هي مجرد وسيلة لحفظ النفس والنسل وينبغي أن لا تكون محور حياة الإنسان..

إذن هناك في نفس الإنسان قابلية غرائزية حيوانية.. وهي تدعى إلى الانطلاق في خط الشهوة والغضب بلا حدود.. حتى إذا كان على حساب العقل والفطرة...

وهناك في أعماق الإنسان أيضاً.. فطر نورانية زرعها الله عز وجل بيدي جماله وجلاله.. من أجل أن يقوم الإنسان بدورة تنميتها وإيصالها إلى كمالها المطلوب... فقد غرز الله تعالى فينا فطرة حب الكمال المطلوق حتى تبني هذه الفطرة ونوصلها إلى أعلى مستوى لها وهو عشق القلب لنور الله الساطع..

وما جاءت العبادات والإرشادات النبوية إلا لهذا الغرض... لكي تبني فطرة الإنسان ونوصلها إلى أعلى شدة لها...

ومن هنا لا بد أن نعرف أن إرسال الرسل والأنبياء إلى الناس أساسا من أجل تنمية الفطرة.. وبعبارة أخرى إن الله تعالى أرسل مع الأنبياء خريطة متكاملة لتنمية الفطرة..

ولذلك ورد في الروايات المباركة عن أهل البيت عليهم السلام أن الإسلام دين الفطرة... أي أنه جاء موافقاً للفطرة منمياً لها زارعاً لها موصلاً لها لأعلى مستوياتها...

إذن الإنسان في طريق تكامله الفطري يحتاج إلى نورين وحجتين...

نور في باطنه وهو نور الفطرة والعقل..

ونور من خارجه وهو نور النبوة والرسالة...

سأقف عند هذا الحد!..

وأسأل الله عز وجل التوفيق لي ولكم..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

* * *

الهوامش

(١) سورة النجم، الآية ٤.

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٣) نهج البلاغة، ج ١، ص ١٥٣.

الرؤى الكونية

محمود عاشور عبد علي عاشور

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيْلَلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ
كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ،
فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١)

هناك نظريتان للرؤية الكونية:

الأولى: عالم الوجود حقيقة.

الثانية: عالم الوجود وهم وخيال وهي النظرية السوفسائية .

أولاًً نتكلّم في النظرية الثانية جواباً فقط، لعدم الجدوى من ذكر استدلالاتهم، وبيانها يتضح لنا صحة النظرية الأولى.

الدليل على إبطال مذهبهم هو بأن تعاملهم يدل على وجود الحقيقة فإنهم إذا جاعوا أكلوا وإذا تعبوا ناموا وإذا مرضوا تداووا.... الخ، فهذا دليل على بطلان مدعاهم، وإن أبوا فإنهم مرضى وعجز عن شفائهم الدواء وآخر الدواء هو الكي ” كما يقال ” ليفيقوا من وهمهم

وبهذا يتضح أن العالم له حقيقة، ولكن بعد اتضاح هذا المطلب، نواجه مشكلة أخرى، وهي الاختلاف في الإدراك .

هل إننا ندرك الحقيقة كما هي أم لا ??? فهنا نظرية الشك:
نظرية اليقين ونظرية الشك ...
نببدأ بنظرية الشك وبطلاً لها يؤدي إلى صحة نظرية اليقين .

❖ نظرية الشك :

هذه النظرية عبارة عن سفسطة ولكن بصورة جديدة، وإن زعم أصحابها أنها طريقة وسطى بين السفسطة والفلسفة " أصحاب نظرية اليقين " طرح أصحاب نظرية الشك شبهات على الإدراك وتوصلوا من خلالها بأن إدراك الحقيقة لا يمكن .

الشبهة الأولى: خطأ الحواس وهي بأن الحواس لا ترى ما هو الواقع، فمثلاً البصر يرى العصا في الماء مكسورة وفي الخارج مستقيمة، وحاسة اللمس اذا وضع أحدهم يده في ماء بارد واليد الأخرى في ماء ساخن ثم وضعهما في ماء دافئ فإن كل يد تعكس حرارة الماء غير ما تعكسه الأخرى وقس على ذلك بقية الحواس .

والجواب بوجهين:

الوجه الأول: وهو نفس الجواب الذي أجب به على السوفسطائيين وهو تعاملبني البشر ومن ضمنه الشراكين والسوفسستائيين، فإنهم يتعاملون تعامل من يعترف بوجود حقيقة كما أسلفنا سابقاً وهذا التعامل قد ولد بواسطة الحواس .

الوجه الثاني: هو اهتداؤهم إلى أن الحواس تخطئ فلا بد لهذا الاهتداء من سبب، فإن كان العقل فهم ينكرونه وإن كان شيء آخر فلا بد

أن يبيّنونه وإن كان الحواس فيبطل ما يقولونه.

الشّبهة الثانية:

خطأ العقل:

ودليلهم على خطئه، أن الأدلة والبراهين العقلية لو كانت نافعة لتفتت عشاقها وأنقذتهم من الغرق في بحر الأوهام وجنحتهم للأغلاط، والجدال بينهم قائم على قدم وساق . إذن لا يطمئن الإنسان إلى ما يقف عليه عن طريق العقل .

الجواب أن ما ذكروه في حد ذاته استدلال عقلي يحتاج إلى مقدمات وينتهي إلى نتيجة .

❖ نظرية اليقين:

وهي أن كل ما يدركه الإنسان له واقع في الخارج، ومنهج هذه النظرية يعتمد على أصلين:

الأول: وهو أن وراء الذهن والذهنيات واقعيات خارجية .

الثاني: أن كل إنسان قادر بحسب ما جهز من أدوات المعرفة على إدراك هذه الواقعيات .

ولفلسفه الإسلام دور كبير في تشييد هذا المنهج .

بعد إثبات وجود حقيقة لعالم الوجود وإمكان إدراك هذه الحقيقة .

هل هناك حقيقة وراء حقيقة الوجود ??? هنا نظريتان: نظرية تقول بوجودها والأخرى تنكرها .

نبداً أولاً بالنظرية المنكرة: وهي تقول بأن هذا العالم مادّي ونظامه

خواص لهذه المادة، فمثلاً يرون التفكير الذي هو مجرد عن المادة هو تفاعل للمادة . أما النظرية التي تقول بوجود حقيقة وراء حقيقة الوجود، هذه النظرية في الواقع تنقسم إلى نظريتين.

الأولى: نظرية تقول بأن وراء هذا العالم حقيقة واحدة ومؤثر واحد والأخرى ترى أكثر من مؤثر .

البرهان: ونكتفي بذكر واحد:

وهو برهان النظم: لو نظر أي إنسان إلى نظام هذا العالم لرأه منظم ومنسق فالشمس تشرق كل يوم وتغرب فيتشكل الليل والنهار والقمر ينزل منازله كل شهر وغيرها من النظم . هذا النظام هو نظام واحد ولا يصدر إلا من واحد، لأن المؤثر في هذا العالم إذا كان أكثر من واحد فلا بد أن تغلب قدرة أحدهما على الآخر . وهذا النظام لا يعود إلى المادة كما زعم الماديون لأن المادة مجردة لا يمكن أن يصدر منها هذا النظام لاستلزم التناقض . فلو أن خاصية مادة الشمس أن تغرب فلا بد أن تغرب دائماً ولا تعود للشرق لأن خاصيتها هكذا .

تممة:

إذا اعترفنا بوجود النظام التكويني في الكون واعترفنا بأن له منظم واحد، فلا بد أن نعرف بوجود نظام شرعي واحد يتمثل في النظام التشريعي للإسلام لأن لو كان هناك نظام تشريعي آخر فلا بد أن يصدر هذا التشريع من له اطلاع على ما في أسرار الكون ليضع تشريعاً يناسب الإنسان ولا يلحق ضرراً بالكون والكل يعلم بأن البشر يجهل الكثير من

أسرار الكون. فكيف يضع البشر قانوناً لبشر آخر مع عدم علمهم بأن هذا القانون ينفعهم أم لا؟؟ وحتى لو تنزلنا وقلنا أن البشر قادرولى وضع القوانين لتسير الحياة، إلا أنها نرى هذه القوانين متضادة فالغرب لا يقررون بما يقوله الشرق وبالعكس، فلابد لهذا المنظم أن يضع قانون للتشريع وعلى كل إنسان التسليم به والانقياد إليه دون اعتراف ...

والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآلـه الطيبين الطاهرين ...

وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِيْ حَمِيدٌ
ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن الله غني حميد

* * *

الهوامش

(١) سورة العاشية: ٢١ - ١٧.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِيْ حَمِيدٌ﴾
سورة لقمان: ١٢

حقيقة العصمة

محمد باقر خليل الشيخ

كذلك إن من أخطر المناصب وأكبرها مسؤولية قيادة المجتمع البشري وهدايته وإرشاده إلى سبل السعادة، ومسألة مصونية هذا القائد ومن يُلقى عليه هذا الأمر لا يختلف فيها اثنان من حيث إقباله على خلاف ما يدعوا ويرشد إليه بل أعم من ذلك بكثير، إذ لابد أن يكون منزه عن كل ما ينفر الناس من حوله.

هذا وبطبيعة النوع البشري أنه لا يميل لمن لا يرى منه تطبيق وتفعيل ما يأمر به، وليس أكبر من أن يُنصب الإنسان لهداية الخلق من قبل خالقهم فتُخالف هذه الطبيعة، وذلك كله لما في مخالفة القول للعمل من عدم تأثير فيهم، بل قد يكون هو الداعي والمشجع على الانحراف والسقوط والإثيان بما يخالف ما يأمر به.

ومن هذه المقدمة ننطلق في حديث حول (العصمة) التي تعتبر أولى المؤهلات لشخصية هذا المبعوث بالدعوة وكيفية نشوء هذا الوازع المؤدي لها.

● ما هي العصمة ؟

أ- لغة: (العصمة في كلام العرب: المنع وعصمة الله لعبده أن يعصمه

مما يربقه، عَصَمَه يعصمه عصماً: منعه و وقاه.)^(١) (العصم: الإمساك.)^(٢)
عصم، يعصم: اكتسب، ومنع، و وقى... والعصمة بالكسر: المنع... واعتصم
بإله: امتنع بطشه من المعصية...)^(٣) (.. منع وهذا هو الأصل في كلام
العرب وعصم يعصم عصماً وقى ...)^(٤) (عصم: أصل واحد صحيح يدل
على إمساك ومنع وملازمة والمعنى في ذلك كله واحد...)^(٥) ونرى بأن
التعاريف اللغوية لا تخرج عن حيز المنع والوقاية من شيء ما؛ ولا كلام لنا
فيما توسعوا فيه من استخدامات متعددة للكلمة.

ب- اصطلاحا: وللمتكلمين أقوال فيها: (امتنع عن الوقوع فيما
يكره... التوفيق الذي يسلم به الإنسان مما يكره إذا أتى بالطاعة... وكذلك
سبيل اللطف، أن الإنسان إذا أطاع سُمي توفيقاً وعصمة، وإن لم يطبع لم
يُسم توفيقاً ولا عصمة ..)^(٦) (لطفٌ خفي يفعلُ الله تعالى بالمكلف بحيث
لا يكون له داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على
ذلك).^(٧).

يظهر من خلال أخذ قيدي المنع والوقاية في كل نوعي التعريف هو
وجود قوة مانعة عن المعصية مع وجود مقتضي لها و هو إنسانية المعصوم
ولكن المانع من وقوعها هو اللطف وهو ما كان فصل لتعريف الشيخ
المفيد و نوع في تعريف العلامة.

ويمكنا من خلال الجمع بين جميع ما تقدم وغيره، أن نقول بأن
العصمة هي ((كيف نفساني يمتنع به الإنسان عن مخالفة الأوامر المولوية،
مُفاض بلطف من الله تعالى عليه مع بقاء قدرته على ارتكابه))

● تحليل التعريف:

- ١- كيف نفسياني: فهي كسائر الملكات والكيفيات النفسانية الراسخة في نفس الإنسان والعصمة هي الموصلة للإنسان إلى حد لا يرى في حياته أثر من العصيان والطغيان والتمرد والتجري وتصير ساحته نقية عن المعصية.
- ٢- يمتنع به الإنسان عن مخالفة الأوامر المولوية: وخصصت الامتناع عن مخالفة الأوامر المولوية لما جوزوه من وقوع المعصوم في مخالفة الأوامر الإرشادية^(٨).
- ٣- مُفاضل بلطف من الله تعالى عليه معبقاء قدرته على ارتكابه: سيأتي إن شاء الله توضيحه في طيات البحث.
ولا تتعرض لتعريف باقي المتكلمين من فرق المسلمين خوفاً من الإطالة.

● أقسام العصمة:

تنقسم العصمة باعتبار من تلقاها إلى قسمين:

- أ- نسبية: وهي التي تمنع الإنسان من الوقوع في المعاصي في الجملة.
- ب- مطلقة: وهي التي تمنع الإنسان من الوقوع في المعاصي بالجملة.
وقد تعم النسبة كثيراً من الناس بشكل مشكك من غير فرق بين أولياء الله وغيرهم من الناس، لأننا نرى بأن من يمتلك شيئاً من الشرف والذى لا يقل وجوده في أوساطنا وإن كان يقترب بعض المعاصي، لكنه يمتنع عن بعضها ويتجنبها اجتناباً تماماً بحيث قد تصل حتى إلى امتناعه عن التفكير بها

فضلاً عن الإتيان بها.

ومثال ذلك أنه قد يمتنع أن يخرج أحدهم إلى الشارع عرياناً وإن عرضت عليه المكافآت والحوافز الداعية لهذا الفعل.

وهذه العصمة النسبية قد تقرب حقيقة العصمة المطلقة للأذهان فهي لا تختلف عن النسبية في مفادها ومضمونها إلا أنها تختلف في سعة دائرة العصمة وضيقها.

وليعلم بأن العصمة المطلقة - محل بحثنا - لا تختص كذلك بالمرسلين والأوصياء فقط بل تتجاوزهم وتعبر كل من نور الله تعالى قلبه بنور العلم والتقوى واصطفاه وعصمه^(٩).

فليس كل معصوم هونبي بالضرورة ولا توجد ملازمة ذاتية بين العصمة والنبوة أو الإمامة.

● لماذا العصمة ؟

كما أسلفنا في المقدمة بأن من يكون في مرتبة قيادة المجتمع وهدایته لا بد أن يتتوفر على شروط من أهمها العصمة - نسبية أو مطلقة - وتفاهم هذه الأهمية بحسب موقعية هذه القيادة ومستواها لكي يحقق هدفه. ونخصص البحث الآن حول من اجتباهم الله تعالى لهداية وإرشاد المجتمع الإنساني بإرسالهم لهم، والذي ندعى فيهم العصمة المطلقة، فنقول بأن أهمية عصمتهم هو في توقف نجاح دعوتهم وانقاذ الناس وإطاعتهم لأوامرهم ومتابعتهم في أفعالهم تستدعي بالضرورة أن يثقوا بهم إلى حد اليقين بأن كل ما يصدر عنهم من قول أو فعل تشريعي هو عين ما يريدون

مرسلهم سبحانه وتعالى و لا يتخطاه قيد أئملاه وهذا الإتباع مما لا يمكن وقوعه إلا بعصمتهم المطلقة القطعية في جميع جنبات حياتهم وإلا لزم منه نقض غاية البعثة و فعل القبيح بإرسال من هم ليسوا في مستوى تأهيل الناس أي وضع الشيء في غير موضعه الصحيح، وكذلك الإغراء بالقبيح والتشجيع على الخطأ، وبديهي بطلان هذه الثلاثة لما ثبت في محله من حكمته تعالى.

● عوامل العصمة.

سبر المتكلمون بحر الأدلة العقلية لإثبات عصمتهم عليهم السلام مما أوصلها لما يقارب العشرة^(١٠) براهين ويزيد، على أن الكلام لدينا يقع حول دليل العلم الذي هو عمدة في إثبات العصمة من خلال نفس المعصوم لا من خلال لوازمه عدم بعثة المعصوم العائد على الله تعالى ومنفأة حكمته، فمثلاً برهان نقض الغرض لا يرجع لنفس المعصوم وإنما هو راجع لله تعالى فلمنفأة حكمته مع نقض الغرض أثبتنا العصمة.

فالبحث إذن يقع في بيان علاقة العلم بالعمل الكاشف عن العصمة، وهذا الجانب هو ما نحاول التركيز عليه والإجابة عن الإشكالات الواردة عليه.

لماذا أخذتم العلم - النظرية الإسلامية للسلوك - دون غيره من الدوافع - النظريات الأخرى - ؟ فلماذا لا نقول مثلاً بأن عصمتهم نابعة من البيئة التي عاشوها أو غيرها من النظريات؟
تطفح كتب علم النفس بالأراء المفسرة للظاهرة السلوكية للإنسان

و تحديد ماهية ذلك المحرك والداعي الكامن وراء السلوك وسبب تفاوت أعمال البشر خيراً وشراً.

عرف علماء النفس والتحليل الاجتماعي الداعي بأنه: (طاقة كامنة أو استعداد داخلي يوجد لدى الفرد حالة من التوتر تستثير السلوك وتوجهه إلى هدف معين)⁽¹¹⁾ وذهبوا مذاهب في بيان تلك الطاقة الكامنة أو الاستعداد الداخلي المحرك والمثير للإنسان ونستعرض في المقام ثلاث نظريات منها هي الأكثر شيوعاً بينهم :

١- الإتجاه السلوكي: يعتمد هذا الإتجاه على النظر والدراسة في المثيرات البيئية التي تسبق سلوك الإنسان إذ يرون بأنها هي المهددة لظهور ذلك السلوك فيحاولون تفسير سلوك الإنسان عن طريق ما يجري خارج الجسم من مثيرات بيئية ويستدلون بأن البيئة هي الظاهرة فقط من حيث هي مادة واضحة يُتمكن من ملاحظتها، ويصب هذا الإتجاه الاهتمام الأكبر على مسألة العقاب والثواب الذي يخلقه عرف تلك البيئة ويرون بأنه أساس قوي للحث والردع في سلوك إنسانها.

ويرد عليه:

أن الإنسان ليس مستجيباً بالفطرة إلى بيته فضلاً عن استجابته لكل ما تفرضه عليه من مثيرات، وكيف نفس الاستجابة المختلفة لنفس التأثير من قبل فردین مختلفین لمؤثر واحد أو من قبل نفس الفرد في مناسبات متعددة؟ .

هذا و التاريخ ينقل لنا الكثير من القصص المبجلة لأشخاص خرجوا

على نظام بيئاتهم إلى حد التباهي الكلي كأصحاب الكهف والأخدود وحبيب النجار ومؤمن آل فرعون.. وغيرهم الكثير ممن رفضوا التقييد بالمجموع السلوكي لمجتمعهم رغم ما لاقوا من صعوبات، هذا وإنه لو الترمنا بالقول بأن المحيط البيئي هو المنشأ للعصمة يأتي السؤال بأنه لماذا عُصم هذا الفرد من دون باقي أفراد بيئته؟

٢- الإتجاه العصبي: يرى أصحاب هذا الإتجاه أن معرفة سلوك الإنسان متوقفة على معرفة حركات دماغ الإنسان وخلاياها التي تتكون من ١٢ بليون خلية وعدد لا متناهي من الوصلات العصبية وهو أعقد نظام موجود على وجه الكون.

ويرد عليه:

التعقيد الكبير للدماغ والصعوبات المتعلقة بدراسة الأدمغة وإمكانية توفرها تشكل حائل كبير في إعطاء أي نتيجة دقيقة في السلوك فضلاً عن تأسيس نظرية متكاملة على أساس عصبي، ولو إعتمدناها كيف يمكننا تفسير كفر بعض من كبار العلماء ذوي الأدمغة الكبيرة المتحركة؟

٣- الإتجاه الإنساني: جاء هذا الإتجاه كثورة على الإتجahات الجبرية لحركة الإنسان التي أوقفت سلوك الإنسان على البيئة أو الوراثة وغيرها، ومفاد نظرتهم بأن الإنسان يتحرك وفق إرادته وعزيمته وهذا ما يميزه عن باقيبني جنسه الحيواني فهو نشط وفاعل قادر على ضبط مصيره وتغيير بيئته المحيطة به. فلا مجال لأن يلوم الإنسان بيئته أو أبييه أو الظروف المحيطة وما شابههم.

ويرد عليه:

رغم مقاربة هذه النظرية للنظرية الإسلامية من خلال إشتراكهما في أن الإنسان هو الفاعل في سلوكه، إلا أنها أغفلت أهم جانب للنظرية وهو تحديد ماهية ذلك الشيء الذي يخرج الإنسان من الحالة الجبرية ويحدد سلوكه، الحال بأنه حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد فإذا كان كل الإنسان يتمتع بنفس الإرادة والعزيمة فلماذا نرى التباين الكبير بين سلوك فردٍ من أفراده؟

وهناك غير هذه الإتجاهات مثل (التحليلي، المعرفي...) تركنا الكلام عنها لما فيها من الإطالة وقليل الفائدة وكلها ليست بشيء^(١٢).
إما تحليل الإسلاميين لهذه الظاهرة فقد اتفق المتكلمون الشيعة على أن الدافع هو العلم وهو ما يظهر لكل مطلع على التراث الكلامي لهم في مباحث العصمة.

٤- الإتجاه الإسلامي: يرى هذا الإتجاه بأن سلوك الإنسان وليد علمه وأنه كلما تسامى في مراحل اليقين^(١٣) تسامت معه مراتب العصمة وضبط السلوك، يقول العلامة الطباطبائي: (اختلاف أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذي يصدر عنه الفعل، ولو دام أحد العلمين أعني الحكم بوجوب الجري على العبودية وامتثال الأمر الإلهي لما صدر إلا الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنده المعصية والعياذ بالله لم يتحقق إلا المعصية)^(١٤) والمقصود بالعلم لديهم هو العلم الحضوري لا الحصولي، وبهذا يفسرون علم الإنسان بشيء والعمل بخلافه فيرجعونه إلى الاختلاف

في نوعية العلم لدينا فهو إن كان حصولياً فلا يتعذر كونه صوراً ومفاهيم عقلية سرعان ما تتلاشى من الوجود الذهني ولا يعود لها أثر، وقد يغفل الإنسان عنها فتراه يخالف علمه عمله، بخلاف ما لو كان العلم حضورياً فهو مرتبط بالنفس أشد ارتباط، ومتضامن معها ولا يعقل غيابها عنها حالة وجوده فيها، فهو بمجرد طرق أبواب النفس تفرغ إليه وتسعى نحوه وتعمل بما يميله عليها، وهذا ما نراه واضحاً في حال إحساسنا بالخوف مثلاً، فهل تتأخر ردة فعلنا عن الإحساس به؟

• إشكال ورد:

كيف تجمعون بين قولكم هذا والآية القرآنية (وجحدوا بها واستيقنوا أنفسهم ظلماً وعدواناً) فالآية تقر بأن هناك من لديهم مرتبة اليقين ومع ذلك جحدوا بما استيقنوا به، وكذلك قولكم بأن إبليس كان من أكبر العلماء ومع ذلك نرى منه العناد لله تعالى.

والجواب:

إن هذا الجحود قسم من أقسام الكفر وهو بتعبير الإمام الصادق (عليه السلام): (هو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد أستقر عنده)^(١٥) فهو إذن ليس من صنف العلم الحقيقي الذي فصله الإذعان والتسليم في الباطن والظاهر والذي لا يمكن تأثير مفعوله عنه وأما ما سوى ذلك فكله ليس من كلامنا، وكذلك يفسر عصيان إبليس لأمر الله تعالى مع كونه عالم بل من أكابر العلماء.

فيتضح من ذلك كله بأن المنشأ الرئيسي لعصمة الأنبياء في سلوكهم

وامتناعهم من ارتكاب المعاصي هو العلم الذي زودوا به و ليس هو البيئة أو الاستعداد النفسي و ما شابههما. ولتعلم بأن هذا العلم لا يؤتى إلا من المواهب الربانية التي يهبها الله إلى من يشاء من عباده المخلصين وليس هو من سخن بقية العلوم التي يكتسبها الإنسان، ومن هنا يعرف معنى (مفاض بلطف من الله عليه) الذي جاء في التعريف وإن كان كلام العلمين يلتقيان في أنهما يصنعن الخشية لدى الإنسان من الله تعالى، وهذا التسديد واللطف يرافق المقصوم من حين تكونه في عوالم الذر^(١٦) ولا يزال يرافقه في كل العالم.

● إشكال ورد:

كيف يكون مقصوماً بالعلم منذ ولادته وهو بعد لم يتلقى أي نوع من أنواع المعرف؟ وألا يستلزم هذا القول الالتزام بجبر المقصوم لأنه أفيض عليه هذا اللطف وهو بعد لم تتهيأ له فرصة اختياره أو رفضه؟
لإجابة على هذا السؤال الأول - نحتاج لتقديم مقدمات:

1- ثبت في محله أن الله تعالى عالم بالأشياء قبل وبعد إيجادها وذلك لكونه مجرد عن حدود الزمان والمكان فهو فوق كل قيد زماني و مكاني، والذي يتصرف بهذا لا يحده شيء ولا يحصره حاصر، فلا يغيب عنه شيء ولا يحيطه شيء بل هو يحيط بكل شيء، و لكونه هو العلة والسبب لكل معلول و مسبب، و ثبت كذلك بأنه عالم بذاته والعلم بالعلة يستلزم العلم بمعلولها. فيثبت من كل ذلك بأنه عالم بالأشياء قبل وجودها، ولازم هذا الإثبات أنه يعلم بمن

سيكون صالحًا مؤهلاً لتلقي هذا اللطف وهذه المهمة -الهداية- .

٢- ثبت كذلك بأن قدرته تعالى تشمل كل شيء وان ليس
لقدرته أى حدود وفق براهين عقلية تراجع في مضانها^(١٧).

٣- إن كل من يدعى هداية الناس وقادتهم لا يتبعه الناس ولا
ينقادون له إن كان في ماضيه سالكًا مسلكاً غير الذي يدعوا إليه، بل
يتوقف ذلك حتى على النظر في نسبه وكل ما يجب نفرة الناس
عنه، وكل ذلك يرجع للأصل المتقدم، وهو تقبل المجتمع لقادتهم.
بعد هذه المقدمات نقول بأن ارتفاع المانع - الجهل والضعف - وجود
المقتضي -هداية الناس- لا يُبقي لهذا الإشكال أى صدى، ويعرف بأنه
سبحانه وتعالى إنما عصّهم قبل وجودهم الحسي لعلمه الأزلي بأنهم أولى
مخلوقاته بهذا اللطف والمفخرة، هذا وإن المطلع في سير الأنبياء والأئمة
عليهم السلام، يعرف مدى نبوغهم وتفوقهم في قابلتهم العلمية والروحية
منذ صغرهم فهذا عيسى عليه السلام يكلم الناس وهو في المهد صبياً ويزكي^{الله}
أوتي الحكمة صبياً وكذا الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام تولى منصب
الإمامية الذي هو أرقى المناصب الإلهية وهو بعد لم يبلغ الحلم في سن
الناسعة من عمره الشريف، والكثير الكثير من الشواهد التي تدل على
العناية الإلهية بهم وهم في عوالم الأصلاب، كولادة الإمام علي عليه السلام في
جوف أقدس بقاع الأرض الكعبة المشرفة.

وأما الشطر الثاني من السؤال فهو غير وارد أبداً لما تقدم في تعريف

العصمة (مع بقاء قدرته على ارتكابه) " فلم يكن هناك أي قوة حذفت منهم القدرة على المعصية أو الجبر على الطاعة بل كل ذلك حصل بما أتيت المعصوم من فضل و إمكانات علمية، وما كان لديه من قدرة فائقة على إعمال إرادته وفق المنهج الإلهي بحيث صار يستحيل عليه صدور المعصية وقوعا مع كمال قدرته عليه وتمكنه منها" (١٨)

● إشكال آخر:

كيف تدعون بأنهم عصموا بعلمهم وأن هذا العلم موجود معهم منذ صغرهم وهناك تصريح في عدة آيات من القرآن بأنهم كانوا يطلبون العلم ﴿وَقُلْ رَبِّ زَدْنِي عِلْمًا﴾ (١٩) أو ﴿هَلْ أَتَبْعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلَّمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ (٢٠) بل هناك ما يدل على أن بعضهم لم يرزق العلم إلا بعد ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَدَ آيَاتِهِ حُكْمًا وَعَلِمًا﴾ (٢١) وقد جاءت هذه الآية في سوري ي يوسف والقصص حكاية عن النبي يوسف والنبي موسى عليهما السلام.

سبق أن قلنا بأن مراتب العصمة نابعة من مرتبة العلم لدى المعصوم، وهي بمراتب مشككة لديهم ﴿لَا ضِيرٌ فِي كُوْنِ هَذِهِ الْآيَاتِ حَاكِيَةً عَنْ حَالَةِ التَّكَامُلِ فِيهِمْ﴾ فمهما بلغوا من العلم تبقى القاعدة القرآنية حاكمة (فوق كل ذي علم عليم).

ما الفائدة من بحث العصمة؟

* يمكننا تلخيص الفائدة من بحثنا في العصمة في نقاط أهمها:
- إتباع المعصوم في كل ما صدر منه من قول أو فعل أو تقرير
والتصديق المحسن له.

- معرفة مقامهم عند الله الذي جعله يختصهم بطشه.

- معرفة أفضليتهم على سائر المخلوقات والتي لو لاها لما قدموا عليهم.

三

الفوایل

- (١) لسان العرب ج ١٢ ص ٤٠٣.

(٢) المفردات للإصفهاني ص ٥٦٩.

(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢١٢.

(٤) تاج العروس ج ٨ ص ٣٩٨.

(٥) المقاييس ج ٤ ص ٣٣١.

(٦) أوائل المقالات للشيخ المفید ص ١٥٦.

(٧) الباب الحادی عشر للعلامة الحلي ص ٩٠.

(٨) ينقسم النهي إلى قسمين : مولوي وإرشادي والفرق بينهما بأن الأول صادر من موقع المولوية والسلطة والأمر الواجب إطاعته فيوجب المولى هنا الإطاعة وعلى إثر العمل بهذا النهي أو تركه يترب التواب والعقاب، والثاني ما يكون صادر على نحو النصيحة والإرشاد من دونأخذ قيد الأمر الواجب إطاعته ويترتب على العمل به أو تركه آثار خاصة غير العقاب والثواب كفقد نعيم دنيوي وما شابهه.

(٩) كسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليهما السلام والسيدة مریم عليهما السلام اللتان اصطفاهما الله.

(١٠) الأدلة العقلية على عصمتهم:

- دليل الاعتماد.

- العوامل النفسية.

- ٣- نقض الغرض.
 ٤- الإغراء بالجهل.
 ٥- عدم لياقة غير المعصوم لتلقي الوحي.
 ٦- اجتماع الصدرين.
 ٧- مقام النبوة.
 ٨- صدق عنوان الظالم.
 ٩- كون المعصوم من المخلصين.
 ١٠- رد الشهادة.
 وغيرها من الأدلة التي أستدلوا بها على وجوب العصمة .
- (١١) أسس علم النفس الاجتماعي . د.احمد محمد الزعبي.
- (١٢) لمزيد من الإطلاع على هذه النظريات يراجع كتاب المدخل إلى علم النفس لعبد الرحمن عدس ومحي الدين توق ص ١٥١٠ علماً بأنه قد نقلتها من الكتاب ولكن بتصرف كبير. لا يعني عدم ذكر باقي النظريات المصادر وإنما تركتها خوف الإطالة.
- (١٣) مراتب اليقين:
 ١- علم اليقين. ٢- عين اليقين. ٣- حق اليقين.
- (١٤) الميزان ج ٢ ص ١٣٩ .
- (١٥) الكافي ج ٢ ص ٢٨٧ نقلًا عن الأمثل في تفسير القرآن ج ١٢ ص ١٨ .
- (١٦) إن كل إنسان جاء إلى عالم الدنيا لا بد وأن يجتاز ست مراحل:
 ١- عالم الذر. ٢- عالم الأصلاب. ٣- عالم الرحم.
 ٤- عالم الدنيا. ٥- عالم البرزخ. ٦- المعاد
- (١٧) لمزيد من المراجعة الإلهيات ج ١ ص ١١٣ .
- (١٨) بتصرف من كتاب العصمة في ضوء المنهج القرآني للسيد كمال الحيدري ص ١٣٠ .
- (١٩) سورة طه: ١١٤ .
- (٢٠) سورة الكهف: ٦٦ .
- (٢١) سورة يوسف: ٢٢ .

١١

وأثادها في الحياة الإنسانية

(القسم الأول)

عبد الله على الدقاق

تقدیم

كشك كنت قد كتبت بحثاً في سالف الزمان حول الغيبة، وقد عرضته على علمين بارزين من علماء البحرين في ذلك الزمان، فأفاداني مشكورين بعض ملاحظاتهما، بعد أن استحسنوا فكرة طباعته، إلا أنني لم أكن راغباً في طباعته آنذاك، فبقي البحث محفوظاً من دون طباعة، وجاءت انطلاقة مجلة رسالة القلم، التي تهدف إلى تنمية الأقلام، فرأيت من المناسب أن أطرح ذلك البحث المكتوب فيها من دون أي تغيير، لأنه يعكس الجهد العلمي لتلك الحقبة الزمنية، ولذلك لم أدرج فيه حتى تلك التعليقات التي استفادتها من العلمين، من باب الأمانة العلمية.

مدخل:

لإرساء حاكمة دين الله في الأرض لابد من تحقق المجتمع الإسلامي السليم، ومن أجل تحقيقه لابد من ترسيخ المبادئ السامية للإسلام المحمدي الأصيل في الأسرة المسلمة؛ حيث أنّ هذه الأسرة هي النواة التي

يتشكل بها المجتمع الإسلامي، ومن هنا جاءت تعاليم الشريعة الغراء لكي ترسم للفرد المسلم الطريق القويم والصراط المستقيم؛ إذ بالأفراد تتكون الأسر التي تشكل المجتمعات البشرية التي حرص الإسلام على غرس القيم الأصلية فيها، كما أنه حرص كلّ الحرص على صيانتها وتنزيتها من الخصال الذميمة.

ومن هنا تنبثق أهمية البحث حول الغيبة، فالغيبة، من الآفات الاجتماعية الخطيرة التي لو كتبت لها أن تتفشى في المجتمع الإسلامي لقضت عليه ومزقته تمزيقاً وأودعته في قعر الجحيم!! هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نلحظ أنّ هذه الآفة تتعرض مسيرة الإنسان المسلم وخصوصاً المؤمن الرسالي، فهي في الأعم الأغلب مورد ابتلاء الكثير من المؤمنين والعاملين، بل إنها منتشرة بين الناس انتشاراً كبيراً وملحوظاً حتى عبر عنها بعضهم بأنها فاكهة المجالس.

ومن المعلوم أن الغيبة من الذنوب الكبيرة إن صحت تقسيم الذنوب إلى صغيرة وكبيرة، وقد عدّها السيد عبد الحسين دستغيب تثليث أول الكبائر غير المنصوص عليها وفقاً لتقسيمه للذنوب الكبيرة في كتابه القيم ((الذنوب الكبيرة)), حيث أنه قد قسم الكبائر إلى قسمين:

القسم الأول: كل ذنب ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التصرّح بأنه ذنب كبير (وهذا القسم يتجاوز أربعين ذنباً) صرّح به في أخبار أهل البيت عليهم السلام^(١)، وأولها وأكبرها الشرك بالله كما روی عن الإمام الصادق عليه السلام في أصول الكافي قوله: ((أكبر الكبائر الشرك

بالله)) (٢).

القسم الثاني: كل معصية ورد في القرآن الكريم والسنّة المعتبرة الوعيد عليها بالنار^(٣) إلا أنه لم يصرّح بأنها ذنب كبير، و((يجب أن يعلم أن مدرك هذا الحكم روايات عديدة صرّحت بهذا الأمر من جملتها صحيحه ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال ﷺ في معرفة عدالة الشخص: ((ويعرف باجتناب الكبائر التي أ وعد الله عليها النار)) ويظهر بوضوح من هذا النص أن كل ذنب وعد عليه بالنار فهو من الكبائر)^(٤) و ((أول الذنوب التي ثبت أنها من الكبائر بدليل الوعيد عليها بالعذاب في القرآن المجيد والروايات الكثيرة هو (الغيبة)، كما يقول تعالى في سورة النور: ((إِنَّ الَّذِينَ يُحْبِّونَ أَن تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))^(٥) وفي رواية ابن أبي عمير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ ((إِنَّ الَّذِينَ يُحْبِّونَ أَن تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ)) اصول الكافي)).^(٦).

بالنظر إلى عظم هذا الذنب الكبير مع الالتفات إلى توغله في أوسع مجتمعنا الإسلامي نرى لزاماً علينا البحث فيه ولو بشكل يسير، تمشياً مع حجم هذا الكتيب، حيث أن بعض الموارد تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب حتى يتسعى للمسلم الوقوف على أبوابها بوعي تام ووعي مستنير، ومن هنا ارتأينا أن نبحث موضوع الغيبة في ستة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: تعريف الغيبة وشروط تحقّقها وأقسامها.

الفصل الثاني: دواعي الغيبة وبواعثها.

الفصل الثالث: موارد جواز الغيبة.

الفصل الرابع: علاج الغيبة وكفارتها وأحكامها.

الفصل الخامس: دراسة آثار الغيبة على الفرد والمجتمع وما قد تؤدي إليه من آفات وأضرار وما قد تفرزه من مساوى.

الفصل السادس: فيما ورد في الغيبة من الروايات.

الفصل الأول: تعريف الغيبة وشروط تتحققها وأقسامها:

البحث الأول: تعريف الغيبة:

عُرِّفت الغيبة بعدة تعريفات، منها ما ذكره أهل اللغة في قواميسهم اللغوية، ومنها ما ذكره الفقهاء فيما بحثوه وكتبوه في كتبهم الفقهية أو الأخلاقية، وبما أننا نلتزم الاختصار قدر الإمكان، فإننا سنذكر بعض التعريفات اللغوية والفقهية للغيبة مع إيراد بعض الملاحظات التي تتناسب وحجم الكتيب.

أولاً: تعريف الغيبة لغة:

نذكر هنا ما ذكره بعض أهل اللغة مع الإشارة إلى المصادر كما يلي:
أ- قال الجوهرى في كتاب ((الصحاح)): ((اغتابه اغتياباً، إذا وقع فيه؛
والاسم الغيبة، وهو أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمى له سمعه، فإن
كان صدقًا سمى غيبة، وإن كان كذباً سمى بهتاناً^(٧))).

ب- قال الخوري الشرقي اللبناني في كتاب (أقرب الموارد):
((الغيبة اسم بمعنى الاعتباب وهي أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه
فقد أغنته، وإن لم يكن فيه فقد بهته، أي قلت عليه ما لم يفعله، وإن
واجهته بذلك فهو شتم)).^(٨)

ج- قال ابن الأثير في كتاب (النهاية): ((الغيبة وهي أن يذكر الإنسان
في غيبته بسوء وإن كان فيه، فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت
والبهتان)).^(٩)

نلاحظ أن هذه التعريفات الثلاثة تتضمن جميعها ما يلي:

أ- ذكر الإنسان بسوء أو بما يكرهه والحقيقة فيه حالة كونه غائباً.

ب- أن يكون الشيء المذكور موجوداً في الشخص المغتاب، وليس
مفترىً عليه، فلو كان مفترىً عليه لأصبح بهتاناً لا غيبة.

توجد بعض الفوارق التي نستطيع أن نستخرجها من المدلول اللغطي
للتعريفات الثلاثة وهي كما يلي:

أ- اشترط الجوهرى في تعريفه أن يكون ذكر الإنسان والحقيقة فيه
يؤدي إلى غمه لو سمعه، كما اشترط الشرقي كون الذكر موجباً لكرهه
المغتاب، بينما لا نجد هذا القيد في تعريف ابن الأثير، وبذلك لا تستحقه
الغيبة على ضوء تعريف الجوهرى والشرقي إلا إذا استوجبت أذى
المغتاب أو كرهته ذلك، أما على ضوء تعريف ابن الأثير فإن الغيبة تتحقق
وتصدق بمجرد ذكر الإنسان بسوء من وراء ظهره وإن كان هذا الذكر
السيء لا يؤذيه ولا يغممه.

بـ- اشترط الجوهرى في تعريفه للغيبة أن يكون العيب مستوراً، بينما لا نجد هذا القيد في التعريفين الآخرين، وعلى هذا ينطبق عنوان الغيبة على ذكر العيب سواء كان مستوراً أم غير مستور على ضوء تعريف ابن الأثير والشريوني، بينما لا ينطبق عنوان الغيبة إلا على خصوص ذكر العيب المستور لا على مطلق ذكر العيب وفقاً لتعريف الجوهرى.

نذكر هنا بعض الملاحظات العامة على التعريفات الثلاثة وباقى تعاريف أهل اللغة كما يلي:

أـ- نلاحظ أن التعريف الثلاثة قد اقتصرت على اعتبار التكلم أو الذكر في ظهر العيب من الغيبة، ولم تطرق إلى غير التكلم كالإشارة باليد وغيرها أو حكاية بعض التصرفات ... إلخ؛ ولهذا قال صاحب مفتاح الكرامة - معلقاً على تعريف صاحب النهاية بعد أن ذكر تعريف أهل اللغة - ما نصه: ((فكلام أهل اللغة خاص بالذكر والكلام، إلا أن يريدوا بالذكر ما يشمل الإشارة والتحاكى للفعل)) (١٠).

أـ إنه قد وقع الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى الإصطلاحى للغيبة في أكثر تعريفات أهل اللغة كما اتضح من مراجعة كتب اللغة، فمن المعروف أنَّ الكثير من اللغوين يسردون المعانى الكثيرة للكلمة من دون التفرقة والتمييز بين معانٍها الحقيقة والمجازية، كما أنهم أحياناً يذكرون المعانى اللغوية والإصطلاحية للكلمة الواحدة من دون تمييز بينها، ولهذا علق الإمام الخميني العظيم قائلـ بـعد ذكره لبعض تعريفات اللغوين للغيبة بما يلي:

((وحسب اعتقاد الكاتب إنّ هذه المعاني المذكورة لا تمت إلى المعنى اللغوي بشئ، بل في كل منها قيود تداخلت مع المعنى المصطلح، وعلى أي حال لا جدوى في البحث عن المعنى اللغوي، فإن المهم هو الوصول إلى الموضوع الشرعي الذي أصبح متعلقاً للتوكيل الشرعي – الحرمة). وحسب الظاهر يكون لهذا الموضوع – الغيبة – قيود شرعية لا يرقى إليها الفهم العرفي والمعنى اللغوي))⁽¹¹⁾.

ثانياً: تعريف الغيبة اصطلاحاً

١- الأقوال في تعريفها اصطلاحاً:

اتضح بعد ملاحظة ومراجعة أغلب مؤلفات فقهائنا الأعلام وعلمائنا الكرام أنّ هناك تقريباً ثلاثة تعاريف للغيبة سنذكرها إن شاء الله تعالى، كما اتضح أنّ عمدة ما يذكرونها من تعريفات للغيبة وما يتفرع عليها مستقى من كتاب ((كشف الريبة عند أحكام الغيبة)) للشهيد الثاني نقش⁽¹²⁾، حيث قال في مقام بيان تعريفها ما يلي : ((وأما بحسب الاصطلاح فلها تعريفان: أحدهما: المشهور وهو ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبته إليه مما يعدُّ نقصاناً في العرف بقصد الانتقاد والذم، فاحتز بالقيد الأخير وهو قصد الانتقاد والذم عن ذكر العيب للطبيب مثلاً أو لاستدعاء الرحمة من السلطان في حق الزمِن والأعمى بذكر نقصانهما، ويمكن الاستغناء عنه بقييد كراحته نسبته إليه.

الثاني: التبيه على ما يكره نسبته ... إلخ، وهو أعم من الأول لشمول مورده اللسان والإشارة والحكاية وغيرها وهو أولى لما سأطني من عدم

قصد الغيبة على اللسان)).^(١٣)

ملاحظة: لو قلنا أن الذكر أعم من التكلم لأصبح التعريفان تعريفاً واحداً، وقد استظهر الإمام الخميني تبليغ ذلك حيث قال: ((إذا كان الذكر أعم من القول كما هو الموفق للغة، كان مرجع التعريفين واحداً، والمستفاد من الأخبار أيضاً يدل على هذين التعريفين)).^(١٤)

وعلى هذا يكون مرجع التعريفين المذكورين إلى تعريف واحد، وقد اختار هذا الرأي السيد محسن الحكيم تبليغ حيث قال ما نصه:

((والغيبة وهي أن يذكر المؤمن بعيوب في غيبته سواء كان بقصد الإنقصاص أم لم يكن، وسواء كان العيب في بدنـه أم في نسبة أم في خلقـه أم في فعلـه أم في قوله أم في دينـه أم في دنيـاه أم في غير ذلك مما يكون عيبـاً فيه ومكرـوهاً لدـيه، كما لا فرقـ في الذـكر بينـ أن يكون بالقولـ أم بالفعلـ الحـاكـي عن وجودـ العـيبـ)).^(١٥)

القول الثالث: إن الغيبة هي ذكر المؤمن بعيوب في غيبته على أن يكون العيب مستوراً عن الناس سواء كان بقصد الإنقصاص أم لا، وسواء كان بالقول أم بالفعل، وقد يستفاد هذا الرأي من كلام الإمام الخميني تبليغ حيث قال: ((ولا يبعد أن يكون إظهار المستور من عيوب المؤمنين عند عدم رضاهم بذلك محـرماً، حتى وإن لم يكن هناك قصد للإنقصاص منهم)).^(١٦)

وهذا هو رأي السيد الخوئي إلا أنه لم يذكر قيد عدم رضا المغتابين حيث قال:

((والغيبة وهي أن يذكر المؤمن بعيوب في غيبته، سواء أكان بقصد الانتقاد، أم لم يكن وسواء أكان العيب في بدنـه، أم في نسبـه، أم في خلقـه، أم في فعلـه، أم في قوله، أم في دينـه أم في دنيـاه، أم في غير ذلك مما يكون عيبـاً مستورـاً عن النـاس، كما لا فرقـ في الذكرـية أن يكون بالقولـ، أم بالفعلـ الحاكـي عن وجودـ العيبـ)).^(١٧)

وقد ارتضى هذا الرأي الشهيد السيد السعيد محمد باقر الصدر قـتـلـ في تعليقه على منهاج الصالحين للسيد محسن الحكـيم حيث قال: ((بل الغيبة أن يكشف العـيبـ المستـورـ))^(١٨) كما ارتضى هذا الرأي السيد علي الحسيني السيستاني^(١٩) والشيخ جواد التبريزـي في تعليقه على منهاج الصالـحينـ، حيث أنه لم يعلـقـ على هذا الرأـيـ^(٢٠) مما يعني أنه يرـتضـيه وليس له نـظرـ يـخالفـهـ.

فلا لـاحـظـ أنـ السيدـ الخـوئـيـ قـتـلـ قدـ خـالـفـ التعـريفـ المشـهـورـ للـغـيـةـ فـيـ أـغلـبـ الـكتـبـ الفـقهـيـةـ وـالـاخـلـاقـيـةـ، وـالـوجهـ فـيـ ذـلـكـ ماـ وـرـدـ فـيـ تـقـرـيرـاتـهـ حيثـ قالـ: ((وـالـتـحـقـيقـ أـنـ يـقـالـ: إـنـ لـمـ يـرـدـ نـصـ صـحـيـحـ فـيـ تـحـدـيدـ مـفـهـومـ الـغـيـةـ، وـلـاـ تـعـرـيفـ مـنـ أـهـلـ الـلـغـةـ كـيـ يـكـونـ جـامـعاـ لـلـأـفـرـادـ وـمـانـعـاـ لـلـأـغـيـارـ، وـعـلـىـ هـذـاـ فـلـابـدـ عـنـ أـخـذـ مـتـيقـنـ مـنـ مـفـهـومـ الـغـيـةـ وـتـرـتـيـبـ الـحـكـمـ عـلـيـهـ: وـهـوـ أـنـ تـقـولـ فـيـ أـخـيـكـ مـاـ سـتـرـهـ اللـهـ عـلـيـهـ، وـأـمـاـ فـيـ الـمـقـدـارـ الزـائـدـ فـيـ رـجـعـ إـلـيـ الـأـصـوـلـ الـعـمـلـيـةـ))^(٢١)، وـقـدـ ذـكـرـ هـذـاـ فـيـ جـمـلـةـ مـنـ الـرـوـاـيـاتـ وـهـيـ وـإـنـ كـانـتـ ضـعـيـفـةـ السـنـدـ، وـلـكـنـ مـفـهـومـهـاـ موـافـقـ لـلـذـوقـ السـلـيمـ وـالـفـهـمـ الـعـرـفـيـ))^(٢٢).

ضابطة كشف الستر:

((من المعلوم توقف إذاعة السر وكشفه على أمرين:

الأول: كون النص غير معروف لدى العامة وبعرض الظهور والبروز
لغير أهل البلد من دون حاجة إلى إخبار المخبر. وبعبارة أخرى قد يصير
النص في العلنية والدوران على الألسنة والأفواه بمثابة لا يقبل أن يستر،
فإنه بنفسه يظهر للغريب إذا بقي في البلد قليلاً من دون أن يخبره مخبر، فلا
يصدق على الكف عن ذكر هذا النص ل لهذا الغريب أنه كتمان للسر ولا
على ذكره أنه كشف له.

والثاني: هو الستر عند السامع لوضوح عدم الكشف مع اطلاعه))^(٢٣).

١- مصاديق الغيبة:

قد ذكر شهيد المحراب السيد عبد الحسين دستغيب خلاصة ما ذكره
الشيخ الأنباري رحمه الله حيث قال: ((والشيخ الأنباري بعد أن نقل كلمات
أهل اللغة والروايات في معنى الغيبة، والتحقيق في أطراف ذلك، ذكر
كلاماً خلاصته أن مصاديق الغيبة ثلاثة:

الأول: ما كان غيبة قطعاً وبنحو متفق عليه.

الثاني: ما كان الظاهر أنه غيبة.

الثالث: ما كان الظاهر أنه ليس من الغيبة.

أما القسم الأول: فهو إظهار العيب الشرعي أو العريي المستور عن
السامع، والذي لا يرضى صاحبه بكشفه، وكان قصد المغتاب الانتقاد من
صاحب العيب. وخلاصة القول أن انتقاد المؤمن بكشف عيب خفي فيه

غيبة قطعاً، ومن الذنوب الكبيرة.

أما القسم الثاني: فهو نقل العيب الخفي عن شخص لا يقصد الذم والانتقاد، بل لغرض آخر، كالتفكه، أو الاستشهاد به، أو من باب الشفقة على صاحبه. ولا شك في أن ذلك حرام، والذي يظهر من الروايات أنه من موارد الغية ومصاديقها.

وأما القسم الثالث: فهو نقل عيب شخص لآخر يعلم بوجود ذلك العيب، وظاهر بعض الروايات أن ذلك خارج من عنوان الغية، وإن كان يستفاد من روايات أخرى أن ذلك غيبة أيضاً.

وهنا إذا كان المعتاب يقصد الانتقاد والمذمة فلا شك في حرمة ذلك، وإن كان اعتباره غيبة محل شك، وذلك لأن نفس هذا النقل يجب الإيذاء والتوهين لمؤمن، ولا شك في حرمته، وإن لم يكن قصد المعتاب الانتقاد والمذمة، لكن يتحقق ذلك قهراً، كأن يصفه بألقاب وأوصاف ذميمة، كما لو قال: إنه ابن يهودي، أو أمه فاحشة، فذلك حرام أيضاً، كما جاء النهي في سورة الحجرات صريحاً عن التمازب بالألقاب: ((ولا تتابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان))^(٢٤).

المبحث الثاني: شروط تحقق الغيبة المحرمة شرعاً:

يتضح مما تقدم من التعريف السابقة الضابط لتحقيق الغيبة المحرمة شرعاً، ففي كل تعريف توجد شروط معينة تتحقق الغيبة المحرمة وفقاً لنفس التعريف المذكور، ونحن هنا نشير إلى بعض الشروط التي قد تكون لم تذكر أصلاً أو قد ذكرت إلا أنها أحبتنا التنبية والإشارة إليها وهي كما

يلي:

- ١- لابد من تعين المقتاب، فلو قال: واحد من أهل البلد جبان لا يكون غيبة)).^(٢٥)
- ٢- الظاهر اختصاصها بصورة وجود سامع يقصد إفهامه واعلامه)، فلو كان يتكلم مع نفسه لم تتحقق الغيبة المحرمة.
- ٣- أن لا تكون الغيبة من الموارد التي تستثنى منها، كغيبة المتباهر بالفسق، فهذه الموارد قد يصدق عليها تعريف الغيبة إلا أنها من الموارد التي استثنتها الروايات من حرمة الغيبة، وجوزها الفقهاء، وسيأتي ذكرها في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.
- ٤- أن يكون المقتاب مؤمناً، بمعنى أن يكون امامياً أو ثنياً عشرياً، فتجوز غيبة المخالف^(٢٦)، حيث أنه ((لا ريب في اختصاص تحريم الغيبة بمن يعتقد الحق كما في مجمع البحرين والرياض))^(٢٧)، إلا أن بعض الفقهاء قد احتاط في ذلك كالسيد محمد رضا الكلباني قائل^(٢٨) حيث أجاب على السؤال التالي: هل تجوز غيبة المخالف؟ فأجاب قائل: ((بسمه تعالى: الأحوط عدم غيتيه إلا بداع شرعي، والله العالم)).

المبحث الثالث: أقسام الغيبة وأنواعها:

اتضح مما تقدم تعريف الغيبة وشروطها إلا أنها قد تقسم إلى أقسام ((وقد قسم الشهيد في قواعده الغيبة إلى ظاهرة وخفية وأخفى، وعدّ من الثاني الإشارة والتعریض، ومن الثالث أن يذم نفسه بترك طرائق لينه على عورات غيره فينبعي تحديدها بما يقصد به هتك عرض المؤمن أو التفكك

به أو إضحاك الناس منه فما كان منها لغرض صحيح لا يحرم))^(٢٩) كما سيأتي في موارد جواز الغيبة.

وقد ذكر الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب بعض الأمور يستحسن ذكرها هنا إتماماً للفائدة، حيث قال مانصه:

((صرح الروايات وكلمات الفقهاء أن لا فرق في ذكر العيب بين عيب وآخر، سواء كان نقصاً في البدن، أو في النسب، أو في الخلقة، وسواء في الأقوال أو الأفعال، في دين أو دنيا، أو في أمور ترجع إليه كاللباس والمنزل والمركب، وأمثال ذلك. وقد ذكر بعض^(٣٠) لكل واحد من هذه الأمور مثلاً، أما الغيبة الراجعة للبدن فمثاليه أن يقول: فلان أعمش، أو أحول، أو أعور، أو أقرع، أو قزم، أو أسود، أو أصفر، وأمثال ذلك من الأوصاف التي يتأثر صاحبها بذكرها.

وأما الغيبة في النسب فمثاليه أن يقول: فلان أبوه فاسق، أو خبيث، أو خسيس أو حائث، أو غير شريف، وأمثال ذلك.

وأما الغيبة في الخلقة فمثاليه أن يقول: فلان سى الخلقة، بخيل، أو متكبر، أو جبان أو ضعيف أو مراء، أو سارق، أو ظالم.

وأما الغيبة في سلوكه الدنيوي فمثاليه أن يقول: فلان غير مؤدب، لا يعرف الحد، لا يعرف موضعه الطبيعي، ثرثار، أكول، نوّام.

وأما الغيبة في اللباس فمثاليه أن يقول: لباسه وسخ، عتيق، ممزق، طويل، قصير، وهكذا في سائر الأمور الراجعة له إذا ذكرت بسوء بنحو لا يرضي صاحبها ويجب أن يعلم أنه لا فرق في حكم الغيبة بين كشف عيب

الآخرين باللسان، أو بالفعل والإشارة، بنحو صريح أو بالكتابية، بل أحياناً تكون الغيبة بالكتابية أسوأ مثل أن يقول: الحمد لله الذي لم يبتلي بحب الرئاسة، أو مجالسة الظلمة، أو حب المال، أو يقول: أعوذ بالله من العرص والبخل والصلافة، أعاذني الله من شر الشيطان، وغرضه في جميع هذه العبارات التعريض بشخص يحمل تلك المواقف.

وكثيراً ما يقول بعض الأشخاص المحتالين حين يريدون استغابة أحد بمدحه أولاً، فيقول هو نعم الرجل، لكن مع الأسف إنه مبتلى بالشيطان، وكذا وكذا، وأحياناً يظهرون الغصة والتأثير عليه نقاوة، ويقولون ما أشد تأثيرنا لفلان، قلنا يحرق له حيث صدر منه العمل الفلاطي. وإن كانوا صادقين في محبتهم له وتأثيرهم لأجله، فكان يلزمهم أن لا يفضحوا سره ويزدكروه بسوء)).^(٣١).

الفصل الثاني: دواعي الغيبة وبواعثها:

إن التأمل في ظاهرة الغيبة والسعى لدراسة وتحليل ظاهرة تفشيها واستشرافها بين الأفراد في عمق المجتمع المسلم، يوصلنا ويرشدنا إلى الكثير من البواعث والدواعي التي تؤدي إليها وتعمل على اتساع رقتها من قبيل:

أـ- الغفلة عن تحريمها وما ورد فيها من الوعيد^(٣٢)، فقد يكون المسلم

غير مدرك لضابطة الغيبة وموارد حرمتها ومن هنا لزم عليه أن يحيط بها وبصوابطها، وأن يتعرف عليها جيداً لكونها من المسائل التي تقع في معرض ابتلائه في الواقع الاجتماعي.

بـ- قد يكون المسلم عارفاً للغيبة مدركاً لحرمتها إلا أنه يغفل عن خطرها وعظمها وكونها من الذنوب الكبيرة، ((الخفاء هذا النوع من المنكر)) (٣٣) عند الناس ((ولو وسوس إليهم الشيطان أن اشربوا الخمر أو ازدوا بالمحصنات ما أطاعوه لظهور فحشه عند العامة، وسقوط محلهم به لديهم، بل عند متعاطي الرذائل الواضحة)) (٣٤).

ولكن مع إمعان النظر أكثر فأكثر نجد أن المغتاب كثيراً ما يعاني من عدة حالات نفسية أو مرضية تسوقه إلى الغيبة والاغتياب نذكر منها ما يلي:

١- الإحساس بالنقص والشعور بالقصور أمام الآخرين: فيسعى لصد هذا الشعور المؤلم بالغيبة وذكر عيوب الآخرين، بل ويسعى جاهداً لعراضهم بالصورة المشوهة التي يعني منها معاناة باطنية وإن لم تكن هذه الحالات فيهم، حيث أن عجزه عن الرقي إلى مستوى الآخرين يلتجأ إلى الهجوم عليهم والنيل منهم في غيرهم لكي يطفأ لهيب معاناته بالانتهاص منهم لتعويض نقصه.

٢- الكبراء والتعالي وإرادة الافتخار والمباهاة: فالشخص الذي هو معجب بنفسه، ويرى أن الآخرين أدون منه، يحاول عادةً عرض الآخرين وإبرازهم بالصورة المحتقرة المذمومة حتى ترتفع شخصيته وتبرز أكثر، فيرفع نفسه بتنتيصال غيره فيقول: فلان لا يعلم شيئاً أو لا يفهم شيئاً،

وغرقه الأساس أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وأنه أفضل منه، ومنشأ الغيبة هنا التكبر والمباهاة وهذه من ردائل القوة الغضبية.

٣- ضعف الشخصية: فقد يلجأ البعض للغيبة نتيجةً لضعف أنفسهم وهزالة إرادتهم أمام الآخرين ومن أمثلة ذلك:

أ- إرضاء الآخرين من الذين يرغبون في هدم شخصية وإسقاطها وتحطيمها والعمل على تقويض مكانتها، فيشاركونهم لارضائهم متجاهلاً غضب الرب العظيم، فيساعدون أقرانه ورفقاءه على الكلام حذراً من تنفرهم واستقالهم إياه لو لا مشاركته لهم في الحديث ظناً منه أنه مجاملة في الصحبة فيهلك معهم.

ب- أن ينسب إلى شيء من القبائح، فيزيد أن يتبرأ منه بذكر فاعل ذلك القبيح، وكان اللازم عليه أن يبرأ نفسه منه فقط منه دون التعرض للغير الذي فعله، وقد يشير إلى غيره ويلوح بأنه كان مشاركاً له في فعل القبيح لكي يخفف وطأة اللوم عليه، فيقع في محنور الغيبة.

ج- أن يستشعر من رجل أنه سيذكر مساوئه، أو يصبح حاله عند محثشم، أو يشهد عليه بشهادة فيبادر قبل ذلك بتقبیح حاله وذکرہ بسوء، ليسقط أثر كلامه وشهادته.

٤- السخرية والاستهزاء: فمن كان معتاداً على توهين الآخرين والمسخرة بهم، لا فرق لديه بين توجيه الكلام اللاذع إليهم مباشرة وبين توجيه سهامه إليهم وتصويبها في نحورهم في ظهر الغيب.

٥- اللعب والهزل والمرح: فالغرض الأساس هنا هو إضحاك

الآخرين لتأطيف أجواء المجلس وإن لم يكن بقصد الانتقاد كـما هو حاصل في السخرية والاستهزاء، فالدافع الرئيسي للغيبة هنا إضحاك الناس على المغتاب على سبيل التعبـج أو حكاية أفعاله والبـح بظرافتها، ومرجع هذا الصنف إلى القوة الشهـوية التي يـصبح الإنسان بها مـيـالـاً للـلـعـبـ والـمـرـحـ هـربـاً من هـمـومـ الدـنـيـاـ وـمـشاـكـلـ الـحـيـاـةـ.

٦- التـرحـمـ: وهو أن يـحزـنـ ويـغـتمـ بـسـبـبـ ما اـبـتـلـيـ بهـ غـيرـهـ فـيـقـولـ مـثـلاًـ:
الـمـسـكـينـ فـلـانـ قـدـ غـمـهـ وـأـحـزـنـهـ ماـ حـدـثـ لـهـ مـنـ الإـهـانـةـ وـالـاستـخـافـ،ـ
فـيـكـونـ صـادـقاًـ فـيـ اـغـتـامـاـهـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ ذـكـرـ اـسـمـهـ وـأـظـهـرـ عـيـهـ صـارـ مـغـتـابـاًـ.

٧- التـعـجـبـ أوـ التـبرـمـ: كـأنـ يـرـىـ منـكـراًـ أوـ مـسـاءـةـ مـنـ فـلـانـ أوـ يـسـمعـ
عـنـهـ فـيـقـولـ عـنـ جـمـاعـةـ: عـجـباًـ لـفـلـانـ كـيـفـ يـرـتـكـبـ مـثـلـ هـذـاـ المـنـكـرـ،ـ
يـتـبرـمـ وـيـتـضـجـرـ وـيـسـأـمـ مـنـهـ،ـ بـلـ وـقـدـ يـؤـديـ ذـلـكـ إـلـىـ غـضـبـهـ وـأـفـعـالـهـ فـيـظـهـرـ
غـضـبـهـ بـإـظـهـارـ إـسـمـهـ وـمـاـ عـمـلـهـ مـنـ سـوـءـ.

٨- تـصـدـيقـهـ الـخـبـرـ مـنـ دـوـنـ كـشـفـ وـتـبـعـ: كـأنـ يـقـولـ شـخـصـ
لـشـخـصـ: إـنـ فـلـانـاًـ قـدـ قـامـ بـالـعـلـمـ الـفـلـانـيـ السـيـ،ـ فـيـذـهـبـ الـمـتـلـقـيـ لـلـخـبـرـ وـيـنـشـرـ
الـحـدـيـثـ مـنـ دـوـنـ تـحـرـ لـلـحـقـيـقـةـ وـسـعـيـ لـلـوـصـوـلـ إـلـىـ مـرـامـيـهـاـ الـتـيـ قـدـ تـغـيـبـ
عـنـ الـأـذـهـانـ.

٩- خـبـثـ النـفـسـ وـسـوـادـ الـقـلـبـ: فـسـوـءـ السـرـيـرـةـ تـوـلـدـ لـدـىـ الـإـسـانـ
عـدـّـةـ أـمـورـ مـنـهـ:

أـ سـوـءـ الـطـنـ: فـيـصـبـحـ الـإـنـسـانـ دـائـمـ الـحـمـلـ عـلـىـ الـمـحـاـمـلـ السـيـئـةـ،ـ
بـخـلـافـ مـاـ جـاءـ فـيـ تـعـالـيمـ الـدـيـنـ الـحـنـيفـ مـنـ حـمـلـ الـمـؤـمـنـ عـلـىـ سـبـعينـ

محمل.

بـ - الحقد: فسى السريرة ينظر إلى الدنيا وما فيها بنظارة سوداء، فبمجرد حدوث شئ بينه وبين أخيه، تبشق الضغينة في جوانحه وتسيطر على كل كيانه، وبذلك يتحدث ويتكلم على الآخرين بما يحلو له.

جـ - الحسد: فصاحب النفس المظلمة يتالم عندما يرى نور النفوس المستبرة بمعرفة الله؛ وبهذا يتمنى زوال تلك الخصيصة منهم حتى يكثر أمثاله، فيدفعه الحسد للنيل من الآخرين لاسقاطهم.

دـ - الشتم وقذف التهم: فإذا اسود قلب المسلم أصبحت آثاره وخيمة لأنها نابعة من خبث متأصل، لهذا نجده يكيل التهم والشتائم للمؤمنين حتى يطفأ لهيب الهيجان النفسي المتآجج في ذاته المحمومة.

١٠ - محاولة تزيين الخبر وإظهاره بمظاهر أنيق: فقد يكون الخبر صحيحاً وواقياً إلا أنه يعلم أنه عندما يخبر به إخوانه لن يجذب انتباهم ولن يستثير أسماعهم للرضوخ لما يقول، ومن هنا يعتمد إلى إضافة بعض الأمور كذكر بعض مساوىء من يريد التحدث عنه التي هي مستوره عنهم لكي يهزّ كيانهم فيغيروا له أسماعهم تلقائياً ولو بدون شعور.

هذه بعض الأسباب التي توقع الإنسان في داء الغيبة الوخيم، وقد جاء ذكر أسباب الغيبة بشكل مختصر في كتاب مصابح الشريعة المروي عن الإمام الصادق عليه السلام نستحسن ذكرها في نهاية هذا الفصل، حيث قال عليه السلام: ((أصل الغيبة تتنوع بعشرة أنواع: شفاء غيض، ومساءة قوم، وتصديق خبر، وتهمة، وتصديقه خبر بلا كشفه، وسوء ظن، وحسد، وسخرية، وتعجب،

وتبرم، وتزيين، فإن أردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق، فيصير لك
مكان الغيبة عبرة، ومكان الإثم ثواباً).^(٣٥)

* * *

الفصل الثالث: موارد جواز الغيبة

جاء في الروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام كما ورد على لسان الكثير من العلماء جواز بعض موارد للغيبة أحصاها بعضهم اثني عشر مورداً^(٣٦)، ولكن قبل ذكر هذه الموارد يجدر بنا ذكر الضابطة التي على أساسها جازت الغيبة، ويمكن أن نذكر ثلاثة ضوابط من خلال تتبع كلمات الأعلام كما يلي:

الضابط الأول: أن لا ينطبق تعريف الغيبة على المورد المذكور كالفالسق المتباهر بالفسق، فإن تعريف الغيبة: (كشف ما ستره الله عليه) لا ينطبق عليه، حيث أنه متباهر بفسقه، وبذلك يكون المورد خارجاً عن موضوع الغيبة تخصصاً.

الضابط الثاني: أن يكون للغيبة غرض صحيح لا يمكن التوصل إليه إلا بالغيبة، فحينئذ تصح الغيبة، وهذا ما يظهر من كلام الشهيد الثاني حيث قال: ((اعلم أنَّ المرْخص في ذكر مسأة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة))^(٣٧)، كما أنَّ هذا المعنى صريح في كلام المحقق الكركي حيث قال: ((وضوابط الغيبة كل فعل

يقصد به هتك عرض المؤمن والتفكه به، أو إضحاك الناس فيه، فأمّا ما كان لغرض صحيح فلا يحرم كنصيحة المستشير^(٣٨) ، فلذا يمكن أن نستخرج قاعدة كليلة عامة مضمونها أنه في كل مورد يوجد غرض صحيح جازت الغيبة^(٣٩) ، فيكون هذا المورد خارجاً عن الغيبة تخصيصاً.

الضابط الثالث: ليس المدار في جواز الغيبة وجود غرض صحيح فيها فقط، ((بل المدار فيها وجود مصلحة أهم من مصلحة احترام المؤمن))^(٤٠) ، ولهذا ((إذا عارض الغيبة مصلحة أخرى أهم من مصلحة مراعاة احترام المؤمن وعدم انتهاك حرمتها فلا إشكال في جواز الغيبة حيئذ كما في سائر المحرمات عند مزاحمتها مع ما هو أهم منها عقلاً أو شرعاً^(٤١))، وأما ما يظهر من عبارة بعضهم^(٤٢) من جعل مطلق الغرض الصحيح من مسوغات الغيبة، فلم أعرف له وجهأً^(٤٣) . ومن هنا ((يقدم أحد الدليلين على الآخر لأجل أقوائية المالك))^(٤٤) ، ومن الواضح هنا وجود قاعدة عامة وكلية وهي تقديم الأهم ملاكاً، ((وعلى هذا، فموارد الاستثناء لا تنحصر في عدد معين))^(٤٥).

هذه ضوابط ثلاثة لجواز الغيبة، إلا أن الضابطة الثانية والثالثة ليست عامة وكلية بحيث يستطيع كل إنسان أن يطبقها على الموارد التي تصادفه في الحياة الاجتماعية، وإنما ذكرها العلماء من أجل ((توجيه الموارد التي ورد النص فيها على جواز الغيبة أو نص العلماء على جوازها حتى لا يتوهם بأن الاستثناء اعتباطي بلا ملاك، وارتجمالي بلا جهة، وليسـا^(٤٦) بصدق بيان أنه كل ما كان هناك غرض صحيح تجوز الغيبة))^(٤٧) ، فال الأولى صرف

الكلام إلى موارد الاستثناء وكذا موارد يقال أو يحتمل أن يقال بترجح
مقتضها على مقتضى الغيبة بعد ما لم يكن في الباب ملاك كلي وضابط
عام (٤٨)، ((إن الكلام هنا متمحض لبيان مستثنيات الغيبة بحسب التبعد
بالأدلة الخاصة، فلا مساس بلحاظ المناط والعمل بطبق أقوى
الملاكيـن)). (٤٩).

والخلاصة أن هناك موارداً لجواز الغيبة وردت في الروايات الشريفة
وجاءت على آلسنة بعض العلماء يمكن انتراع ضوابط عامة لها إلا أنه لا
يمكن تطبيق تلك الضوابط العامة المنترعة على أيّ مثال أو مصدق
صادفه في الواقع الاجتماعي، والموارد التي ذكرت لاستثناء حرمة الغيبة
وجوازها مايلي:

المورد الأول: ((غيبة المتجاهر بالفسق كمن يشرب المسكر في
الطرقات)) (٥٠)، حيث ((أن ذكر الفاسق المعلن خارج عن الغيبة موضوعاً
لما عرفت من أن الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه)) (٥١)، ولكن
ينبغي التنبيه على عدة أمور:

((إن القدر المتيقن من جواز الغيبة في هذا المورد هو ذكره في
خصوص ما يتجلّه به، أما جواز غيته في العيوب والذنوب الأخرى
المستورة فهو غير معلوم)).

((إن جواز غيبة المتجاهر بالفسق إنما هو في صورة ما لو كان
المتجاهر يعترف بأن عمله ذنب، أما لو أظهر لعمله عذرًا صحيحاً فإن غيته
غير جائزة، كما لو ادعى أنه يتناول الشراب للعلاج والدواء)).

ذهب البعض إلى ((أن الأحوط عدم استغابة المتباهر في غير البلد أو المحل الذي يتباهر فيه)).^(٥٢)

المورد الثاني: ((شكایة المتظلم بصورة ظلمه عند من يرجو منه إزالة ظلمة))^(٥٣)، ((أما من يعلم بأنه لا يجيئه أو لا يستطيع أن ينصره فالأحوط أن لا يشتكى عنده من الظالم ولا يذكر ظلمه)).^(٥٤)

المورد الثالث: نصح المستشير: وذلك في التزويف وإيداع الأمانة وأمثالهما، والحقيقة أن عدم ذكر العيب هنا هو خيانة بالمستشير، وعلى ذلك لا مانع من ذكر العيب في هذه الصورة ولكن مع مراعاة أمرين: أن يكون الضرر في عدم ذكر العيب أكبر، أما إذا كان الضرر في هتك الشخص وفضحه أكبر من الضرر الذي يصل إلى المستشير عند إيقاع المعاملة، فاللازم هنا عدم ذكر العيب.

أن يكون المغتاب مضطراً لذكر العيب من أجل عدم إيقاع المعاملة، أما إذا كان بالإمكان منع المستشير من إيقاع المعاملة من دون ذكر العيب كأن يقول له مثلاً: لا أرى صلاحاً في هذه المعاملة، وكان المستشير يقبل منه ذلك فيجب حينئذ الاكتفاء بذلك.^(٥٥)

المورد الرابع: الغيبة بقصد النهي عن المنكر مع اجتماع شرائطه: وينبغي التنبيه هنا على أمرين:

((إذا رأى منكراً من مسلم وعلم أنه سوف يتركه إذا اغتابه، أما إذا لم يغتبه فسوف يبقى مصراً عليه جاز له غيبته)).^(٥٦)

((يجب ملاحظة المفسدة الأكبر، فإذا كانت مفسدة الغيبة وهتك

حرمة ذلك المسلم أكبر من مفسدة نفس المنكر، فإن غيابه حينئذ غير جائزة وإن علم يقيناً أنه سوف يترك الذنب لو اغتابه)).^(٥٧).

المورد الخامس: غيبة الضالين المبتدعين في دين الله^(٥٨): وذلك بقصد فضحهم وكشفهم على حقيقتهم، لا لدعاً أخرى كالحقد أو التشفي.

المورد السادس: الجرح للشاهد والراوي^(٥٩): وذلك فيما لو نقل الفاسق خبراً أو شهد شهادة فتجوز غيابه بقصد أن يعرف فسقه فلا يقبل قوله.

المورد السابع: ذكر العيب الواضح المشهور الذي به يعرف صاحبه^(٦٠): مثل الأعمش والأحوال والأعرج بشرط أن يكون قصده من ذكرهم التعريف بهم لا الانتقاد منهم.

المورد الثامن: رد مدعى النسب زوراً وكذباً: حيث أن مصلحة حفظ الأنساب أهم من مفسدة هتك المدعى.

المورد التاسع: أن يقصد بغيته دفع الضرر عن المغتاب: كقوله ﴿لَعْبُ اللَّهِ بْنِ زَرَارَةَ أَقْرَأَ عَلَى وَالدَّكَّ مِنِي السَّلَامَ وَقَلَ إِنَّمَا اغْتَبْتُكَ دَفَاعًا مِنِي عَنِكَ﴾.^(٦١)

المورد العاشر: تفضيل بعض العلماء على بعض من أجل معرفة الأعلم أو الأكفاء: لا للانتقاد وكذلك تفضيل بعض الصناع على بعض لمعرفة الصنعة الأكثر جودة.

المورد الحادي عشر: الشهادة على الناس: إذا اطلع الذين يثبتون

التعزير أو الحد بشهادتهم على فاحشة جاز ذكرها عند الحاكم عند غياب الفاعل.

المورد الثاني عشر: غيبة معلوم الحال عند السامع: إذا علم اثنان أو ثلاثة معصية من آخر ذكرها بعضهم لآخر، جاز ذلك، لأنها لا تؤثر عند السامع شيئاً، والأولى التنزع عنها، لأنه ربما نسيها^(٦٢).

المورد الثالث عشر: رد المقالة الباطلة وقدحها: فيجوز القدح في الرأي الفاسد الباطل سواء كان في موضوع علمي أو في أمر من أمور الدين وإن كان الرد يدل على نقصان قائلها.

المورد الرابع عشر: الاغتياب في موضع الاستفتاء:
((والظاهر أن المراد منه في مورد القضاء الذي يتوقف على ذكر الظالم بالخصوص وبيان كيفية ظلمه وتعديه))^(٦٣)، والفارق بينه وبين التظلم أن الاستفتاء إنما يكون عند خصوص القاضي، أما التظلم فإنما يكون عند من يمكنه رفع ظلامته وإن لم يكن قاضياً.

المورد الخامس عشر: في سلب الاجتهاد:

((يجوز سلب الإجتهاد عن شخص، اللهم إلا إذا استلزم إهانة المسلوب عنه كما إذا كان الرجل شاغلاً منصب الإفتاء سنين متمادية، فسلب الاجتهاد عن مثل هذا الرجل إهانة لا تتجاوز إلا إذا كان هناك مصلحة غالبة على مفسدة الغيبة))^(٦٤).

ملاحظات:

أولاً: هذا البحث ((موارد جواز الغيبة)) بحث طويل وموسع حاولنا

الإختصار فيه مع الإفادة المطلوبة قدر الإمكان، فمن أراد التوسيع فعليه بمراجعة الكتب الفقهية^(٦٥)، والأخلاقية^(٦٦).

ثانياً: بعض هذه الموارد قد يكون فيها خلاف بين الفقهاء، كما أن بعضها يوجد فيه الكثير من التفصيات التي قد يختلف فيها الفقهاء، فليرجع كل مكلف إلى رأي من يقلده.

ثالثاً: صحيح أن هناك موارد جائزة للغيبة، ولكن يجدر بالإنسان أن يترفع عنها قدر الإمكان، ومن المناسب هنا ذكر الموعظة العظمى للمربي الكبير سماحة الإمام الخميني العظيم تماماً للفائدة في هذا الفصل حيث يقول قائل^(٦٧):

((والذي يجب أن نذكره هنا هو أن على الإنسان أن لا يعيش حالة الاطمئنان أبداً من مكائد النفس، بل يجب أن يتحرك في متنه الحذر والاحتياط، ولا يكون في صدد التبرير -لغيبته- بالأعذار بأن يقول أن هذا المورد هو من الموارد المستثناء فيسمح لنفسه بالبحث عن عيوب الناس وإشاعتها في المجتمع.

إن مكائد النفس باللغة الدقة، فيمكن أن تخدع الإنسان عن طريق الشرع، وتزجّه في مهلكة. فمثلاً إن غيبة المتجرأ بالفسق جائزة، وإذا توقف ردعه بعض الأحيان على استغابته وجبت غيبته من باب النهي عن المنكر، ولكن يجب أن يتأمل الإنسان بأن الدافع النفسي لغيبته هو الداعي الشرعي الإلهي - النهي عن المنكر - أو أن الباعث أهواء شيطانية ورغبة نفسانية - العداوة والتشفي - فإن كان الهدف الداعي الإلهي - النهي عن

المنكر - كان عمله من العبادات، بل كانت غيبته هذه بنية إصلاح المتجاهر بالفسق، والإساءة إليه من أوضح مصاديق الإحسان والإنعام إليه، وإن لم يشعر المغتاب بذلك. ولكن إذا كان قصده مشوباً بالفساد والميول النفسانية، فلابد من تخلص النية - من غير الدافع الإلهي - والصفح عن أعراض الناس وحرماتهم مع عدم هدف صحيح.

بل إنّ تعويد النفس على الغيبة في الأحوال الجائزة، تضر بحاله أيضاً، لأن النفس تميل نحو الشرور والقبائح، فمن المحتمل أن ينجر رويداً رويداً من الموارد الجائزة إلى مرحلة أخرى وهي الموارد المحرمة. كما أنّ الدخول في الشبهات غير محمود، رغم جوازه، لأنها من المحرمات ومن الممكن أن الإقتحام في الحمى يفضي إلى الدخول في المحرمات.

يجب على الإنسان مهما أمكن أن يبعد النفس عن الغيبة في الأحوال المسمومة، ويحترز عن الأمور التي يحتمل أن يكون فيها طغيان للنفس. نعم في الأحوال التي تجب الغيبة فيها، مثل غيبة المتجاهر بالفسق بهدف منه إذا كان لا يرتدع إلا بها أو الموارد الأخرى التي ذكرها العلماء، فلابد من الإقدام عليها، مع السعي الحيث لتخلص النية عن هوى النفس ومتابعة الشيطان.

ولكن ترك الغيبة في الموارد الجائزة أولى وأحسن. ينبغي أن لا نفعل كل عمل جائز، وخاصة الأمور التي يكون فيها لمكائد النفس والشيطان دور بارز)).^(٦٧).

رابعاً: إن صدور الغيبة من المسلم قبيح إلا أن صدورها من العالم

أُبَحْ، إِذْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْحَقِيقَيْنَ يَتَسَمُّونَ بِالْخَشْيَةِ الَّتِي تَحْجَبُهُمْ عَنِ الْاقْتِحَامِ
فِي الْمَهْلَكَاتِ، قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ الْعَلِيُّ :

((الخشية ميراث العلم وميزانه، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان،
ومن حرم الخشية لا يكون عالماً وإن شق الشعر بمشابهات العلم، قال الله
تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾).

وآفة العلم ثمانية: الطمع والبخل، والرياء والعصبية، وحب المدح،
والخوض فيما لم يصلوا على حقيقته، والتکلف في تزيين الكلام بزوابئه
الألفاظ: وقلة الحباء من الله، والافتخار، وترك العمل بما علموا.
قال عيسى الْعَلِيُّ: أشقي الناس من هو معروف بعلمه مجهول
(عمله)).(٦٨).

رأيت من المناسب أن أطرح ذلك البحث المكتوب
من دون أي تغيير، لأنَّه يعكس الجهد العلمي
لتلك الحقبة الزمنية

* * *

الهـامـش

- (١) الذنوب الكبيرة ج ١ ص ٤٤.
- (٢) الذنوب الكبيرة ج ١ ص ٥٧.
- (٣) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٦١.
- (٤) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٦٤.
- (٥) سورة النور: ٥٩.
- (٦) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٦٤.
- (٧) الصاحح ج ١ ص ١٩٦.
- (٨) أقرب الموارد ج ٤ ص ٨١.
- (٩) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٣٩٩.
- (١٠) مفتاح الكرامة ج ٤ ص ٦٤.
- (١١) الأربعون حديثاً ص ٢٨١.
- (١٢) راجع الأربعون حديثاً ص ٢٨٢ والمكاسب المحرمة ص ٢٥٣ للإمام الخميني، وجواهر الكلام ج ص ٦٤، إرشاد الطالب ص ١٩٠، المكاسب المحرمة للشيخ الأراكي ص ١٧٩ فما بعده.
- (١٣) كشف الريبة ص ١٨١.
- (١٤) الأربعون حديثاً ص ٢٨٢.
- (١٥) منهاج الصالحين للسيد الحكيم ص ١٣-١٤ وقد علق عليه الشهيد الصدر في هامشه قائلاً: ((يل الغيبة أن يكشف العيب المستور)), وبذلك يكون رأي الشهيد الصدر موافقاً لاستاذه السيد الخوئي كما سيأتي عند التعرض للقول الثالث.
- (١٦) الأربعون حديثاً ص ٢٨٣.

- (١٧) منهاج الصالحين السيد الخوئي ص ١١.
- (١٨) منهاج الصالحين للسيد الحكيم ص ١٣-١٤.
- (١٩) منهاج الصالحين للسيد السيستاني ص ١٧.
- (٢٠) راجع ((التعليق على منهاج الصالحين)) للشيخ التبريزى ص ٦.
- (٢١) ((وهي حالة عدم حصول الفقيه على دليل يدل على الحكم الشرعي وبقاء الحكم مجهولاً لديه، فيتجه البحث في هذه الحالة إلى محاولة تحديد الموقف العملي تجاه ذلك الحكم المجهول بدلاً عن اكتشاف نفس الحكم، ومثال ذلك: حالة الفقيه تجاه التدخين. فإن التدخين نحتمل حرمه شرعاً منذ البدء، وننجزه أولاً إلى محاولة الحصول على دليل يعين حكمه الشرعي، فحيث لا نجد نتساءل ما هو الموقف العملي الذي يتحتم علينا أن نسلكه تجاه ذلك الحكم المجهول، وهل يتحتم علينا أن نحتاط أو لا؟ وهذا هو السؤال الأساسي الذي يعالجه الفقيه في هذه الحالة، ويجب عليه في ضوء الأصول العملية بوصفها عناصر مشتركة في عملية الاستنباط)) دروس في علم الأصول - الحلقة الأولى ص ١٦٩-١٧٠.
- (٢٢) راجع مصباح الفقاهة ج ص ٣٢٦.
- (٢٣) المكاسب المحرمة للشيخ الأراكي ص ١٩٩.
- (٢٤) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٦٨-٢٦٩.
- (٢٥) راجع منهاج الصالحين للسيد الخوئي ص ١١، ومنهاج الصالحين للسيد السيستاني ص ١٧-١٨، كما أن الشيخ جواد التبريزى لم يعلق على هذه المسألة مما يعني أنه يرى ذلك فراجع ص ٦ من تعليقه على المنهاج.
- (٢٦) المسائل الشرعية للسيد الخوئي ج ٢ ص ١١.
- (٢٧) راجع مفتاح الكرامة ج ٤ ص ٦٥، وهناك تتبين مناقشة السيد العاملي للمحقق الأردبيلي المائل إلى حرمة ذلك، كما ويراجع جواهر الكلام ج ٢٢ ص ٦٢.

- (٢٨) إرشاد السائل ص ١٨٣-١٨٤.
- (٢٩) راجع مفتاح الكرامة ص ٦٤-٦٥.
- (٣٠) ولعله يقصد الشهيد الثاني في كتابه كشف الريبة فراجع ص ١٩٣-٢٠٠ من نفس الكتاب المذكور.
- (٣١) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٦٩-٢٧٠.
- (٣٢) كشف الريبة ص ١٧٩.
- (٣٣) نفس المصدر
- (٣٤) نفس المصدر
- (٣٥) ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٣٣٦، وللرواية صدر لا بأس به، فمن أراد الإطلاع عليه يراجع كتاب مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام ص ٢٠٤-٢٠٥، وكتاب جامع السعادات ج ٢ ص ١٩٤، وكتاب مستدرك الوسائل ج ٢ ص ١٠٥-١٠٦، كما يستحسن الرجوع إلى كتابي جامع السعادات والمحجة البيضاء ج ٥ ص ٢٦١-٢٦٤، لمعرفة المزيد عن النقاط المتقدمة.
- (٣٦) راجع مفتاح الكرامة ج ٤ ص ٦٦-٦٧.
- (٣٧) كشف الريبة ص ٢١٩.
- (٣٨) جامع المقاصد ج ٢٧، كما يستفاد ذلك من جامع السعادات ج ٢ ص ٣١١، والمحجة البيضاء ج ٥ ص ٢٧٠.
- (٣٩) سيأتي إن شاء الله تعالى منع هذه القاعدة العامة في كلام الإمام الخميني والسيد الخوئي عند ذكر الضابط الثالث حيث أن تجويز الغيبة في الموارد الإثني عشر التي ستأتي خلاف الأصل (حرمة غيبة المؤمن)، ولذلك نقتصر فيما خالف الأصل المذكور على القدر المتيقن (وهو خصوص الموارد الإثني عشر) أو الخمسة عشر التي ذكرها العلماء الأعلام وجاءت بها الروايات(فتبيه).

- (٤٠) مصباح الفقاهة ج ١ ص .٣٣٦
- (٤١) وهذا ما يستفاد من كلمات الشيخ الأنصاري فراجع المكاسب ص .٣٤٢-٣٤٣.
- (٤٢) وهو الشهيد الثاني والمحقق الكركي كما تقدم في الصابط الثاني.
- (٤٣) المكاسب المحرمة للشيخ الراكي ص .٢١٥
- (٤٤) المواهب في تحرير أحكام المكاسب ص ٥١٦ كما يحسن الرجوع إليه لمعرفة الضوابط الثلاث المتقدمة جيداً.
- (٤٥) راجع المكاسب للشيخ الأنصاري ص .٣٤٣
- (٤٦) المراد من ضمير التثنية هما الشهيد الثاني والمحقق الكركي حيث يستفاد من كلامهما وجود قاعدة عامة كليلة لجواز الغيبة.
- (٤٧) راجع المواهب في تحرير أحكام المكاسب ص .٥١٥-٥١٦
- (٤٨) المكاسب المحرمة للإمام الخميني ص .٢٧٥
- (٤٩) مصباح الفقاهة ج ١ ص .٣٣٧
- (٥٠) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص .٢٧٢
- (٥١) المواهب في تحرير أحكام المكاسب ص .٥١٧
- (٥٢) هذه الأمور الثلاثة المذكورة تجدها في كتاب الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٧٢ مع تفصيل أكثر فراجع.
- (٥٣) مفتاح الكرامة ج ٤ ص .٦٦
- (٥٤) الذنوب الكبيرة ج ٢ ص .٢٧٣-٢٧٤
- (٥٥) الذنوب الكبيرة ج ٢، ص .٢٧٣-٢٧٤
- (٥٦) الذنوب الكبيرة ج ٢، ص .٢٧٣-٢٧٤
- (٥٧) المصدر السابق.

- (٥٨) الذنوب الكبيرة ج ٢، ص ٢٧٤.
- (٥٩) مفتاح الكرامة ج ٤ ص ٦٦.
- (٦٠) ملاحظة: اغلب ما سند كره فيما بعد فنقول من كتاب الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٧٤ أو عن مفتاح الكرامة ج ٤ ص ٦٦ فليراجع إليها.
- (٦١) مفتاح الكرامة ج ٤، ص ٦٦-٦٧.
- (٦٢) مفتاح الكرامة ج ٤، ص ٦٧-٦٦.
- (٦٣) المواهب في تحرير أحكام المكاسب ص ٥٣٦.
- (٦٤) المواهب في تحرير أحكام المكاسب ص ٥٤٣.
- (٦٥) مثل المكاسب المحرمة للإمام الخميني ص ٢٧٤، مصباح الفقاہة للسيد الخوئي ج ١ ص ٣٣٦. المكاسب للشيخ الأنصاري ص ٣٤٢، المكاسب المحرمة للشيخ الأراكي ص ٢١٥. المواهب في تحرير أحكام المكاسب الشيخ السبحاني ص ٥١٤.
- (٦٦) مثل كشف الريبة عن أحكام الغيبة للشهيد الثاني ص ٢١٩، جامع السعادات ج ٢ ص ٣١١، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء ج ٥ ص ٢٧٠، الذنوب الكبيرة ج ٢ ص ٢٧٢.
- (٦٧) الأربعون حديثاً ص ٢٩٣-٢٩٢، كما أن لهذه الموعظة تتمة يحسن مطالعتها فليراجع.
- (٦٨) مصباح الشريعة ص ٢٠-٢١.

التوبة

محمود حسن غلوم

قال الله تبار وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى
اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا)) (١).

التوبة في اللغة:

كَعْرَفَ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ (الْمَفَرَدَاتُ فِي غَرِيبِ
الْقُرْآنِ) التَّوْبَةُ بِأَنَّهَا: تَرْكُ الذَّنْبِ عَلَى أَجْمَلِ الْوِجْوهِ. وَهُوَ أَبْلَغُ وِجْهَهُ
الاعتذار، فَإِنِ الاعتذار عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجَهٍ: إِمَّا أَنْ يَقُولَ الْمُعْتَذِرُ: لَمْ أَفْعَلْ أَوْ
يَقُولَ: فَعَلْتُ لِأَجْلِ كَذَا، أَوْ فَعَلْتُ، وَأَسَأْتُ، وَقَدْ أَقْلَعْتُ. لَا رَابِعُ لِذَلِكَ.
وَهَذَا الْأَخِيرُ هُوَ التَّوْبَةُ.

التوبة في الشرع :

تَرْكُ الذَّنْبِ لِقَبْحِهِ، وَالنَّدَمُ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَالْعَزِيمَةُ عَلَى تَرْكِ
الْمَعَاوِدَةِ وَتَدارُكِ مَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَتَدارَكَ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالإِعَادَةِ. فَمَتَّى اجْتَمَعَتْ
هَذِهِ الْأَرْبَعَ فَقَدْ كَمِلَتْ شَرَائِطَ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ.

يُقَالُ لِبَادِلِ التَّوْبَةِ، وَلِقَابِلِ التَّوْبَةِ بِالتَّائِبِ، فَالْعَبْدُ تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ
تَائِبٌ عَلَى عَبْدِهِ. وَالْعَبْدُ الْكَثِيرُ التَّوْبَةِ يُسَمَّى بِالْتَّوَابِ - وَذَلِكَ بِأَنَّ يَتَرَكَ فِي
كُلِّ وَقْتٍ بَعْضُ الذَّنْبُونَ عَلَى التَّرْتِيبِ حَتَّى يَصِيرَ تَارِكًا لِجَمِيعِهَا. وَيُوصَفُ

الله تعالى بالتوّاب لكتّرة قوله توبّة العباد حالاً بعد حالٍ^(٢).

بواية الرحمة:

ولا يخفى على ذوي البصائر أن التوبة هي شعبة من الفضل الإلهي العظيم، وباب من أبواب رحمة رب الرحيم التي فتحها لعباده. ولو كان الباب مغلقاً لم يكن لأحد فلاح لأن طبيعة البشر مجبولة على الخطأ والمعصية والاشتباه بنحو لا ينجو واحد من البشر من الابتلاء بأنواع الآثام في أعمال جوارحه وجوائحه إلا من عصم الله.

وببناءً على ذلك فقد جعل الله - الحكيم الرحيم - التوبة دواء للآلام المعنوية، وعلاجًا للأمراض القلبية، ومطهراً للأوساخ، ليطهر الإنسان بعد الابتلاء بالذنب ببركة التوبة ويكون من أهل النجاة. فالسعيد من عرف أهمية هذا الباب واستفاد منه وشكر هذه النعمة الإلهية، والشقي من كان باب الرحمة هذا حجة عليه، فهو يقف يوم القيمة عند الحساب والسؤال عن أعماله فكلما أراد أن يعتذر قائلاً: الهي كنت جاهلاً لا علم لي، كنت أسير الشهوة والغضب، غلبني هواي، وعجزت عن مقاومة وساوس الشيطان، يقال له في رد كل الأعذار: ألم أفتح لك باب التوبة؟ هل كلفتك بما لا تطيق؟ هل أخذتك بشدة؟ هل وضعت للتوبة شرائط صعبة وخارج قدرتك؟

كيف أتوب؟

إذا كنّا نريد أن نتوب، فإنّ كان ما فرطنا فيه من حقوق الله مثل ما لوى تركنا الصلاة والصوم والزكاة والحج ففيجب علينا قضاها، وإن كان من

حقوق الناس، فإن كان حقاً مالياً أعدناه لصاحبها إن كان حيا، وللورثة إن كان ميتا، وإن كنا لا نعرف صاحبه، ففي هذه الحالة نرجع إلى المحاكم الشرعية، لأنها تعد من المظالم، وإن كان الحق عرضاً وجب عليه تحصيل رضا الطرف الآخر، وإن كان الحق قصاصاً سلم نفسه، فأما أن يقتضي منه أو تؤخذ الدية منه أو يغفو عنه صاحب الحق، وإن كان الحق حداً كالقذف وجب عليه أن يسلم نفسه، ليقام عليه الحد أو يغفو عنه صاحب الحق، أما الذنوب التي فرض فيها الحد مثل الزنا، فإنه لا يجب عليه أن يقرَّ على نفسه أمام المحاكم الشرعية ليجري عليه الحد، وإنما يكفي منه الندم على الذنب، والعزم على تركه في المستقبل، والاستغفار منه، حاله في ذلك حال الكبائر التي لم يثبت فيها حد شرعي كاستماع الغناء والموسيقى، وظاهر الآيات والروايات أنه يجب بعد الندم الاستغفار، وهو أن يطلب العفو والمغفرة من الله.

روي أن قائلاً عند أمير المؤمنين قال: استغفر الله .

قال له ﷺ: ثكلتك أمك أتدرى ما الاستغفار؟

إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، الثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعه، الرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها، الخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلتصق الجلد باللحم، وينشأ بينهما لحم جديد، السادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما

أدفته حلاوة المعصية^(٣).

روايات في التوبة

ثم أن هناك روايات كثيرة ذكرت في التوبة مثلاً:

عن أمير المؤمنين عليه السلام (التوبة تطهر القلوب، وتغسل الذنوب)^(٤).

وعنه أيضاً (حسن التوبة يمحو الحوبة)^(٥).

وعن الإمام الرضا عليه السلام (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)^(٦).

وأيضاً جاء في تفسير الصافي - سورة آل عمران - أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله عليه وآله وسنه باكيًا، فسلم فرد عليه، ثم قال: ما يبكيك يا معاذ فقال: يا رسول الله إن بالباب شاباً طري الجسد، نقى اللون، حسن الصورة يبكي على شبابه بكاء الشكلى على ولدها يريد الدخول عليك، فقال النبي عليه وآله وسنه: أدخل على الشاب يا معاذ، فأدخله عليه فسلم عليه فرد عليه وآله وسنه السلام ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركت ذنوبي إن أحذني الله عزّ وجل ببعضها أدخلني النار ولا أراني إلا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً!!

فقال رسول الله عليه وآله وسنه: هل أشركت بالله شيئاً؟

قال: أعوذ بالله أن أشرك بربي شيئاً!

قال: أقتلت النفس التي حرم الله؟

قال: لا.

فقال النبي عليه وآله وسنه: يغفر الله ذنبي وإن كانت مثل العجائب الروايس.

قال الشاب: فإنها أعظم من الجبال الرواسي.

قال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع
وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

قال: فإنها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما
فيها من الخلق.

قال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات
ونجومها ومثل العرش والكرسي.

قال: فإنها أعظم من ذلك.

قال: فنظر النبي ﷺ كهيئة الغضبان ثم قال: ويحك يا شاب، ذنوبك
أعظم أم ربك؟ فخر الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان الله ربّي، ماشي أعظم
من ربّي، ربّي أعظم يا نبّي الله من كل عظيم،

قال النبي ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلا رب العظيم؟

قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثم سكت الشاب فقال النبي ﷺ:
ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟

قال بل أخبرك، أني كنت أنبش القبور سبع سنين أخرج الأموات
وأنز الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلما حملت إلى قبرها
ودفت وانصرف عنها أهلها وجنَّ عليهم الليل أتيت قبرها فنبشته ثم
استخرجتها ونزلعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجردة على شفير
قبرها ومضيت منتصراً.

فأتاني الشيطان فأقبل يزئنها إلىٰ ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما

ترى وركيها فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين، يوم يوقفي وإياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى ونزعوني من حفترتي، وسلبني أكفاني وتركني أقوم جنبا إلى حسابي، فويل لشبابك من النار..

فما أظن أنني أشم ريح الجنة أبداً، ماترَّى لي يا رسول الله؟

قال النبي ﷺ تَنَحَّ عنِي يَا فَاسِقٍ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَحْرِقَ بَنَارَكَ فَمَا أَقْرَبَكَ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ لَمْ يَزُلْ عَلَيْهِ يَقُولُ وَيُشَيرُ إِلَيْهِ حَتَّى أَمْعَنَ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ، فَذَهَبَ فَأَتَى الْمَدِينَةَ فَتَرَوَدَ مِنْهَا ثُمَّ أَتَى بَعْضَ جَبَالِهَا فَتَعْبَدُ فِيهَا وَلِبَسَ مَسْحَأً وَغَلَّ يَدِيهِ جَمِيعاً إِلَى عَنْقِهِ وَنَادَى: يَا رَبُّ هَذَا عَبْدَكَ بَهْلَوْلَ بَيْنَ يَدِيكَ مَغْلُولَ، يَا رَبُّ أَنْتَ الَّذِي تَعْرِفُنِي، وَصَدَرَ مِنِّي مَا تَعْلَمُ سَيِّدِي، يَا رَبُّ إِنِّي أَصَبَحَتُ مِنَ النَّادِمِينَ، وَأَتَيْتُ نَبِيَّكَ تَائِبًا فَطَرَدْنِي وَزَادَنِي خَوْفًا فَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ وَجَلَالِكَ وَعَظَمَةِ سَلَطَانِكَ أَنْ لَا تُخْبِبَ رَجَائِي، سَيِّدِي، لَا تُبْطِلْ دُعَائِي وَلَا تُؤْيِسْنِي مِنْ رَحْمَتِكَ، فَلَمْ يَزُلْ يَقُولُ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلِيلَةَ تَبَكِّي لِهِ السَّبَاعَ وَالْوَحْشَ.

فَلَمَا تَمَّتْ لَهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا وَلِيلَةَ رَفَعَ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ مَا فَعَلْتُ فِي حَاجَتِي؟ إِنْ كُنْتَ اسْتَجِبْ لِي دُعَائِي، وَغَفَرْتُ خَطَئِي فَأُوحِي إِلَى نَبِيِّكَ، وَأَنْ لَمْ تَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي وَلَمْ تَغْفِرْ لِي خَطَئِي وَأَرْدَتْ عَقْوبَتِي فَعَجَّلَ بَنَارَ تَحْرِقَنِي أَوْ عَقْوَبَةَ فِي الدُّنْيَا تَهْلِكَنِي، وَخَلَّصَنِي مِنْ فَضْيَّحَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) ^(٧)
يقول عز وجل: أتاك عبدي يا محمد تائباً فطردته فأين يذهب، وإلى من يقصد ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري، ثم قال عز وجل (ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعملون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العالمين) ^(٨) فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسم فقال لأصحابه: من يدلني على ذلك الشاب التائب.

فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه، وقد اسود وجهه وتساقطت أشفار عينه من البكاء وهو يقول: سيدى قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي، فلilit شعري ماذا ترید بي، أفي النار تحرقني أو في جوارك تسكتنى، اللهم انك قد أكثرت الإحسان إلى وأنعمت على، فلilit شعري ماذا يكون آخر أمري إلى الجنة ترفنى أم إلى النار تسوقنى؟ اللهم إن خططي أعظم من السماوات والأرض، ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم، فلilit شعري تغفر خططي أم تفضحني بها يوم القيمة؟

فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحشو التراب على رأسه، وقد أحاطت به السباع، وصفت فوقه الطير وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول أبشر

فأنك عتيق النار.

ثم قال لأصحابه: هكذا تدار كوا الذنوب كما تدار كها بهلول، ثم تلا عليه ما أنزل الله عز وجل فيه وبشره بالجنة^(٩).

والتبعة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.

三

الفوایش

- (١) سورة التحرير: الآية .٨.

(٢) الراغب الأصفهاني (المفردات في غريب القرآن).

(٣) الذنوب الكبيرة الجزء الثاني القسم الأول — التوبة.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) آل عمران، الآية ١٣٥.

(٨) آل عمران، الآية ١٣٦.

(٩) القصة: تفسير الصافي — سورة آل عمران.

قضية فدك

محمد إبراهيم على المبشر

فَدَكْ : هي إحدى القرى المثمرة تقع في أطراف المدينة المنورة (في الحجاز)، وتبعد عن المدينة المنورة يومين وقيل ثلاثة أيام وهي أرض يهودية لبني النضير.

كيف جعلت فدك لرسول الله ﷺ :

في السنة السابعة هجريا حصلت غزوة خيبر وبيان نصر المسلمين على يد من يحبه الله ورسوله وهو علي بن أبي طالب رض.

كما قال النبي ﷺ : لأعطيين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار لا فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه. فبات الناس يتذمرون حول الرجل المتتصف بهذه الصفات، المقصود بكلام رسول الله ﷺ وكان الإمام علي رض غائباً في تلك الغزوة بسبب مرض أصحاب عينه (مرض الرمد) بحيث منعه عن الإبصار.

أصبح الصباح وخرج رسول الله ﷺ بالراية، وأقبل الناس إلى النبي ليعرفوا الرجل الذي يستحق أن يكون حاملاً لراية الإسلام وفاتحة لمحصون اليهود؟ فقال النبي ﷺ : أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، فقال: أرسلوا إليه.

فجاؤوا به على بغلة وعينه معصوبة بخرقة، فأخذ سلمة بن الأكوع
بيده وأتى به إلى النبي ﷺ.

قال النبي : ما تشتكي يا علي ؟

قال: رمد ما أبصر معه، و صداع برأسني.

قال النبي: اجلس وضع رأسك على فخذدي .

ففعل علي ذلك، فدعا له النبي ﷺ وتفل في يده فمسح بها على
عينيه ورأسه فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع.

وقال النبي: اللهم قه الحر والبرد.

وأعطاه الراية وكانت بيضاء.

قال له: خذ الراية وامض بها، فجبرائيل معاك، والنصر أمامك والربع
مبثوث في صدور القوم، واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي
يدمر عليهم اسمه: (إيليا) فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يخذلون إن شاء
الله ، فكما قال رسول الله ﷺ لأمينه أمير المؤمنين ع: فقد انتصر عليهم
بموافقه الإلهية ومن أراد التفصيل فليطلبه من الكتب الخاصة^(١).

عرضنا قصة غزوة خيبر التي تبعث على الفخر والاعتزاز لما فيها من
الانتصار العظيم، لأنها تتعلق بقصة فدك فهي مدخل إلى قضيتنا الرئيسة.
وعندما وصل الخبر إلى أهل فدك دخل الرعب والخوف في قلوبهم
فسارعوا بإرسال رسول منهم إلى رسول الله ﷺ بأن يعطوا الرسول نصف
فدرك. وقيل بل كلها.

لقد تم عرض مقدمة قصيرة مفيدة لإطلاع القارئ العزيز من بدايات

القصة.

* لا يخفى عليك أن القرآن الكريم قد أعطانا قاعدة ترتبط بهذا المورد أي حكم الغنائم التي تكون ملكا خاصا للرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي الآية الكريمة ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾^(٢).

سنعرض لكم معاني كلمات هذه الآية بحيث يتضح لنا المعنى المراد: (أفاء) : من مادة (فَيْ) على وزن شيء - وهي في الأصل بمعنى الرجوع.

(أوجفتم) : من مادة (إيجاف) بمعنى السوق السريع الذي يحدث غالبا في الحروب.

(خيل) : بمعنى المتعارف عليه وهي اسم جنس وجمعها خيول .
(ركاب) : من مادة (ركوب) وتطلق في الغالب على ركوب الجمال .
يتضح لنا من مجموع الآية أن جميع الموارد التي لم تحدث فيها القتال وتوجد فيها الغنائم فإنها لا توزع بين المقاتلين بل توضع تحت يد القائد العام وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أشارت الآية الكريمة .

إذن فدك ملك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي مما أفاء الله تعالى على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة السابعة صلحًا، لأنها لم يوجد لها بخيل وركاب فصارت كلها ملكا خاصا.

كيفية انتقال فدك إلى السيدة فاطمة الزهراء ﷺ :

من هي السيدة فاطمة الزهراء

هي كما قال الشاعر:

شعت فلا الشمس تحكيمها ولا القمر
زهراء من نورها الأكونان تزدهر

بنت الخلود لها الأجيال خاشعة
أم الزمان إليها تتسمى العصر

مجبولة من جلال الله طينتها
يرف لطفا عليها الصون والخفر

ما عاب مفخرها التأنيث إن بها
على الرجال نساء الأرض تفتخر

حوت خلال رسول الله أجمعها
لولا الرسالة ساوي أصله الثمر

قل للذي راح يخفي فضلها حسدا
وجه الحقيقة عنا كيف ينستر

أتقرن النور بالظلماء من سفه
ما أنت في القول إلا كاذب أشر

بنت النبي الذي لولا هدايته
ما كان للحق لا عين ولا أثر

هي التي ورثت حقاً مفاحرها
والعطر فيه الذي في الورد مدخل

تزوجت في السما بالمرتضى شرقاً
والشمس يقرنها في الرتبة القمر

على النبوة أضفت في مراتبها
فضل الولاية لا تبقي ولا تذر

أم الأئمة من طوعاً لرغبتهم
يعلو القضاء بنا أو ينزل القدر^(٣)

هذه أبيات تكلمت عن السيدة الزهراء لتبيّن مكانتها من نافذة الشعر،
ونسبها الكريم الذي لا يضاهيه نسب :
الأب :

أبو الزهراء ؛ هو سيد الكائنات وأشرف المخلوقات النبي الأكرم
محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء الذي فتح آفاق العلم والنور، الذي غير
تاريخ العرب الجهلاء؛ بعبارة واضحة هونبي الله الذي لا ينطق عن الهوى
إن هو إلا وحى يوحى.

الأم :

وأما أمها فهي خديجة بنت خويلد الطاهرة التي تسمى سيدة نساء
قريش في الجاهلية، وأم المؤمنين في الإسلام، ذات الشرف الأصيل،
تجمع مع النبي في جدها الثالث، وهو الجد الرابع للنبي عليه السلام وهو "قصي"

و ينتهي النسب إلى إبراهيم شيخ الأنبياء ﷺ .

الزهراء:

هي أم سيدى شباب أهل الجنة اللذين انحصر فيهما نسب الرسول الأكرم عليه السلام ، هي الصديقة والباركة والطاهرة والزكية والرضية والمحدثة والبتول والزهراء، هذا من ألقابها.

وهذه الأسماء من الله تبارك وتعالى، فلكل اسم علة لتسميتها به، ولسنا في مقام ذكر عللها.

وأما كنيتها "أم أبيها" كنيت بذلك لعظيم حنانها وشفقتها على أبيها رسول الله عليه السلام .

أم الحسين: كُنْيَتْ بِأَمِ الْحَسَنِينِ، وَهُمَا سَبَطَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

أم الحسن: وهو نجلها الأكبر الإمام الزكي الحسن عليه السلام.

أم الحسين: وهو نجلها الثاني محيي الإسلام، ومنقذ المسلمين، وأبى الأحرار الإمام الحسين عليه السلام.

وبعد هذه المقدمات التي تعرفنا من خلالها على سيدنا فاطمة الزهراء عليها السلام ندخل في كيفية انتقال فدك إليها.

قد ذكر لنا التاريخ الإسلامي والقرآن الكريم أنه حينما رجع رسول الله عليه السلام إلى المدينة المنورة نزل جبرائيل من عند رب الجليل بالآية المباركة: ﴿وَآتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرْ بَئْذِيرًا﴾ (٤).

أو الآية المباركة: ﴿فَاتَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمُسْكِنَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾^(٥). والشاهد في الآيتين هو قوله: (وَاتَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَهُ)، فانشغل فكر رسول الله عليه ﷺ، من هم؟ وما حقهم؟ فنزل جبرائيل ثانيا عليه عليه ﷺ وقال: إن الله سبحانه يأمرك أن تعطي فدكا لفاطمة ؓ، فطلب النبي عليه ﷺ ابنته فاطمة ؓ وقال: إن الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدكا، فمنحها وتصرفت هي فيها وأخذت حاصلها فكانت تنفقها على المساكين.

وهذا الكلام قد ورد في كتب التفسير لأهل السنة: كالشعبي في تفسير كشف البيان، وجلال الدين السيوطي في الدر المنشور: ج ٤، رواه عن الحافظ ابن مردوه وأحمد بن موسى المتوفى في عام ٣٥٢، وأبو القاسم الحكمي الحسكناني والمتفق الهندي في كنز العمال وابن كثير الدمشقي الفقيه الشافعي في تاريخه والشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة (باب ٣٩) نقاً عن الشعبي وعن جمع الفوائد وعيون الأخبار أنه لما نزلت: (وَاتَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَهُ) دعا النبي عليه ﷺ فاطمة فأعطها فدك الكبير.

طريق إثبات حق السيدة الزهراء ؓ:

الطريق الأول الذي يثبت حق السيدة الزهراء ؓ هو طريق السنة الشريفة كما أسلفنا ذكره.

الطريق الثاني الذي يثبت حق السيدة الزهراء ؓ هو طريق التاريخ كما أشار القرآن الكريم بأهمية التاريخ.

وأما الطريق الثالث لإثبات فدك للسيدة الزهراء ؓ فهو عن طريق

الإرث بالنسبة، حيث أنه من الواضح كوضوح الشمس أن السيدة الزهراء عليها السلام الوارث الشرعي الوحيد لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه على رأي الإمامية، لأن الزوجة لا ترث الأرض "الأموال غير المنقوله".

وهناك موقف من أحد خلفاء آل أمية قام به حيث دل على أحقيـة السيدة الزهراء عليها السلام بفـدـكـعـنـدـمـاـرـدـهـاـعـلـىـأـهـلـهـاـ.

كما ذكر في تاريخ الطبرـي : ١١٢ / ٤ ، مغاريـوـالـوـاقـدـيـ: ٧٠٧ / ٢
تـارـيـخــالـمـدـيـنـةــالـمـنـورـةــ: ١ / ١٩٥ ، شـرـحــنـهــجــالـبــلــاغــةــلــابــنــأــبــيــالــحــدــيدــ: ٢١٠ / ٦ــ،ــوــغــيرــهــاـ.

مأساة الزهراء عليها السلام في فـدـكـ:

بعدما عرضـناـلـلـقـارـئـالـعـزـيزـقـصـةـاـنـتـقـالـفـدـكـأـوـأـحـقـيـةـالـزـهـرـاءـفـيـ
فـدـكـ،ــحــصــلــمــاـلــمــيــتــوــقــعــحــصــوــلــهــفــيــالــزــمــانــالــمــتــغــيــرــلــأــجــلــبعــضــأــمــوــرــ
ــدــنــيــوــيــةــأــوــإــطــاعــةــمــنــلــاـيــنــبــغــيــأــنــيــطــاعــوــلــكــمــهــذــهــالــقــضــيــةــالــمــؤــلــمــةــ.

ــعــلــىــالــطــرــيــقــالــأــوــلــالــذــيــعــرــضــوــهــوــكــوــنــفــدــكــنــحــلــةــمــنــالــرــســوــلــ
ــالــأــكــرــمــعــلــيــوــلــهــإــلــىــابــتــهــالــســيــدــةــالــزــهــرــاءــعــلــيــهــالــلــمــاــفــيــحــالــحــيــاتــهــبــأــمــرــمــنــالــلــهــ
ــعــزــوــجــلــ)،ــفــتــصــرــفــتــالــســيــدــةــالــزــهــرــاءــعــلــيــهــفــيــعــبــثــعــمــالــهــلــيــعــمــلــوــاــ،ــوــكــانــوــاــ
ــيــأــتــونــإــلــيــهــبــحــاـصــلــهــفــيــحــيــاــرــســوــلــالــأــكــرــمــعــلــيــهــالــلــمــاــوــهــيــكــانــتــتــنــفــقــعــلــىــ

ــنــفــســهــأــوــتــتــصــدــقــبــهــعــلــىــالــفــقــرــاءــوــالــمــعــوــزــيــنــ،ــوــلــكــنــبــعــدــوــفــاهــالــنــبــيــ
ــالــأــكــرــمــعــلــيــهــأــرــســلــأــبــوــبــكــرــجــمــاعــةــفــأــخــرــجــوــاــعــمــالــفــاطــمــةــمــنــفــدــكــ

ــوــغــصــبــوــهــأــوــتــصــرــفــوــفــيــهــذــكــرــالــطــبــرــســيــفــالــاحــتــجــاجــ:ــفــجــاءــتــفــاطــمــةــعــلــيــهــ
ــإــلــىــأــبــيــبــكــرــثــمــقــالــتــلــمــمــنــمــيــرــاثــيــمــنــأــبــيــرــســوــلــالــلــهــعــلــيــهــلــمــ؟ــ
ــ١ــ٣ــ٦ــ دــســالــةــالــقــلــمــ

وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى؟
لعل السيدة الزهراء زينب ذكرت هذا لأنها رأت أبا بكر لم يعلم بقاعدة
اليد التي قد حصلت عبر طريق النحلة.

قال: هاتي على ذلك بشهود، فجاءت أم أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا
بكر حتى أحتاج عليك بما قال رسول الله ﷺ، أشدهك بالله ألسنت تعلم أن
رسول الله قال: أم أيمن امرأة من أهل الجنة؟
قال: بلى .

قالت: فاشهد أن الله (عز وجل) أوحى إلى رسول الله ﷺ : (آت ذا
القربى حقه)، فجعل فدك لها طعمة بأمر الله تعالى.
فجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل
عمر فقال: ما هذا الكتاب؟

قال: إن فاطمة ادعت في فدك وشهدت لها أم أيمن وعلي، فكتبت
لها. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة، فتفل فيه فمزقه، فخرجت فاطمة
تبكي . وفي سيرة الحلبى أن عمر أخذ الكتاب فشقه^(٦).
الرواية المذكورة تشير إلى نحلة الرسول الأكرم ﷺ للسيدة فاطمة
الزهراء زينب .

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أن السيدة فاطمة زينب جاءت إلى أبي
بكر بأمر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقالت له: ادعية مجلس أبي وأنك
خليفته، وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك واستوتها منك لوجب
عليك ردها على.

فقال: صدقت.

ودعا بكتاب فكتب فيه بإرجاع فدك، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟
قالت: كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك.
قال: هل ميمه إلي.

فأبانت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله.. فلطمها، ثم أخذ الكتاب
فخرقه^(٧).

ويكفي ما ذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة في الباب الثاني إن
أبا بكر انتزع من فاطمة فدكا... إلى آخر كلام ابن حجر.
ومعنى هذا أن فدكا كانت في يد السيدة الزهراء عليها السلام من عهد أبيها
الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانتزعها أبو بكر منها.
ويلاحظ من مجمل الروايات ما يلي:

طلب إقامة البينة من
الزهراء وهي صاحبة اليد
مخالف لضرورات الفقه
الإسلامي.

١- طلب أبي بكر من
بضعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إقامة
البينة وهي صاحبة اليد مخالف
لضرورات الفقه الإسلامي، بل
تجب عليه هو إقامة البينة لأنه
مدعي.

٢- يستلزم من كلام أبي بكر وفعل عمر أن النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم
يعمل بالحكم الشرعي عندما أعطى فاطمة الزهراء عليها السلام فدكا.

٣- ذكر أبي بكر الحديث الذي يقول فيه أن الأنبياء لا يورثون
يصطدم مع آيات عدة في القرآن الكريم .
حصلت هذه الأمور لأسباب كثيرة يستطيع القارئ استنتاجها أو
استنتاج بعضها بعد الإطلاع .

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على الأول :

جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر و هو في المسجد و حوله المهاجرون و
الأنصار فقال : يا أبو بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله عليه السلام وقد
ملكته في حياة رسول الله ؟

قال أبو بكر : هذا في المسلمين ، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله
جعله لها ، و إلا فلا حق لها فيه !

قال علي عليه السلام : يا أبو بكر تحكم بيننا بخلاف حكم الله في المسلمين ؟
قال : لا .

قال عليه السلام : فان كان في يد المسلمين شيء يملكونه فادعيت أنا فيه من
تسأل البينة ؟

قال : إياك أسألك .

قال عليه السلام : فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها ، وقد ملكته في
حياة رسول الله و بعده ، ولم تسأل المسلمين البينة على ما ادعوهها شهوداً
كما سألتني على ما ادعيت عليهم ؟؟

فسكت أبو بكر فقال : يا علي دعنا من كلامك ، فإننا لا نقوى على
حجتك ، فإن أتيت بشهود عدول ، و إلا فهي في المسلمين ، لا حق لك ولا

لفاطمة فيه.

فقال علي عليه السلام: يا أبو بكر تقرأ كتاب الله؟

فقال: نعم.

قال: أخبرني عن قول الله (عزوجل): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبُ عَنْكُمُ الْجُنُسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟
قال: بل فيكم!

قال: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام بفاحشة ما
كنت صانعاً بها؟

قال: كنت أقيمت عليها الحد كما أقيمت على نساء المسلمين !!!

قال علي عليه السلام: كنت إذن عند الله من الكافرين!

قال: ولم؟

قال: لأنك ردت شهادة الله بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها،
كما ردت حكم الله وحكم رسوله أن جعل لها فدك وزعمت أنها في
للMuslimين وقد قال رسول الله عليهما السلام: البينة على المدعى، واليمين على من
ادعى عليه. قال: فدمدم الناس، وأنكر بعضهم بعضاً، وقالوا صدق والله
علي. انتهت

وأيضاً، روى العلامة في كشكوله عن المفضل بن عمر عن أبي عبد
الله الصادق عليه السلام قال: لما قام أبو بكر بن أبي قحافة بالأمر نادى مناديه: من
كان له عند رسول الله دين أو عدة فليأتني حتى أقضيه.
و جاء جابر بن عبد الله و جرير بن عبد الله البجلي، وادعى كل منهما

على رسول الله ﷺ فأنجز أبو بكر لهما.

فجاءت فاطمة إلى أبي بكر تطالب بفده و الخمس و الفيء فقال:
هاتي بينة يا بنت رسول الله. فاحتجت فاطمة عليها السلام بالآيات وقالت: قد
صدقتم جابر بن عبد الله و جرير بن عبد الله البجلي و لم تسألوهما البينة، و
بيتني في كتاب الله .

أتت السيدة فاطمة الزهراء بالبينة وهم علي و الحسن و الحسين وأم
أيمان، ولكن لم يقبلوا الشهود كما من سابقاً ولهذا السبب التجأت لإثبات
حقها عن طريق الإرث، ولكن القوم واجهوها بحديث مبتدع و موضوع قد
اصطدم بآيات القرآن، ألا وهو حديث ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث
ذهبنا ولا فضة، ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم)).
وقد جاء هذا الحديث بعدة عبارات والشاهد فيه أن رسول الله لا يورث.
وفي ما يلي نذكر القصة بتافاصيلها..

نقل ابن أبي الحديد ^(٤)، عن أبي بكر الجوهري بإسناده عن طرق
مختلفة تنتهي إلى زينب الكبرى بنت فاطمة الزهراء وإلى الحسين بن علي
بن أبي طالب عن أبيه عليه السلام وإلى الإمام الباقر أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام
وإلى عبد الله بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط عليه السلام قالوا جميعاً :
لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدكاً، لاثت حمارها، وأقبلت
في لمة من حفتها ونساء قومها، تطاً في ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من
المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم ريطه بيضاء، وقال بعضهم :

قبطية، وقالوا: قبطية بالكسر والضم - ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء ثم
أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم، ثم قالت: ابتدئ بحمد من هو أولى
بالحمد والمجد، الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم، - إلى
أن قالت في آخر خطبتها - : فاتقوا الله حق تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به،
فإنما يخشى الله من عباده العلماء، واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يتغى
من في السماوات والأرض إليه الوسيلة. ونحن وسليته في خلقه، ونحن
خاصته ومحل قدسه، ونحن حجته في غيه، ونحن ورثة أبيائه.
ثم قالت: أنا فاطمة ابنة محمد، أقول عودا على بدء، وما أقول ذلك

سرفا ولا شططا، فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية !

ثم قالت: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)، فان تعزووه وتعرفوه تجدوه أبي دون
نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم ... ثم ذكرت كلاماً طويلاً تقول في
آخره : ثم أنت الآن تزعمون أن لا إرث لي ! (أفحكم الجاهلية يبغون ،
ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)، أيها المسلمون، أغلب على
إرثي. يا بن أبي قحافة ! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ! لقد
جئت شيئاً فريا ! إلى آخر خطبتها، وجاء في بعض الروايات كما في كتاب
السقيفة وفديك لأبي بكر الجوهري وغيره، أنها قالت في خطبتها :

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم !

إذ يقول الله جل شأنه : (ورث سليمان داود)، واحتضن من خبر
يحيى و زكريا إذ قال : (رب هب لي من لدنك ولیا يرثني ويرث من آل

يعقوب واجعله ربي رضيا)، وقال الله تبارك وتعالى : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)، أم يقولون أهل متين لا يتوارثان؟ أولستُ أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي عليهما السلام؟ (أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون).

كما نرى في هذا العرض الذي قد تبيّنت فيه الفضائح التي ارتكبها البعض من وضع حديث ونسبته إلى الرسول الأكرم عليهما السلام لإسقاط حق الظاهرة الزكية فاطمة الرضية بيت النبي الأكرم عليهما السلام ، ومن حسن الحظ أنهم عندما وضعوا الحديث قد غفلوا عن آيات المواريث التي قد جاءت في القرآن الكريم، ومع كل هذا لم يعطوا الزهراء عليها السلام حقها.

من مستلزمات خطوات الأول:

- ١- عندما أخرج أبو بكر عمال السيدة الزهراء عليها السلام من فدك التي قد أثبتت التاريخ ملكيتها لسيدة نساء العالمين (الزهراء) يستلزم من عمله هذا نسبة الخطأ للنبي الأكرم عليهما السلام عندما أعطى ابنته فدكا، وبعبارة أخرى أن النبي لم يراع الحكم الشرعي، وهذا الاتهام يرد على كلام الله عز وجل (القرآن الكريم) حيث يقول القرآن الكريم عن النبي عليهما السلام ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٩).
- ٢- عندما طلب أبو بكر الشهدود من السيدة الزهراء عليها السلام استلزم من ذلك مخالفه لقاعدة شرعية واضحة عند جميع المسلمين (قاعدة اليد) وهي

على المدعى البينة وعلى المنكر اليمين، وطبعاً هذا الكلام لا ينطبق على السيدة الزهراء عليها السلام، وهذا الكلام ليس على نحو التعصب وإنما هو من الأمور التي أمرنا بها النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو الذي قال عنه القرآن الكريم
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (١٠).

٣- عدم العمل بالقرآن الكريم من خلال الإitan بحديث يتعارض معه، وكما علمنا الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أي حديث يعارض القرآن يتحتم علينا أن لا نأخذ به بل نصربه بعرض الحائط.

لكن لماذا قبلـا - الزهراء و أمير المؤمنين عليهم السلام - كل خطوات الأول غير الشرعية؟

الإمام علي و السيدة الزهراء لم يقبلـا خطوات أبي بكر لأن كل الخطوات لم تكن شرعية بل من أولها كانت خلاف الشرع، وهي إخراج عمال الزهراء عليهم السلام ولم يكن أمير المؤمنين و السيدة الزهراء عليهم السلام قابلين. ولكن لماذا عندما طلب أبو بكر الشهود من السيدة الزهراء عليها السلام قبلـت، قد قبلـت بإحضار الشهود من باب أ Zimmerman بما أزموا به أنفسهم، ومع هذا لم يطبق أبو بكر ما التزم به، أما بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام فإنه لم يقبلـ كل ما جاء به أبو بكر من الخطوات، بل ناقشه في الأفعال التي قد قام بها ضد السيدة الزهراء عليها السلام عندما حاججه وكان يبين لأبي بكر الآيات التي كانت تدخل فيها السيدة الزهراء عليها السلام مثل آية التطهير وغيرها.

لماذا لم يحارب أمير المؤمنين عليه السلام لاسترداد الحق؟؟

لا يخفى على القارئ أن أمير المؤمنين عليه السلام واجه أبا بكر بأدلة قرآنية وإنما بالنسبة للمقاومة العسكرية فلم يقدم عليها بسبب حرصه على الإسلام، وأيضاً الوضع السياسي والاجتماعي لم يكونا يسمحان بذلك.

أولاً : لم يوجد الناصر والمعين للمواجهة، فالتكليف كان عدم المقاومة معهم، هذا كما فعل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقد صبر ١٣ عاما في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة عندما وجد الناصر والمعين قام الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه.

ثانياً : لم تكن أرضية المدينة المنورة تتحمل الحرب لا من الداخل ولا من الخارج، فكان في الداخل المنافقون يتظرون أية فرصة لينقضوا على المسلمين وأما في الخارج فكان اليهود الموجودون في أطراف المدينة يتربصون للهجوم على المسلمين في أية لحظة للاتقام.

ثالثاً : الإسلام كان جديداً العهد فكانت الآثار السلبية هي الحاكمة على الوضع الاجتماعي، ولو اشتعلت الحرب لعادت عبادة الأصنام في مكة المكرمة، وأما بالنسبة لليمين كانت في بدأ اعتناقه للإسلام فلو كانت الحرب لانفصلت اليمين.

رابعاً : كونوا على ثقة لو أن أهل البيت حملوا السلاح ضد الغاصبين لما بقي من أهل البيت أحد، فكان يوجد واجب آخر وهو الحفاظ عليهم. على كل حال سيأتي اليوم الذي ستعود فيه كل حقوق أهل البيت عليه السلام وكذلك الأخذ بالثأر من ظلمهم.

ختاماً، وبعد هذا العرض يخرج القارئ بالحقيقة على أن فدك كانت
ملكاً للسيدة الزهراء عليها السلام ولأولادها عليهم السلام.

* * *

الهوامش

- (١) بتصرف.
- (٢) سورة الحشر: ٧.
- (٣) للشاعر محمد جمال الهاشمي
- (٤) سورة الأسراء: ٢٦.
- (٥) سورة الروم: ٣٨.
- (٦) سيرة الحلبـي: ج ٣ ص ٣٩١.
- (٧) الاختصاص للشيخ المفید، الشافی للسید المرتضـی ص ٢٣٦، تلخیص الشافی للطوسـی ص ٤٨، وذکر ابن حجر العسقلانـی فی لسان المیزان: ج ١ ص ٢٦٨، والذهبـی فی میزان الاعتدال: ج ١ ص ١٣٩.
- (٨) شرح نهج البلاـغة ج ١٦ / ٢١١ / طبع دار إحياء التراث العربي
- (٩) سورة الحشر: ٧.
- (١٠) سورة النجم: ٤ - ٣.

نَسْبُ الدُّرُوحِ وَنَسْبُ الْكُمِ

عليٌّ أَحْمَدُ بْنُ الْوَهَابِ الْجَفِيرِي

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا
فَجَعَلَهُ نَسِيًّا وَصَهْرًا وَكَانَ رِئَكَ قَدِيرًا ۝ (١).

كثيرة هي تلك العادات والتقاليد الجاهلية التي أغاثها وأطاح بها الإسلام بنبوة خاتم الرسل ﷺ، وقضى عروشها بمعاول الأحكام الإلهية التي تتناسب مع الفطرة الإنسانية، إنفاذاً لحكم الله الذي يؤهّل الإنسان - بترقّيه على مدارج الكمال خطوة فخطوة - إلى أن يكون خليفة الله على أرضه محققاً بذلك هدف الخلقة، وملامح أفكار وثقافة عرب الجاهلية لا تخفي على المطلع والمتصفح لبطون كتب التاريخ من خلال قراءة السير والأشعار والخطب التي تنقل الإنسان لذلك الواقع المعاش في تلك الفترة، وتوقفه على أهم ملامح تلك المرحلة المخجلة للإنسانية، فتبين بعد ذلك للمطلع عظمة الإسلام وإعجاز آياته التي نقلت أنساناً كانوا يعيشون البهيمية والسبعينية بأعلى مستوياتها - حتى وصلوا إلى التّدنّي عن مرتبة العجمادات والبهائم - إلى الإنسانية والتحضّر، نقلتهم من حالة الحيرة والضياع واللامهديّة في العيش إلى حالة الإدراك والوعي ومعرفة هدفيّة الحياة، وأهلّتهم لقيادة الأمم والشهادة عليها بجعلها أمّة وسطاً، ووضعت تحت

أيدي هؤلاء العرب كنوز المشرق والمغرب، وأسّست لهم دولة تحفظ
كيانهم وتومن حاليهم وتتكلّم حقوقهم وتنظم أمورهم وتجعل لهم قيمة
وزانا بين الأمم، وأخضعت لهم أعظم دولتين في ذلك الحين، فأذلت
بذلك جبهة الكفر وكبراءه، وجدعت أنف الشرك والإلحاد وخiableه.

وليس أبلغ ولا أفصح مما قاله أمير البلغاء والفصحاء الشاعر في وصف
تلك المرحلة الصعبة من حياة العرب بشكل خاص والناس بشكل عام
بكاملات تهتز لها النفوس وتضطرب لها الأعضاء وتدرك بها العقول
والقلوب حجم تلك النعمة الإلهية التي أوجدها محمدًا عليه السلام ودينه
الإسلام، فقد عجبت خطب أمير المؤمنين الشاعر بوصف تلك الفترة لما
يمتلئها هذا الوصف من أهمية في تعريف نعمة النبوة، وقد بلغت هذه
الخطب في ما وجدته عشر خطب لا على نحو الحصر ^(٢).

ولست أجد بعد ذلك أرقى بيانا وأفصح لسانا من كلمات أطلقها لسان
الصديقة الطاهرة الشاعرة في وصف حال العرب والأمم آنذاك في خطبتها
المعروف في مسجد رسول الله عليه السلام أمام جموع المسلمين حين قالت :
((وكتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبضة
العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقاتلون القد والورق، أذلة
خاصئن، تخافون أن يتخطفك الناس من حولكم فأنقذكم الله تعالى
بمحمد ...)) ^(٣) ، ومن أبرز تلك المفاهيم الخاطئة التي كانت حاكمةً
النفوس في تلك الفترة هي نزعة القبلية البغيضة والتعصّب الأعمى للقبيلة
والعرق والنسب والدم، وهذه الثقافة الساقطة - التي نعيشها وللأسف في

وأقينا العمليّ من حيث نشعر أو لا نشعر - قد لاقت من قبل الإسلام مواجهة حادة وتصادماً عنيفاً هدّ ركناها وأحلّ عراها، ولكنّي نتعرّف على الثقافة البديلة التي جاءت بها أطروحة الإسلام، لا بد من التفرّق بين قسمي النسب والتعرّف على معالمهما وطبيعتيهما وكيفية تعامل الإسلام معهما.

❖ أقسام النسب :

ينقسم النسب بلحاظ انتسابه إلى الروح أو المادة إلى نسب روح ونسب مادة أو دم، وإلى كلّ قد أشارت الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وقد أولى الإسلام عنایته الفائقة للإثنين من خلال وضع القوانين وبيان المعالم وتفصيل الدقائق وتوضيح الضوابط العامة التي تحكم كلا النوعين.

وهذا الاهتمام البالغ قد أولاه الإسلام للإثنين، لما لهذين المفهومين من مدخلية عظمى في حفظ وتأصيل الكثير من مفاهيم الإسلام التي تدخل كل واحدة منها في تركيبة البنية النهائية للمجتمع المسلم من عنصري أصول الإعتقداد وفروع العمل، أما عن الأول فتكمن أهمية الإلتفات إلى مضامينه وقوانينه في حفظ المجتمع في ما يرتبط بالجنبة العقائدية الحُلُقية له، ونظرته ورؤيته الكوتية التي تتجمّس بعد ذلك في سلوك أفراده العمليّ وتعاطيهم التفاعليّ مع الآخر في مختلف المجالات، وأما الثاني فتتّضح أهمية التعرّف عليه والإلتزام بقوانينه في حفظ المجتمع في ما يرتبط بالجنبة التشريعية الفقهية، وذلك يتّضح من خلال التعرّف على مقصودنا من كلا القسمين.

❖ أولاً : نسب الدم :

وقد بدأنا به لوضوّه وعدم احتياجه لزائد كلام وكثرة بيان، فالملحق بنسب الدم هو ذلك النسب الذي ينشأ عن أصل نكاح مشروع أو رضاعة أو مصاهرة بالشروط المذكورة في كتب الفقه المعاملاتي المدرجة تحت عنوان كتاب النكاح، وتحكم هذا النوع من النسب الكثير من الأحكام التي تتعلق بالفرد أصلًا ثم بالمجتمع بعده، من قبيل أحكام النكاح والطلاق والإرث والوصية والحضانة وغيرها، وهو ما يُصطلاح عليه حديثاً بالأحوال الشخصية، وعلى أساس هذا النوع من النسب تقوم وتبني العلاقات والروابط الأسرية والاجتماعية، واهتمام الشرع بهذا النوع من النسب ظاهر غير خاف، يتضح من خلال التعرّف والاطلاع على الأحكام المفصلة التي جاء بها القرآن الكريم والروايات الشريفة، وبمراجعة هذه الأحكام يصلح المجتمع وتحفظ الأنساب وتحترم النفوس وتسير عجلة الروابط الاجتماعية بشكل يكفل لها الازان ويضمن لها التوافق ويبعدها عن التخبط والتعثر، فتُجنب بمسيرتها بهذا الشكل الأفراد عن التساكس والبغض والتناحر، وغيرها من ضمانات وثمرات تنتج عن الأخذ بهذه الأحكام الإلهية المتعلقة بما أسميناه بنسب الدم.

وأمّا التخلّف عن إجراء هذه الأحكام فعواقبه مما لا يخفى على ذي بصيرة في أنّه يعطي نتائج معكوسه تماماً لما قدّمناه من نتائج الأخذ بما أنزل الله تعالى، فما ينادي به البعض ممّن أغرتهم ثقافة الغرب المنحلة من تقنيّن للأحوال الشخصية يعطي ثماراً عفنة فاسدة تعود على المجتمع

بالأضرار التي تعهد بإفساد المجتمع وتضييع الأنساب واحتقار النفوس وتخبط مسيرة عجلة العلاقات الإجتماعية وانحلال وتنكك مرکباتها وأواصرها، وقد بين ذلك العلماء الأجلاء في خطاباتهم وكتاباتهم مما يطرح حاجة التفصيل.

❖ ثانياً : نسب الروح :

وأعني به ذلك النسب الذي يرتبط بما وراء المادة والدم، والذي أثبته القرآن وأقرّته الروايات وأنت به أطروحة الإسلام كثقافة بديلة عن تلك التي كانت سائدة في أواسط العرب ومحيط الجاهليّة الجهلاء، وهذا النسب أوسع من سابقه وأرحب، وشجرة عائلته أكبر حجما وأعظم شأناً، وموازين هذا النسب تختلف عن موازين النسب الآنف الذكر، وأحكامه أرقى مستوى وأسمى غاية وأنبل هدفاً من مستوى وغاية قسيمه - مع التأكيد على أهميّة الإثنين -، ولذلك لا بدّ من التعرّف على معالم هذا القسم الذي أفتنا سابقاً علاقته الوطيدة ببناء الجنبة العقائدية الروحية للإنسان ومدخليته في تركيبة الوعي الديني والأخلاقي للمجتمع، وهذا ما نروم إليه من خلال الأسطر القادمة إن شاء الله تعالى.

❖ النسب الروحي في القرآن :

قال الله تعالى في كتابه المجيد، أَعُوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَنَادَىٰ
نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْ مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤)، تلاحظ أنّ هذه

الكلمات النورانية الشريفة جاءت صريحة في نفي كون كنعان مصداقاً من مصاديق عنوان أهل نوح ﷺ تعليقاً على كلامنبيّ الله نوح ﷺ، ولتكننا نعلم في الطرف المقابل يقيناً ثبت بنوّة كنعان لأبّة نوح ﷺ وانتسابه لأبيه بالشكل الطبيعيّ العرفيّ، لأنّه من الواضح كون الابن أحد أبرز وأقرب مصاديق الأهل، ويدلّ على ثبوت بنوّة كنعان لأبّة نوح ﷺ قولنبيّ الله ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ فدليل نسبة نوح ﷺ لKenan برابطة الأبوة لا أوضح منه ولا أبين في إثبات المراد، فلا يجوز على الأنبياء الكذب أو اللغو في الحديث كما ثبت في محله لأنّ قبحه ظاهر، ناهيك عن إقرار الله سبحانه بهذه الرابطة الأبوية الابنية - على اختلاف الجهة - لنوح ﷺ وKenan في قوله عزّ من قائل ﴿وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ﴾^(٥).

ثمّ لا تخفي عليك هذه النكتة بأن الله تعالى لم ينف بنوّة Kenan، بل نفي مصداقية انطباق كلية الأهل على Kenan، ونستطيع صياغة السؤال الذي يطرح نفسه هنا بالعبارة التالية ((أليست البنوّة أحد الجزئيات التي تنقل الذهن منها إلى المفهوم الأعمّ الكلّيّ المتمثل في كلمة الأهل؟)) وبعبارة أخرى، كيف يصحّ القول بأن Kenan ابن نوح ﷺ في حين خروجه في الوقت نفسه عن كونه مصداقاً لكلية أهل؟ لا يستقيم هذا الاجتماع إلا بالقول أنّ البنوّة هنا ملحوظة بلحاظ مغایر للحاظ الأهل يخرجها عن التأهل إلى صيرورتها فرداً من أفراد الأهل، فإنّ جزئية البنوّة في هذه الآية الشريفة ملحوظة بلحاظ المادّية أو الدمية إنّ صحّ التعبير، بينما كلية الأهل ملحوظة بلحاظ الروح والمعنى، وواضح أنّ البنوّة الدمية ليست جزئية من جزئيات

كليّة الأهل الروحية، بل هي جزئية من جزئيات كليّة الأهل الديمّية، فيتّضح بذلك الفارق ويرتفع به الإشكال، ويتجلى سبب قوله تعالى ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ أَئْسَ مِنْ أَهْلَكَ﴾ جواباً على الاستفهام المستبطّن في إخبار نوح عليه السلام أنّه تعالى ببنيوّة كتعان وأنّ البنوّة مصدق من مصاديق الأهل فيجري بذلك وعد الله سبحانه بالإيجاء على هذا المصدق المنطوي تحت هذه الكلية، لكنّ الله تعالى بين له اختلاف اللحاظ بقوله سبحانه ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ عَيْرُ صَالِحٍ﴾، فيبين بذلك أنّ هناك موازين فوق موازين هذه النّشأة في انعقاد رابطة الأبوة والبنوّة، فثبت بذلك وجود نسب وراء نسب الدم المتعارف بيننا، وهو أعلى رتبة وأسمى مقاماً لتعلقه بالأنبياء والصالحين فقط كما سيتّبين لك إن شاء الله تعالى، ولنصلح عليه بحسب الروح كما أسلفنا.

❖ معيار وضابطة التأهّل للدخول إلى نسب الروح :

يتّضح من خلال قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ عَيْرُ صَالِحٍ﴾ معيار صلاحية الفرد وأهليته في انتسابه إلى شجرة النسب الروحي، فإنّ الانتساب إلى هذه الشجرة المباركة لا يكون إلا عن طريق تحول الإنسان إلى الطرف المقابل بأن يكون عملاً صالحاً، وواضح لأهل الاطلاع أنّ التعبير في وصف إنسان بأنه عمل غير صالح يفيد مبالغة شديدة في وصف هذا الإنسان بما يمتلكه من حالات وملكات تجعله المصدق الأبرز لحالة الإنسان المنغمس في الشهوات والرذائل، وتُصوّر حاله بأنه مندك في ما خالف الفطرة الصافية مما جعله العمل غير الصالح بعينه، وأصبح وجوده مسانداً لحقيقة العمل غير الصالح فلا اثنينية ولا تكّر، وليس هناك وجودان أو ماهيّتان تُضاف

إحداهما إلى الأخرى، بل فنى واندكَ الأول في الثاني حتى أصبحا ماهيّة واحدة لا تركيب فيها من حقيقتين، ومن ذلك نستفيد أنَّ من أراد تحصيل الأهلية للدخول في شجرة عائلة الصالحة وطلب الانتساب لهذه الشجرة الطيّبة الأصل والفرع، لا بدَّ له من تحصيل الأسباب التي تجعله عملا صالحاً بالمعنى المتقدّم في ضده، فإنْ كانت صيرورة الإنسان عملاً غير صالحاً – لأنَّه يعمل العمل غير الصالح – تجعله خارجاً غير مؤهّل للانتساب إلى شجرة الصالحين والحيازة على شرف أبوّة الأنبياء له في العرف الروحي، فلا بدَّ أنَّ عكس ذلك يُثبت هذا المعنى معكوساً أيضاً، فإنْ صيرورة الإنسان عملاً صالحاً – لأنَّه يعمل العمل الصالح – هي فقط التي تؤهّله للدخول إلى هذه الشجرة والانتساب إلى أبوّة الأنبياء فتُصرِّه أبناً لها ليصح بالتالي إطلاق عنوان الأهل عليه وإن لم يكن أبناً في عرف نسب الدم.

فمجرَّد عمل الإنسان العمل الصالح لا يجعله لائقاً لنيل هذا المنصب إلا أنَّه يصبح هو والعمل الصالح حقيقة واحدة لا واسطة بينهما في الواقع الخارجي، وقد استفدنا بذلك بالمقابلة كما تقدّم. هذا هو نسب الروح في القرآن الكريم، وهو ما أشار إليه باقر علوم أهل البيت (عليه السلام) في ما نُقل عنه ((لا تَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَجِدُوا مُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ كُلَّ سَبْبٍ وَنَسْبٍ وَقِرَابَةٍ وَوَلِيَّةٍ وَبَدْعَةٍ وَشَبَهَةٍ مُنْقَطِعٍ إِلَّا مَا أَثْبَتَهُ الْقُرْآنُ))^(٦).

❖ نسب الروح في الروايات الشريفة :

بعد إثبات تواجد معنى ما أطلقتنا عليه بحسب الروح بين الآيات الشريفة

الصادمة، كان لابد لإتمام البحث من الإشارة إلى وجود ذلك المعنى بين كلمات الآيات الشريفة الناطقة المتمثلة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام. فقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((سلمان من أهل البيت))^(٧)، يعطيك حالة مشابهة لسابقتها في سورة هود ولكنها أتت هنا بشكل معاكس، حيث أن الآية الشريفة أثبتت بنوة الدم لكنعan بالنسبة للأنبياء ونفت بنوة الروح له، وحدينا الشريف هذا أثبت انتساب سلمان لأبوبة الأنبياء ونفي - ضمنا - انتساب الدم له، وبالنظر إلى الحالين يتضح جليا الفرق وتتأتى لنا النتيجة واضحة بأقل تأمل وبلا عناء، بأن حقيقة ما أطلقنا عليه نسب الروح موجودة في المصدررين المعتمدين الشريفين، فقد أثبت التاريخ أن سلمان عليه السلام فارسي الأصل ولد في بلاد فارس لأبوين مجوسيين لا يعرفان عن التوحيد شيئاً، فمن أين صار سلمان من أهل البيت عليهم السلام? مع الالتفات إلى أنهم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخزان العلم ومتنهى الحلم^(٨)، وغيرها من أوصاف خطيرة جليلة لك أن تحصل عليها وعلى غيرها عند قراءتك الزيارة الجامعة الكبيرة لأئمة أهل البيت عليهم السلام وغيرها من زيارات، من أين حصل سلمان على هذا الشرف؟ الذي ما بعده شرف؟

نستطيع أن نقول بأنه ما حصل على ذلك إلا بصيرورته عين العمل الصالح مما أهله للانتساب إلى محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وذریتهم من الأئمة المعصومين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأذكى السلام، هكذا صار سلمان من أهل البيت عليهم السلام - مع مراعاة مقام النبوة والإمامية

بالطبع، فلا سلمان ولا غيره يوضع في مصافٌ هؤلاء، كيف وهم نور الله في الأرض وحجج الإله على الخلق –، وإن لا خلاف بينهم أن الزهراء سلام الله عليها مكلفة بالحجاب في حضور سلمان على الرغم من كونه من أهل البيت عليه السلام كما أشار الحديث الشريف، وليس ذلك إلا لاختلاف حقيقة هذين النوعين من النسب، فلهذا قوانينه وأحكامه ولذاك قوانينه وأحكامه.

وفي إثبات هذه الحقيقة من خلال الروايات عن طريق آخر، لا بأس بنقل هذا الحديث الشريف عن رسول الله عليه السلام الذي جاء في البحار، نُقل عنه عليه السلام بأنه قال : ((كل حسب ونسب منقطع يوم القيمة إلا حسي ونبيي))^(٩)، فقل لي بأبيك أي حسب ونسب هذا ينسبه رسول الله عليه السلام لنفسه ليكون سبباً ووسيلة لنيل الشفاعة والنجاة ؟ إن قلت أنه نسب الدم رفضته لما فيه من منع عقليٍّ ونقطيٍّ، أما الأول فهو الظلم بعينه أن يكون الفاسق من ذرية رسول الله عليه السلام في الجنة لا لشيء إلا لكونه ابناً لرسول الله عليه السلام ، بينما يرزح ذلك الفاسق الذي لا ينتسب إلى رسول الله عليه السلام بقراة دم تحت وطأة تعذيب زبانية جهنم ، والظلم ليس له وجود في ساحة الباري جل عنه سبحانه، وأما الثاني فلا إطلاق نفي هذا النوع من التوسيط من دون بيان استثناء له في قوله عز من قائل ﴿إِذَا نُخَفِّ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١٠) ، ومن البين أن المقصود بالأنساب هنا هو نسب الدم بجمع القرائن الدالة عليه وليس هنا محل عرضها، فلا يبقى إلا استظهار أن النسب الموجب للنجاة في مقصود رسول الرحمة عليه السلام هو

نسب الروح لمناسبة المعنى واستقامة الكلام به وموافقته للكتاب والسنة في ما ظهر لك من سابق الكلام.

❖ أفراد شجري نسب الدم والروح :

١- شجرة نسب الدم : إن الكلام الزائد في بيان أفراد شجرة الدم يعتبر لعوا في الحديث أرفع نفسي المثلقة عنه، حيث أن مادتنا الراهية جعلت مفاهيم المادة أقرب إلى عقولنا وآنس إلى نفوسنا، وحيث أن بيان شجرة الدم يدخل تحت هذا العنوان، وبيان الواضح البديهي فضول في الكلام ومضيعة للوقت، أصرف الحديث إلى بيان أفراد شجرة نسب الروح فذلك زينة الكلام وقمة المقام.

٢- شجرة نسب الروح : تكون هذه الشجرة من أب وأم وأبناء لهما فقط، فتفترق بذلك عن شجرة نسب الدم في الجد والحفيد والعم والخال ومؤئتمهم، ويكمّن الفارق الأهم في العلاقة التي تربط أفراد عائلة هذه الشجرة مع بعضهم البعض، وفي ثمرات هذه العلاقة وما يترشح عنها من إيجابيات دنيوية وأخروية، ولكي يتضح ذلك أكثر، أدعوك للتعرّف على أفراد هذه العائلة بشكل مفصل بما هداني له فكري القاصر عسى أن يمن الله تعالى علينا بأن تكون خدمة لأفراد هذه العائلة الطاهرة المصطفاة لا أقل والله المستعان.

أ- أب شجرة نسب الروح : إن الحديث القائل ((أنا وعلي أبوا هذه الأمة)) (١١)، لا يترك بوضوحة أدنى مجالا للشك في أبوة رسول الله عليه صلوات الله وآله وسلامه وابن عمّه أمير المؤمنين صلوات الله وآله وسلامه لهذه الأمة، وهو من الصراحة

يمكن أن يجعل النفوس تُسلّم وتذعن لهذه الأبوة الروحية المتمثلة في شخص الرسول الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذه الأبوة ثابتة أيضاً للأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ الْكَلَّالَةُ من صلب أمير المؤمنين عَلَيْهِمُ الْكَلَّالَةُ بدءاً بالحسن عَلَيْهِمُ الْكَلَّالَةُ وانتهاءً بالحجّة عَلَيْهِمُ الْكَلَّالَةُ، ويدلّ عليه وصف العسكري عَلَيْهِمُ الْكَلَّالَةُ للشيعة المقطعين عن رؤية الإمام، - سواء في زمانهم أم زمن الغيبة لإطلاق الأحاديث وجود القرائن التي يفهم منها ذلك من كلامهم عَلَيْهِمُ الْكَلَّالَةُ - حيث قال سلام الله عليه بعد وصف اليتم المعروف وبيان فضل كافل يتيمه : ((وأشدّ من يتم هذا اليتيم يتيم انقطع عن إمامه، لا يقدر على الوصول إليه، ولا يدرى كيف حكمه في ما يبتلي به من شرائع دينه، إلا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، فهذا الجاهل بشريتنا، المقطوع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، إلا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى))^(١٢). وأشدّ منه وضوها ذلك الحديث الذي نُقل عن لسان الصديقة الطاهرة عَلَيْهِمُ الْكَلَّالَةُ بعد ما جاءتها تلك المرأة فأكثرت السؤال ثم قالت : لا أشق عليك يا بنت رسول الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فبَيَّنَتْ لها الزهراء عَلَيْهِمُ الْكَلَّالَةُ بعد ذلك فضل من تصدّى لإرشاد الضالّ وهداية المحترار إلى أن قالت - وهو محل الشاهد - : ((ثم ينادي منادي ربنا عزّ وجلّ : أيها الكافلون لأيتام آل محمد، والناعشوون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمّتهم ..))^(١٣)، إلى آخر الحديث، فانظر إلى تعبير ((عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمّتهم)) تدرك

أبوّتهم لشيعتهم، وكذلك الكثير من الروايات الصادرة عن أهل بيت العصمة التي تزخر بهذه التعبيرات مؤكدة هذه الحقيقة^(١٤).

بـ- أم شجرة نسب الروح : بعدهما انتهينا من توضيح وتشخيص مصدق الأب لهذه الشجرة المباركة – وهو عنوان النبي ونائبه الإمام – استفادة من الأحاديث الشريفة، ننتقل لتشخيص مصدق أم هذه الشجرة، فمن يترى هي هذه المرأة التي تقوم هذا المقام الخطير وتشغل هذا المنصب الإلهي العظيم ؟ من هي هذه الظاهرة التي تنعش النفوس وتحييها بعد موتها بمقاهيم الحب الإلهي ؟ ولعمري فإن هذا هو الإحياء الحقيقي لا إحياء موته الأبدان، من هي هذه المصطفاة لإ يصل الخلق إلى مقام التوحيد الخالص من شراكة أصنام الكثافة واللطافة ؟ قبل البدء بتعريف هذه الشخصية العظيمة لا بد من دفع توهّم متوقع في إجابة هذا التساؤل، حيث قد يجيب البعض بأن هذه الأم هي من أشارت إليها الآية السادسة من سورة الأحزاب في قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَرْوَاحُهُمْ أَمْهَاتُهُمْ﴾^(١٥) ، وممّا لا شك ولا ريب فيه أن هذه الأمومة المشار إليها في الآية الكريمة لا تدخل تحت عنوان أمومة الدم، والمتأمل للحظات في الآية يدرك سريعا هذا المعنى، لأنّه من الجلي أن زوجات النبي ﷺ لسن أمهات للمؤمنين بمعنى والدات لهم، ويدلّك عليه الوجdan والواقع، فأيّ أمومة هذه إذن التي تشير إليها الآية الشريفة ؟ هل هي أمومة نسب الروح التي أشرنا إليها سابقا ؟ في جواب ذلك نقول أنّ المعنون ظاهر في ذلك،

والمعنى بين في نفي معنى أمومة نسب الروح عن مقصود الآية الشريفة، وهل يصلح بأيّك أن تكون بعض زوجات النبي ﷺ ممّن ثبتت أذىهن لرسول الله ﷺ في عدّة مواقف أشار إلى بعضها القرآن وتبهت عليها الروايات – أمّهات للمؤمنين بهذا المعنى الذي يجعلهما كفوا لأبّة محمد وآلـه صلوات الله عليهـ وعليـهم أجمعـين؟؟. فـما هو مقصود الآية الشريفة؟؟. أقول أن الاحتمال وارد وقوـيـ في أنـ أمـومة زوجـاتـ النـبـيـ ﷺـ للمـؤـمـنـينـ تكونـ بـلـحـاظـ أـبـوـةـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ لاـ أـكـثـرـ،ـ فـهـنـ كـزـوـجـاتـ الأـبـ الـلـاتـيـ لاـ يـجـوزـ نـكـاحـهـنـ أـبـداـ،ـ فـإـثـابـاتـ الـأـمـوـمـةـ لـهـنـ يـكـونـ منـ هـذـهـ الجـهـةـ لـاـ غـيرـ فـيـ إـثـابـاتـ هـذـاـ الحـكـمـ وـاعـتـارـهـنـ كـزـوـجـاتـ الأـبـ الـلـاتـيـ يـشـتـرـكـنـ معـ الـأـمـ فـيـ هـذـاـ الحـكـمـ قـطـ،ـ وـأـنـىـ لـزـوـجـةـ الأـبـ أـنـ تـكـوـنـ كـالـأـمـ أوـ تـقـوـمـ مـقـامـهـاـ!ـ هـيـهـاتـ هـيـهـاتـ!ـ لـاـ يـكـونـ ذـلـكـ إـلـاـ لـلـأـوـحـدـيـةـ مـنـ النـسـاءـ،ـ ثـمـ كـيـفـ يـعـقـلـ أـنـ يـأـمـرـنـيـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ بـتـقـدـيسـ مـنـ أـعـلـنـتـ بـغـضـهـاـ وـحـرـبـهـاـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ اللـهـشـهـ أـمـ الـمـلـأـ فـيـ وـقـعـةـ الـجـمـلـ وـغـيرـهـاـ؟ـ أـمـ كـيـفـ يـجـتـمـعـ أـنـ تـكـوـنـ أـمـيـ الرـوـحـيـ عـدـوـةـ لـأـبـيـ الرـوـحـيـ؟ـ هـذـاـ لـعـمـرـيـ شـطـطـ فـيـ الـحـدـيـثـ وـزـيـغـ عـنـ الـمـعـقـولـ وـخـرـوـجـ عـنـ مـنـهـجـ التـفـكـيرـ الـقـوـيـمـ،ـ فـلـيـسـ أـمـامـاـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـاـ أـنـ ثـبـتـ اـعـتـارـ أـمـومـةـ زـوـجـاتـ النـبـيـ ﷺــ للمـؤـمـنـينـ بـالـلـحـاظـ المـتـقدـمـ.

❖ من هي أم شجرة عائلة الروح إذا ؟

بعد ذلك من حقك أن تسأل عن أمك الروحية لتعرف عليها وتذوب

في جبها وتستغرق في شخصيتها وتتعرّف على مقاماتها وتنهج نهجها وتطيع أمرها وتجتهد في تقديسها وتبجيلاها واحترامها بكلّ ما أوتيت من قوة وجهد وطاقة، يا ترى من هي هذه التي تصلح أن تكون كفوا لأبوة محمد وعليّ وأبنائهما عليها وعليهم جميعاً أفضل الصلوات وأزكى التحيّات؟ نستشفّ من كنية قد أطلقها الأباً الروحيّ الأعلى رسول الله ﷺ على ابنته الطاهرة الصديقة فاطمة ؑ للطبسىّ أنّ من كنى فاطمة ؑ ((أمّ أبيها)) (١٦)، وهذه الكنية كما لا يخفى قد أطلقها رسول الله ﷺ عليها، وبيان وجه الاستشاف كما يلي : نستطيع أن نقول بكلّ بساطة أنّه لمّا كان رسول الله ﷺ هو أبونا الروحيّ كما تقدم ثبوته، كانت بالضرورة أمّه أمّنا، فإنّك تجد بدبيها ثبوت أصالة أمومة أمّ الأباً في عرف نسب الدم، فكذلك أمّ أبيك الروحيّ، فهي أمّك الأصلية من دون اعتبار وضع واتّخاذ، وهذا ما يفسّر غرابة هذا الحديث ويحلّ إشكاله الكامن في التساؤل عن كيفية أن تكون الزهراء بنتاً للرسول ﷺ في نفس الوقت الذي تكون فيه أمّا له، فجواب هذا التساؤل يكون كالتالي : أنّنا قدمنا أمّ موازين نسب الدم تختلف عن موازين نسب الروح، وهذا عالمان مختلفان لا دخل لأنّدهما بالآخر إلا في الرابطة الجامعة بين النّظر العقائدية من جهة والسلوكيّة من جهة أخرى، فكلاهما مكمّل للآخر، وأحدّهما في طول الآخر، ولا ضير ولا استحالة بأن يكون الشخص ابنًا لأباً روحيّ في حال كونه ليس ابنًا روحيًا له، أو أن يكون الشخص ابنًا روحيًا لأباً روحيًّا في حال كونه

ليس ابنا دمياً له، وقد ظهر ذلك في كنعان ونوح عليه السلام كمثال للأول، وفي سلمان ورسول الله صلوات الله عليه كمثال للثاني، وهكذا أيضاً تكون فاطمة عليها السلام أمّا للرسول صلوات الله عليه في نفس الوقت الذي تكون فيه بنتاً له، ولا بدّ لإتمام فائدة الكلام من التنويه على أنّ أمّة فاطمة عليها السلام للرسول الأكرم صلوات الله عليه تختلف عن أمّتها للمؤمنين، فلا يتصوّر أنّ رسول الله صلوات الله عليه وهو أفضل وأكمل الخلق يهتدي بهدی فاطمة عليها السلام ، حيث أنّه هو مرجع الهدادین، يُؤتى ولا يأتي بأبيه هو وأميّ، فلتفسير ذلك، وللخروج عن هذا التزاحم، لا بدّ من القول أنّ رسول الله صلوات الله عليه حينما أطلق هذه الكنية على بهجة قلبه أراد بذلك إثبات أمّتها الحقيقة للمؤمنين بلحاظ أبوته لهم كما بينّا، وأنّ أمّ الأب أمّ أصلية بينما زوجته ليست كذلك.

ج) أبناء شجرة نسب الروح : يتبيّن من خلال الكلام السابق تحت عنوان معيار وضابطة التأهّل للدخول إلى نسب الروح من هم أبناء محمد وعليّ وفاطمة وأبنائهم عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، فنستطيع أن نقول باختصار أنّ أبناءهم هم المؤمنون الشيعة الذين وصلوا إلى مرتبة الفناء في العمل الصالح حتّى أصبحوا وإيّاه حقيقة واحدة، فكون الإنسان هو عين العمل الصالح يجعله قادرًا على الدخول إلى هذه العائلة المباركة والانتساب إليها وإنّما لا، وهذا يعني أنّ من يعمل العمل الصالح من دون وصوله إلى هذا المقام ليس مؤهلاً لأن يكون منتسباً إلى هذه الشجرة بالمعنى الحقيقيّ، فعليه أن يجتهد في تحصيل أسباب هذا الفناء.

❖ الخلاصة :

تبينت بعد ذلك أطروحة الإسلام البديلة، والعنية الفائقة التي أولاها لكلا النوعين من النسب، وكيف أن هذه العناية تكفل انسجام الفوتوس مع قوانين الاثنين لموافقتها فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولا بد من الإشارة في ختام البحث بأن مراعاة وإقامة قوانين وأحكام كل النسبين واجب علينا على كل مسلم، حتى تتحقق بذلك الوجوب استقامة الفرد ومن بعده استقامة المجتمع، لأنها قوانين الله التي أنزلت على عباده نورها، ونشر عليهم بها رأفته ورحمته، وأراد بها إيصال عباده إلى الهدف المنشود من إقامة المجتمع الفاضل بقيادة خليفة الله على أرضه، وب بدون تحقيق الظرة الصحيحة لهذين النسبين لا يمكن الانتهاء إلى مثل هذا المجتمع.

اللهم اجعلنا ممّن ناديه فأجابك، وأمرته فأطاعك، وأرشدته فاهتدى،
ونهيه فانتهى، ورويته فارتوى، بحق آبائنا النجباء، وأمّنا فاطمة الزهراء،
صلواتك يا رب عليهم أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

الهوامش

(١) الفرقان : ٥٤

(٢) وهي الخطبة الثانية والسادسة والعشرين والثالثة والثلاثين والتاسعة والثمانين والخمسة والستعين والسادسة والتسعين والإحدى وخمسين بعد المائة والإحدى وتسعين بعد المائة والثانية والتسعين بعد المائة والثالثة عشر بعد المائتين، ولكل الرجوع إلى كتاب سيرة سيد

المرسلين للشيخ السبحاني ص ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١.

(٣) بيت الأحزان للشيخ عباس القمي رضي الله عنه ص ١٤٥.

(٤) سورة هود : ٤٥ - ٤٦.

(٥) سورة هود : ٤٢.

(٦) أصول الكافي ج ١، باب البدع والرأي والمقاييس، الحديث الثاني والعشرون، ص ٥٩.

(٧) سلسلة الأركان الأربع (٢) سلمان الفارسي لمحمد جواد آل فقيه، ص ٨٣.

(٨) لا يخفى عليك أن هذه محاولة إلى إلبات وتذكير القارئ الكريم إلى عظمة و منزلة أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين انتسب إليهم سلمان وغيره من الأولياء الكامل، وليس محاولة إلى إثبات هذه المقامات ونسبة هذه الأوصاف إلى سلمان عليه السلام، كيف وهم من هم بأبيهم وأمي، لا يدانيهم أحد في فضل ولا منقبة ولا مقام، بل لا يطبع ولا يفکر أحد في إدراك مقاماتهم عليهم السلام ، وذلك ما أشارت إليه نفسزيارة الجامعة في قول الهادي عليه السلام (حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقة فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطبع في إدراكه طامع ..) إلى آخر هذه المعاني في الزيارة الشريفة.

(٩) بحار الأنوار ج ٧، الباب الخامس (صفة المحشر)، ص ٩٤.

(١٠) المؤمنون – الآية ١٠١ .

(١١) بحار الأنوار ج ١٦، الباب السادس (أسماؤه عليهم السلام وعللها)، ص ٩٥.

(١٢) منية المريد ص ١١٤.

(١٣) منية المريد ص ١١٥ .

(١٤) انظر منية المريد من ص ١١٤ إلى ص ١١٨ .

(١٥) سورة الأحزاب: ٦.

(١٦) حياة الصديقة فاطمة عليها السلام للطبوسي، ص ٢٨.

الرجل والمرأة

في كفتي العقل والعاطفة

على أحمد الكربابادي

لـ الشعارات الصاذبة التي تحاك ضد الإسلام تصل مسامع الخلق في هذه الكرة الأرضية، وما ينقشع غبار هذه الفوضى إلا وتبز ما سأبرزها تبكيها العيون، وألمها تضحك الإنسان بعد أن تنخر الأسنان من الداخل، بدءاً بمصطلح الحرية، مروراً بالإرهاب وشعار تعدد القراءات، وانتهاء بمحور بحثنا وهو المرأة.

في هذه المقالة نتطرق إلى محوريين مهمين يتعلقان بالمرأة، وهما:

- ١- مم تكون المرأة؟
- ٢- لماذا الرجل لا المرأة؟!

المحور الأول: مم تكون المرأة؟

المتأمل في حقيقة المرأة وكيانها يرى بوضوح عنصرين بارزين في تكوينها، إذا احتل أحدهما حصل اختلال في حقيقة المرأة، وإذا فقد أحدهما جاز القول بأن هذا الكيان الموجود بين أيدينا هو مخلوق آخر لا يسمى بالمرأة، فما هما هذان العنصران؟

العنصر الأول: هو العاطفة، وب بواسطتها تؤدي المرأة الوظيفة التي أناطتها يد الإبداع بها، فلولا العاطفة من المرأة لكان المجتمع خليطاً من النسور الكاسرة والسباع المفترسة.

والعنصر الثاني: هو الحياء، وهو الذي يدفع المرأة للستر والحفاظ على حجابها وعفتها وكرامتها.

وبما أن العنصر الأول وهو العاطفة بارز أشد البروز ولا يمكن إزالته من المرأة أو تعطيله بهذه السهولة، فهي تؤدي وظيفتها تجاه صغارها وتتجاه زوجها وفقاً لهذه الفطرة. ولكن بالنسبة للعنصر الثاني وهو الحياء، فكثيراً ما تستغفل المرأة ويعطل فيها هذا العنصر عن العمل بالشكل اللائق، فهي بداع التحرر، وانسياقاً مع شعارات حقوق المرأة تنسى بعض القيم التي تلزمها بحفظ عفتها وسترها. عدم احترامها بثقافتها، تغيير الآخرين لها على التزامها، الانصياع للشهوة والكلمات الخادعة، حب الجمال وجلب الأنظار، الانخداع بالإعلام المركز، إحساسها بشذوذها في المجتمعات المنحرفة... كل هذه الأمور يمكن أن تكون ضمن الأسباب التي تجعلها تتبرج وتظهر مفاتنها غير مكرونة بما يملئها دينها وفطرتها. فيمكّنا أن نقول بأن المرأة إذا واجهت هذه التحديات فإن لديها قوّتين متى كانتا منيعتين حالتا دون تبرجها واسترخاص ذاتها والعبث بجسدها، وما لها من حق عليها.

فالقوة الأولى: هي التدين والالتزام بأوامر الخالق جل وعلا، وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَبْرُجْ جِنْ تَبْرُجْ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١). وقال أيضاً: ﴿وَلَا يُبَدِّلَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيُضَرِّبُنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى

جِيُوبِهِنَّ^(٢)) ولذا ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: "ألا أخبركم بخير نسائكم؟ قالوا: بلى. قال: إن خير نسائكم اللولد الودود المستيرة العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المترفة مع زوجها، الحصان عن غيره"^(٣). وهنا لا بد أن يتضح لمن ينظر للدين الإسلامي بظلامية، وأنه دين الكبت والأسر بأن الدين يدعوا للجمال، وللعاطفة، وللتلبية نداء الغريزة الجنسية، ولكن وفق حالة قدسية تشعر فيها المرأة بكرامتها وصونها وعدم افتراضها، فتكون أوفق لميولها ورغباتها المودعة في داخلها حينما تشعر بالخصوصية والاحترام المتبادل، لا المنفعية والاستغلال والخيانة.

والأمر الآخر هو أن المرأة الملتمرة بتعاليم دينها لا بد وأن تكون حسانا على غير زوجها، ولفظ "حصن" يشير إلى البناء الذي يبني حول القرية فهو يحفظها من هجمات الأعداء، والحسين هو المنيع، والمرأة المحصنة هي المتزوجة، والرجل المحصن هو المتزوج، ولعل ذلك إشارة إلى كون الزواج حافظاً ومانعاً لكل منهما عن الحرام. وحصنت المرأة أي عفت فهي حسان. وهذه التعبيرات فيها كثير من التشديد على حفظ المرأة لسترها، وعدم التساهل والتسامح في أن يظهر منها شيء هو أولى بالحجب والحفظ. وليس ذلك إلا لكرامة المرأة المؤمنة عند الله جل وعلا، وذلك كما يشير القرآن خوفاً عليها من الأذى: **﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَن يُعْرَفُنَّ فَلَا يُؤْذَنُنَّ﴾**^(٤).

والقوة الثانية: هي الحياء والعفة، فالمرأة التي ترى لنفسها قيمة ولجسدها حرمة تأبى أن يهتك سترها، حتى ولو لم تكن مؤمنة متدينة،

فالحياء في نفسه مانع قوي يحول دون تبرج المرأة وتخليها عن سترها، وقد يهون على المرأة في بعض الأحيان أن تموت بدل أن يرى أحد جزءاً من أجزاء جسمها. ولكن هذا الحباء متباوت في أفراد المرأة، وللتربية والعوامل البيئية دور في شدته وضعفه، فتارة تستحي المرأة من ذكر اسمها أمام الأجنبي، وتارة لا يمنعها الحباء سوى من إباحة نظر الآخرين لخصوص موضع من جسمها، فلا يأس لديها بأن يكون كل جسدها مكشوفاً عدا هذا الموضع. وهذا ما نقل عن أيام الجاهلية، فإن المرأة كانت تطوف بالبيت الحرام وهي عريانة تقول: من يعييني تطوفاً؟ تجعله على فرجها، على حذف المضاف، أي ذا تطوف وهو ما تتستر به للطوف^(٥). أو كانت تطوف عريانة وما عليها سوى رهط من سيور، وقد قالت امرأة من العرب:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

تعني فرجها أنه يظهر من فرج الرهط الذي تلبسه^(٦). والخلاصة أن هذين العنصرين "الدين والحياة" إن وجدا معاً فإن عفاف المرأة وصونها لسترها وحجابها يكون في أعلى درجاته، وإن وجد أحدهما حال من تبرجها بمقدار قوة هذا المانع. وهذا التاريخ يحدثنا عن زينب بنت علي^{عليها السلام}، وهي ذروة الحياة والعفة، وابنة العصمة، ووليدة أصول الدين، حدث يحيى المازني قال: كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها

رسول الله ﷺ تخرج ليلاً والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين رضي الله عنه أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين رضي الله عنه فأحمد ضوء القناديل فسألة الحسن رضي الله عنه مرة عن ذلك فقال رضي الله عنه: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب^(٧).

المحور الثاني: لماذا الرجل لا المرأة؟!

لقد وردت في الروايات عدة تعبيرات يستنكر الكثير عن قبولها، بل ويعتبرها في بعض الأحيان من علام التخلف والجهل، وأحياناً قد ينسب إلى الدين أنه دين ظلم وجهل وما إلى ذلك. ومن ضمن تلك التعبيرات ما يمدح المرأة الجبانة فهل أن الإسلام يدعو للجبن والضعف؟! ومن ضمنها أيضاً ما نسب إلى رسول الله ﷺ: "شاوروهن وخالفوهن"^(٨). فهل أن ذلك سوى استهزاء بالمرأة وإهانة لكرامتها؟!

ولكننا حينما نتأمل في هذه المعاني نرى بأن بالإمكان حملها على معان تتفق وطبيعة كل من الرجل والمرأة، ولذلك لا بد وأن نعرف حقيقة المرأة، وتركيبتها النفسية، وكذلك حقيقة الرجل وتركيبته النفسية. وقبل ذلك نقول بأن فهم تلك الكلمات الواردة لا بد وأن يتم ضمن سياق الحديث التي وردت فيه، فلا يصح رفض كل الحديث وما يمكن أن يتضمن من محتوى بمجرد النظر لكلمة واحدة وردت فيه، فإن المراد لا يتم فهمه بكلمة مقطعة عن السياق الكلمي. لقد ورد هذا المعنى المذكور في إحدى الكلمات القصار للأمير رضي الله عنه البلاغة: "خيار خصال النساء شرار الرجال: الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة

لم تتمكن من نفسها. وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها. وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها^(٩). بعد قراءة هذه الكلمة يتضح بأن المقصود ليس هو الجبن بمعنى أن تكون المرأة فزعة دائماً، فاقدة للإرادة والشجاعة والقوة، والإحساس بوجودها واعتراضها بنفسها، ولكن المقصود هو أن تكون جبانة، أو حذرة أو ما شئت أن تعبر في الظرف الذي يكون فيه الجبن مدعاه لنجاتها وسلامة شرفها، فيمكن تصور ذلك في مقاومتها لشخص حاول الاعتداء عليها مع تمكنها من حماية شرفها بالابتعاد عنه بدل إبداء القوة والعناد، وذلك انسجاماً مع الطبيعة البنية جسم الرجل ولبنية جسم المرأة.

وأما بالنسبة لما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: "شاوروهن وخالفوهن" فطبيعة المرأة وخصوصياتها، وطبيعة الرجل وخصوصياته تفرضان حالة من تبعية الزوجة لزوجها باعتبار أنه:

أولاً: لا بد للناس من أمير بر أو فاجر^(١٠). فلا يمكن أن تستقيم حياة الزوجين أو أي فردين مما زاد عليهما من دون نظام إداري يحدد به أحدهم المسيرة فيحذو الآخرون حذوه. ولا يلزم أن يكون ذلك بنحو الإجبار، بل إن الحاجة الملحة لهذا النظام الإداري هي التي تفرض أن يوجد تابع ومتبوع، ولذلك فإن الزوجين الوعيين بما اللذان يتوافقان على تنظيم إدارة حياتهما الزوجية.

ثانياً: إن طبيعة تكوين الرجل ونفسيته تختلف عن طبيعة المرأة، فلا يصح لنا أن نعامل أحدهما معاملة الآخر وأن نُحمّلهم ما لا يقدرنـه. ولمـا

كان الرجل يتميز بتحكم الحسابات العقلية فيه والسير وفق تشخيص المنافع والمضار من غير تأثر كثير بالجنبة العاطفية. وكذلك لما كانت المرأة تميز بكون العاطفة هي المسيطرة على مسيرتها، والحاكمة على عقلها في كثير من الأحيان، كان من الأجدر والأصوب أن تتولى المرأة الجانب الذي يحتاج لتيار عظيم من العاطفة يبعث فيه الحياة، وأن يتولى الرجل الحسابات المصلحية والمنازعات والإدارة الخارجية لبيت الزوجية، وتسيير الحياة الزوجية العامة. فلو كان خروج الرجل للجهاد – على سبيل المثال – متوقفاً على إذن المرأة لما استقامت فريضة الجهاد، ولا يعني ذلك عدم وجود المؤمنات والمعتقدات والفدائيات في بعض الأحيان، ولكن الحالة العامة والغالبة هي أن عاطفة المرأة في مثل هذه الظروف لا تسمح للعقل بالتدخل، على سعته، وقوته إداركه.

وبناءً على هذه الطبيعة المودعة في كل منهمما، عادة ما ترى الزوجة تحب في زوجها القوة والشجاعة، والصلابة، والقدرة على الإدارة وإبداء الرأي، وكلما اشتدت فيه هذه الصفات كلما ازدادت حبه لها، وهي بالطبع تختلف عن القسوة والشدة والصلافة والاستبداد. وفي المقابل ترى بأن الرجل يحب في زوجته النعومة واللين والأنصياع له والإعجاب به والتبعية الواضحة، ولذلك وفي كثير من الأحيان لا تشيع الماديات ووسائل الرفاهية نفهم المرأة حينما لا تجد في زوجها قدرة الحكم وإدارة الحياة الزوجية، ولعل الأمر يصل بها إلى تفضيل الانفصال عن زوجها ولو كان وفياً ومحباً لها، فهي لم تحس بما يلبي رغباتها وطموحها من وجود الرجل

الذي تتكل عليه. والأمر كذلك حينما لا يجد الرجل في زوجته سوى إصدار الأوامر، والشجاعة والإقدام مع انعدام اللين والهدوء والانصياع والعاطفة. فتتمنص أحد الزوجين لدور الآخر يجب إخلالاً في العلاقة الزوجية وتربية الأطفال، وقد يؤدي إلى تزايد حالات الطلاق.

ينقل الشيخ إبراهيم الأميني عن جريدة إطلاعات، تقول إحدى السيدات:

(كانت لنا نحن الإيرانيين تقاليد طيبة وللأسف اضمرحت بالتدريج.. إن الرجل في الأسرة الإيرانية هو الرئيس.. أما اليوم فإن هذا الوضع قد ترزل وأسرة اليوم حاثرة.. الآن وقد حصلت المرأة على حقوق متساوية للرجل في كثير من الميادين، فلتترك زعامة الأسرة للرجل.. لتعرف برئاسته).(١١).

ومن حق القارئ هنا أن يتساءل: وما علاقة كل هذه الأمور بالحديث: "شاوروهن وخالفوهن"؟! وهل يلزم من الإداره الزوجية أن تحقر المرأة ويستهزأ بها؟!

والجواب على ذلك هو أنه وبعد اتضاح طبيعة كل من الرجل والمرأة، ومعرفة أن الزوجة في حاجة لقيادة الزوج، يمكننا أن نوفق بين هذا الحديث وبين هذه الطبيعة من جانب كونه مؤسساً للقيادة والانقیاد داخل بيت الزوجية، فلا يفهم من هذا الحديث وجوب مخالفه النساء بنحو مطلق غير قابل للطرف المقابل، وهو الأخذ بقول الزوجة مثلاً في مورد ما، بل لعل بالإمكان استفادة قاعدة تقول بأن الزوج لا بد وأن يبني علاقته داخل

الأسرة على المحبة وقبول الآخر والإصغاء لآراء التي تبديها الزوجة، ولكن في النتيجة لا يكون منقاداً لها في كل شيء، أي لا يجب عليه أن يأخذ برأيها في كل شيء لأن ذلك يعني أن يكون هو التابع وهي المتبع وهذا ما يتناهى ومؤهلات كل منهما، فلا بد في النتيجة أن يخالفها حينما لا يجد الصواب في رأيها، ولا بد أن يسير هو بنفسه أمور الإدارة الزوجية، وما هذا التعبير إلا ترسیخ للقيادة والانقياد، آخذنا بعين الاعتبار حالات تفاوت الآراء، فهو تأكيد على كون القيادة بعهدة الرجل، وقوة هذا التأكيد نابعة من تصوير الحالة المحتملة وهي المخالفة للزوجة بالحالة الطبيعية، وذلك تفادياً لخروج القيادة من عهدة الرجل. ويمكن تشبيه هذه الصورة بين الزوجين بالشوري بين الرسول الأكرم عليه السلام وأمه، فهذا القرآن قد نزلت فيه سورة باسم "الشوري" وجاءت فيه آيات تدعى النبي عليه السلام للشوري وهو المعصوم الأكمل الذي يصيب ولا يخطئ، سواء وجدت الشوري أم لم توجد:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ﴾ (١٢)، **﴿وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانهُوا﴾** (١٣).

ومع أن الرسول الأكرم عليه السلام كان يشاورها إلا أنها كانت ملزمة في نهاية المطاف بالرجوع له سواء أكان لديها رأي مخالف أم لا:

﴿فَاغْفِرْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَأْوْرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٤).

ولو كان الرسول عليه السلام يعتمد على الآراء التي يشار بها عليه ويعمل بها

في كل الحالات لأنَّه أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ هِيَ الْمُتَبَعُ وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ التَّابِعُ،
وَلِأَصَابِ الْأُمَّةَ ضِيقٌ وَحَرْجٌ لَأَنَّهَا لَمْ تَتَّبِعْ مَنْ هُوَ أَهْلُ لِلِّتَّابِعِ :
﴿وَاغْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ رَسُولًا اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾
لَعَنْتُمْ (١٥).

فالخلاصة هي أنه كما كانت للشوري بين الرسول وأمهاته حكمتها ولقيادتها عليها وآله وآله أهميتها فكذلك تكون للشوري بين الزوجين حكمتها وآثارها التربوية وغيرها، ولقيادة الزوج أهميتها التربوية وغيرها، وما التعبير بـ "خالفوهن" إلا إشارة إلى أهمية هذه الإدارة وتوزيع الأدوار كما تقدم.

المتأمل في حقيقة المرأة وكيانها يرى بوضوح
عنصرتين بارزتين في تكوينها، إذا احتل أحدهما
حصل اختلال في حقيقة المرأة، وإذا فقد أحدهما
جاز القول بأن هذا الكيان الموجود بين أيدينا هو
مخلوق آخر لا يسمى بالمرأة.

* * *

الهوامش

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) سورة النور: ٣١.

- (٣) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، الطبعة السادسة، ١٩٧٢، ص .٥٩.
- (٤) سورة الأحزاب: .٥٩.
- (٥) لسان العرب، ابن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ج ٩، ص ٢٢٥.
- (٦) نفس المصدر ج ١٢، ص ١٢٠.
- (٧) وفيات الأنئمة، وفاة السيدة زينب الكبرى، الشيخ فرج آل عمران القطيفي، ص ٤٣٥-٤٣٦.
- (٨) عوالى الالكى، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، مطبعة سيد الشهداء ج ١، ص ٢٨٩.
- (٩) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٢، ص ٧٠٩.
- (١٠) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ج ٧٢، ص ٣٥٨.
- (١١) نحو حياة دافئة، الشيخ إبراهيم الأميني، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ص ٢٤٠.
- (١٢) سورة النساء: ٨٠.
- (١٣) سورة الحشر: ٧.
- (١٤) سورة آل عمران: ١٥٩.
- (١٥) سورة الحجراط: ٧.

فن الإلقاء

السيد عباس جعفر شبر

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء
وأخص المرسلين حبيب الله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين
المعصومين المتوجبين وللعنة الدائم على أعداء الدين من الأولين
والآخرين إلى قيام يوم الدين.

إن الموضوع يدور حول محور المحاور المهمة التي تشغله بالـ
المبلغ وهو فن الإلقاء وكيفية استخدام بعض الطرق الفاعلة في عملية
التبلیغ. فالملبغ دائماً يحتاج إلى آليات من أجل إيصال المعلومة وهذه
الآليات تتغير بتغيير الزمان والمكان. إن كل إنسان يمتلك معلومة ولكن
كيفية إيصال تلك المعلومة إلى طرف آخر تحتاج إلى آليات وفرضيات
متناسبة مع الجو بشكل عام، ومع المستمع بشكل خاص.

سنبدأ بهذه الآية المباركة ﴿وَأَخْيَ هَارُونٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا
فَأَرْسَلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ﴾^(١)، وذلك من باب
تسليط الضوء على بعد من أبعادها. في هذه الآية الكريمة إشارة إلى أهمية
الفصاحة. إذ أن نبي الله موسى عليه وعلى نبينا والله أزكي الصلاة والتسليم
لا يستطيع إيصال المعلومة كما باستطاعة هارون. فهارون بما كان يمتلكه

من مهارة في البلاغة والسبك اللغوي قادر على الإقناع وتقديم الحجة ببلاغة أكثر من موسى. من هذا المنطلق دعت الحاجة نبي الله موسى إلى أن يطلب من الله جل وعلا إن يسنته بأخيه هارون حتى يتمكن من إلقاء الحجة على فرعون بفصاحة وبلاغة. وهنا سنشير إلى بعض النقاط والآليات المهمة في فن الإلقاء منها أهمية الخطاب في التبليغ. إذ لابد أن يتبه الإنسان وخصوصا طالب العلم إلى المادة التي يطرحها إذ يجب أن تكون متينة وقوية حتى يقنع الطرف الآخر. كذلك يجب أن يكون هناك إخلاص في النية فجميعنا نعرف أن ما يخرج من القلب يقع في القلب. بمعنى إذا تكلم الإنسان من قلبه فالطرف الآخر يتقبل الكلام ويكون له بالغ الأثر في نفسه. أما إذا لم يكن مقتنعا أساسا بالكلام الذي يخاطب به الأفراد فلن يكون ذا أثر على المستمع فعلى سبيل المثال إذا كان هناك شخص يمتلك آليات في فن الإلقاء وأراد إقناع الطرف الآخر بها لن تؤثر إذا كان هو شخصيا لم يكن مقتنعا بها. وعلى هذا يجب على الإنسان أن يتمتع بأسلوب قوي وجدير. هذا من جانب أما الجانب الآخر وهو إشغال الذهن بالهم التبليغي. بمعنى أنه لو كان هناك خطيب ما يذهب إلى بلد للترزق من الخطابة لا نقول أنه لا يؤثر بتاتا على المستمع. ولكن مستوى التأثير عندما يكون الشخص يمتلك الهم يكون الواقع مختلف عند الطرف الآخر.

ودعني أنتقل بك الآن إلى معنى الإرساء قبل الدخول إلى النقطة الثانية. الارسae في اللغة هو الرسوخ ومرسى السفينة أي مكان توقفها. فالمعلومات هكذا تحط في الذهن. فالإنسان يرسى في ذهنه معلومات

صحيحة وفي بعض الأوقات معلومات خاطئة. بمعنى آخر نستطيع أن نقول أن الإنسان يلقن نفسه تارة تلقينا إيجابياً وتارة أخرى تلقينا سلبياً. وأبسط مثال على ذلك هو أن الطفل حينما يلقنه الوالدين على سبيل المثال بأنه "غبي" وهذه الكلمة تتردد يومياً على مسامعه فأن حصيلتها في الشهر هو ثلاثين مرة . ولو أن هذا الطفل لقن هذه الكلمة ثلاثة مرات في اليوم فإن المحصلة في آخر الشهر هي تسعين. وفي نهاية السنة ستبلغ ١٠٩٥ كلمة سلبية تربعت في ذهنه. في نهاية السنة هل سيكون هذا الطفل فاعلاً في المجتمع؟ وهل سيؤدي وظيفته بأكمل وجه؟ قطعاً لا. وذلك بسبب تلقنه لتلك الكلمة السلبية فإنه ستكون لديه في نهاية العام قناعة شخصية تقول له إنك غير فاعل في المجتمع وإنك لا تستطيع تحقيق أي شيء في هذه الحياة. وستؤدي إلى حدوث ردة فعل بالنسبة إليه. وبالإمكان إيصال المعلومة بأسلوب آخر وهو عن طريق التلقين الإيجابي. فلو عكسنا القضية على سبيل المثال ولقنا الطفل يومياً بأنه ذكي فإنه تقنعه بأنه نابغة وبهذه الكيفية فإنك في نهاية العام هذبت شخصيته تهذيباً إيجابياً وخلقت منه شخصاً فاعلاً في المجتمع لأن تلقينه كان إيجابياً من الأساس. ولا ننكر الحاجة إلى التأديب أحياناً وهو من مستلزمات التربية ولكن يجب ألا يكون عن طريق إرساءات سلبية في الذهن.

وإذا انتقلنا إلى النقطة الأخرى وهي القول بأن هناك مستويات منطقية يحتاجها المبلغ من أجل تحقيق أهدافه. فعلى سبيل المثال عندما يريد أن يلقي خطاباً معيناً، يصعد على المنبر أو تكون عنده كلمة بوجود عدد كبير

من الجمهور عادة ما تكون هناك رهبة أو خوف من الإخفاق لديه. وللسيطرة على هذه المخاوف وضع علماء النفس آليات تمكنه من تلقين نفسه إيجابيا. فلا يقول لنفسه إنني لا أستطيع أو سأنسى كل ما في ذهني، أو سأتعثر وإنني غير قادر على مواجهة الجمهور. من أجل ذلك أعددت أسئلة من قبل هؤلاء كأساسيات يستطيع أن يوجهها الإنسان إلى نفسه ومن هذه الأسئلة:

- بمعية من ؟ إذا كان ممثلا مسرحيا وارتقي خشبة المسرح يلقن نفسه إيجابيا بأنني آت من قبل مخرج محترم أو عالي المستوى. مثال آخر إذا كنت مبلغ وارتقيت المنبر مثلا وسألت نفسك هذا السؤال فيجب عليك أن تلقن نفسك بأنك موظف من موظفي مؤسسة الإمام الحجة المنتظر (عج) فهذا هو التلقين الإيجابي. شخص آخر يجب عن هذا السؤال بأنه لا يعلم بمعية من أتى. فهذا هو التلقين السلبي.
- سؤال آخر من أنا؟ ننظر إليها من المنظور النفسي وليس من المنظور الأخلاقي فنستطيع الإجابة بأنه جندي من جنود الحجة ويسعى لإيصال المعلومة من هذا الباب وهذا يعتبر تلقينا إيجابيا. أما إذا كانت إجابة سؤال من أنا بلا شيء فهذا هو التلقين السلبي. وبهذا لا يستطيع إيصال المعلومة إلى الآخرين لأنه في قرارة نفسه لا يمثل شيئا بالنسبة لهم.
- لماذا أفعل؟ إذا كانت الإجابة أطبق التكليف فهذا هو التلقين الإيجابي للنفس أما قول لا أعلم للإجابة على هذا السؤال فهو التلقين

السلبي.

- كيف أفعل؟ وهو سؤال مهم للمبلغين إذ نلاحظ أنه يرتكب في بعض الأوقات إذ لا يعرف ماذا يقول ، ما هي الكلمة المناسبة أو كيفية ترتيب الموضوع وهذه تحدث وفقاً لمقتضيات حاجة المبلغ .
- ماذا أفعل؟ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلا هو تلقين

إيجابي أما إذا كانت الإجابة لا أعرف فهي تلقين سلبي.

- أين؟ ومتى؟ وهو سؤال مهم كذلك يشغل فكر المبلغين. إذ يجب أن يعرف أين تلقى الكلمة وأن يعرف متى يلقاها. إذ أنه من المستحيل الذهاب إلى المدرسة المسيحية ويلقي عليهم درس حوزوي مثلا. فهذا تباين وعليه يجب اختيار الكلمة المناسبة والملائمة للمكان والزمان.

نقل لنا أحد الأساتذة الفضلاء قصة ما مضمونها أن السيد القائد الخامئي يسأل الإمام الراحل رضوان الله عليه منذ متى وأنت تفكير في إقامة دولة إسلامية؟ تبسم رضوان الله عليه ثم سكت وقال: آليت على نفسي أن لا أعمل إلا بالتكليف والوظيفة الشرعية فكانت تارةً تقتضي مني إلقاء بيان وتارةً تقتضي مني أن أتكلم ضد الشاه فكنت أتكلم حتى أصبحت الجمهورية الإسلامية. فالوظيفة الشرعية هي التي حددت لروح الله الخميني (قدس سره) مكان الإلقاء ومتى يلقي وكيفية الإلقاء أيضا. ومن أجل السيطرة على المخاوف أو جد علماء النفس بعض الطرق للتغلب عليها. إذ ينبغي على المتحدث قبل الشروع في كلمته أن يغمض عينيه

ويتنفس بعمق ويقوم بعملية الشهيق والزفير وذلك لهدف التخفيف من حدة ضربات دقات القلب. كما باستطاعته أن يستحضر ذكرى مفرحة أو مبهجة أثناء ذلك حتى يمكن من إشغال الذهن والوعي والعكس صحيح إذا أراد أن يهيج أحزان الحضور. فإشغال الوعي يغض النظر عن الأشياء والحسابات المنطقية التي يرتبها الفرد من أجل برمجة سلوكه ويشغل ذهنه عن هذه المسائل ويتجه بالتفكير إلى هذا الشيء المفرح أو المبكي. فيتبرمג السلوك برمجة إيجابية عن طريق إلهائه في أمر آخر وحين البدء يكون قد سيطر على الموقف الأول ألا وهو مسألة الخوف في كيفية الشروع. أما المرحلة الثانية وهي الخوف أثناء الإلقاء. فمن المفترض أن يحاول المتكلم أن لا ينظر مباشرة في عين الجمهور بل أن يوزع النظرات على الجمهور ويركز على الجبهة وكأنه بذلك ينظر إلى أعينهم. فهنا يسيطر على الخوف الثاني وذلك لأن العين لها أثر كبير في النفس. ففي بعض الأوقات ترى بأن شخص ما موجود في داخل المجلس يؤثر على اتزان المتحدث بسبب نظرة منه إليه.

وفي هذا يقول الشاعر :

إن العيون لتبدي في نواضرها ما في القلوب من البغضاء والاحن
ويفعل آخر :
فالعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من صميم القلب تبيانا
وفي ذلك يقول المؤمن عليه لعائض الله :
أيها الناس ، لا تضمروا لنا بغضنا ، فإنه والله من يضمر لنا بغضنا ندركه

في فلثات كلامه ، وصفحات وجهه ، ولمحات عينه.

أحد علماء النفس ويدعى ألبرت مهارابيان من جامعة هارفارد الأمريكية وجد أن الإنسان يمتلك ٩٣٪ من عمليات الاتصال الغير ملفوظة. إذ رأى أن عملية الاتصال مع الأفراد تتشكل عن طريق هذه الأوجه الثلاثة:

١- بصري (تعابيرات الجسم) وهي تشكل ٥٥٪ في عملية الاتصال مع الطرف الآخر. ومن الملاحظ تركيز الأساتذة في الحوزة العلمية على مسألة حضور الدروس من أجل أن ترسخ المعلومة في الذهن فلابد أن توجد روابط للمعلومة وهي عادة ما تكون مرتبطة بلغة الجسد.

٢- صوتي أي مراعاة النبرة الصوتية وهي تشكل ٣٨٪ في عملية الاتصال. إذ أنه في بعض الأوقات قد يرتاب الإنسان إلى سماع صوت شخص ما حتى لو كان ما يقوله هذا الشخص ليس له أي معنى. والعكس صحيح حين نقول أنه أحياناً لا يستطيع الإنسان أن يستمع إلى شخص ولو لعدة دقائق حتى وإن كان على مستوى عالٍ من العلم والثقافة وذلك نتيجة تفقر المستمع من النبرة الصوتية. يجب كذلك الانتباه إلى متى يجب أن ترفع نبرة الصوت ومتى تخفض وهي تؤثر بشكل كبير على السامع ويكون لها وقع خاص في نفسه ولكن المهم معرفة متى يكون من المناسب القيام بذلك وفي أي كلمة بالذات وبالاستطاعة اتخاذ هذه الخطوة حين الرغبة في شد انتباه شخص ما في الجلسة أو تبيان أهمية كلمة ما عند الجمهور.

٣- لفظي وهي الكلمات والمعلومات التي ت يريد توصيلها للطرف الآخر وهي تشكل ٧٪ في عملية الاتصال فقط. وأقرب مثال إلى ذلك أنه

قد ألقيت على مسامعي في إحدى الدورات لمدة نصف ساعة تقريبا وأخبرنا المُلقِي من البداية أن عنوان الدورة هي لاشيء وضمن لنا أننا سنخرج من الدورة بلا شيء ولكننا في نفس الوقت سننهر بما يقدمه لنا. وفعلاً كان كل ما قاله المُلقِي عن هذه الدورة قد تحقق وقد كانت من أفضل الدورات على الرغم من أنها لا تحتوي على أية معلومات. وهذا إثبات على أن الإنسان بإمكانه أن يتكلم لمدة ساعات ويسمعه الناس وينصتون له ويشكرونـه على كلماته على الرغم من أنها لا تحتوى على أي معنى. وعلى اثر ذلك لابد من وجود هذه الآليات عند المبلغ وكما يجب معرفة طرق اختيار الألفاظ حتى يكون لها الوقع الكبير في النفوس. كما لصياغة المادة باللغ الأثر لتحقيق ذلك.

ومن أجل التأثير كذلك في نفوس المستمعين ينصح علماء النفس بابتداء الموضوع بقصة وختمه بقصة أخرى. أو بالإمكان أن يبدأ بجزء من قصة ما ويؤجل إكمالها في نهاية الموضوع وهذا ما يدعى (SANDWICH WA) للطرف الآخر حتى يستقبل المعلومات استقبالاً إيجابياً كما يجب استخدام المصطلحات المحببة له من أجل إيقاع التأثير. على سبيل المثال حين التحدث مع الأطفال يجب أن نتكلم معهم باستخدام كلمات أو مصطلحات ملائمة لسن الطفل وفهمه. كذلك بالنسبة للمهندسين أو الأطباء وغيرهم بحيث يكون الخطاب بما يناسب تخصصهم ومصطلحاتهم.

وعليه وجد النظام التمثيلي الذي يقسم الناس إلى ثلاثة أنماط
لاستقبال المعلومة وهم:

١- سمعي بحيث يكون التأثير عليه أكثر عن طريق المسموعات والصوتيات.

٢- بصري وهنا يكون التأثير عليه بشيء يراه بعينيه ومرئياً لديه.

٢- حسی ويكون هذا الشخص يتاثر بما هو ملموس ومحسوس بحيث

يستطيع أن يلمسه بيديه مثلا.

و بذلك على المبلغ أو المتكلّم أن يكثّر من الأمثلة في خطابه لضمّان إيصال المعلومة لجميع الأنماط بحيث يدرج مثلاً حسياً، وسماعياً وآخر بصرياً من أجل أن يتأكّد أن المعلومة مفهومه لدى الجميع وهذا ما سيكون له بالغ الأثر في هيمنته ونجاح بيانه.

三

الفوایل

٣٤) سورة القصص :

(٢) وهي تعني بأسلوب الشطيرة وذلك من أجل أن تكون المادة في الوسط وربطها بالمعلومات في البداية والمعلومات في النهاية من أجل أن ترسخ في الذهن وهذا عن طريق الروابط التصصصية الموجودة في الموضوع.

أخبار المشاهدة

(القسم الثاني)

محمد علي العربي

ثالثا: الإشكال في دلالة التوقيع المبارك وجوابه:

و محل الإشكال في دلالتها، هو ما نصت عليه - أو كان ظاهرها من إطلاق نفي المشاهدة، والحكم بكذب كل مدع لذلك، ولا أقل من إجمالها من هذه الجهة.

ونحن نستعرض في نقاط، مجموعة مما ذكره علماؤنا إشكالاً وجواباً على دلالة التوقيع الشريف، تسلیماً بصحة دلالته أو ضرورة صرفه عن ظاهره:

الأول:

ما عن السيد عبد الله شبر ت في شرحه للزيارة الجامعة، بعد نقله لمقال الفاضل التقى المجلسي رج وتشرفه برؤيه الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام عند مرقد سيد الوصيين عليهم السلام، واستحسانه (سلام الله عليه) للزيارة الجامعة:

"لا يقال كيف يمكن ادعاء رؤيته الست في غير المنام وقد ورد عنهم في التوقيع لعلي بن محمد السمرى على ما في الاحتجاج والإكمال

((وسيأتي من شيعتي من يدعى المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر))؟

لأننا نقول إن ذلك محمول على

ورد في التوقيع
الشريف الصادر
على بن محمد
السمري: (وسيأتي
من شيعتي من
يدعى المشاهدة ألا
فمن ادعى المشاهدة
قبل خروج السفياني
والصيحة فهو
كذاب مفتر).

من يدعى المشاهدة مع النيابة وإيصال
الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة
الأبرار على نحو السفراء والنواب وإنما
فقد استفاضت الأخبار وتوافرت
الآثار عن جمع كثير من الثقات الأبرار
من المقدمين والمتأنرين ومن رأوه
واشاهدوه في الغيبة الكبرى وقد عقد
لها المحدثون في كتابهم أبواباً على
حدة وسيما العلامة المجلسي رحمه الله في
البحار^(١)، وصرح بحمل هذا الخبر
ونحوه على ذلك لئلا ينافي سائر
الأخبار^(٢).

وهذا الحمل مستفاد من القرينة الحالية المانعة من انعقاد الإطلاق
اللفظي أو الحكمي، أي ما تثبته قرينة الحكمة، ومقتضى الجمع بين مفاد
الصيحة - على فرض دلالتها على الامتناع - والعلم الحاصل من تواتر
الأخبار برأويته عليه السلام، وهو المختار.

الثاني:

وأما تفصيل الجواب فقد ذكره في السفر الجليل (مكيال المكارم) الميرزا محمد تقى الأصفهانى^(٣) بعد مناقشته السنديمة المتقدمة، فقال: "المقام الثاني : في دلالة الحديث المذكور على المطلب المزبور وتقرير ذلك أن قوله الكتاب (فقد وقعت الغيبة الثانية)، تعليل لقوله: (ولا توص إلى أحد يقوم مقامك)^(٤). فيدل على أن الغيبة الكبرى هي التي انقطعت الوكالة والنيابة الخاصة فيها.

ثم أكد ذلك بقوله ﷺ (وسأئتي من شيعتي من يدعى المشاهدة . . .)،
ولا شبهة بقرينة صدر الكلام^(٥) في أن المراد بدعوى المشاهدة هي
المشاهدة على نحو ما وقع للسفراء الأربع، المحمودين المعروفين في
زمان الغيبة الأولى.

وقد صرّح بأنّ من ادعاهما في الغيبة الكبّرى (فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العظيم).

والحاصل أن المراد بالمشاهدة هي المشاهدة المقيدة بكونها بعنوان
البابية والنيابة الخاصة مثل ما كان للسفراء الأربع، الموجودين في زمان
الغيبة الصغرى، لا مطلق المشاهدة فهو من باب ذكر المطلق، وإرادة المقيد
أو ذكر العام وإرادة الخاص. وهذا النحو من الاستعمال كثير شائع في
العرف واللغة؛ كما تقول اشتريت اللحم أو اشتري اللحم وترید لحم الغنم
بخصوصه لا مطلق اللحم والقرينة في الكلام موجودة كما ذكرنا^(٦).
ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا

أُنزَلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا فَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنَ لَهُ
مُسْلِمُونَ^(٧) ، فَإِنَّ الْأَسْبَاطَ لَفْظٌ عَامٌ أُرِيدُ بِهِ الْخَاصَّ ، لَأَنَّ جَمِيعَ الْأَسْبَاطِ
لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ ، وَلَا وَحْيٌ ، وَلَا حُكْمٌ ، وَإِنَّمَا نَزَلَ عَلَى بَعْضِهِمْ
وَكَذَلِكَ فِي التَّوْقِيقِ الشَّرِيفِ أُرِيدُ بِالْمَشَاهِدَةِ نَحْوَ خَاصٍ ، كَمَا يَبْيَنُ لَكَ بِعُونِ
اللهِ تَعَالَى .

وَبِهَذَا الوجه يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا تَنَافِي بَيْنَ هَذَا التَّوْقِيقِ الشَّرِيفِ وَبَيْنِ الْوَقَاءِ
الْكَثِيرَةِ ، الْمَذَكُورَةِ فِي كِتَابَيْ عَدِيدَةِ كَالْبَحَارِ وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ وَدارِ السَّلَامِ
لِلشِّيخِ الْعَرَاقِيِّ ، وَغَيْرُهَا الدَّالَّةُ عَلَى وَقْوَعِ الْمَشَاهِدَةِ فِي زَمَانِ الْغَيْبَةِ الْكَبِيرِ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ فَازُوا بِشَرْفِ لِقَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَزَقَنَا اللَّهُ تَعَالَى الْفَوزَ
بِلِقَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مَجِيبٌ .

هَذَا وَقَدْ قِيلَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا وَجْهٌ بَعِيدَةُ^(٨) ، لَا حَاجَةُ لَنَا فِي
الْتَّعْرُضِ لَهَا وَرَدَهَا ، وَإِنْ مَا ذُكِرَنَا وَاضْعَفَ لِأَهْلِهِ كَالنُّورِ عَلَى شَاهِقِ الْطُّورِ ،
وَاللهُ الْمَوْفُقُ.^(٩)

وَتَمْثِيلُهِ يَتَمَثَّلُ يَصْلُحُ لِلْخَاصِ الْمَرَادُ مِنْ لَفْظِ الْعَامِ فَقَطْ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ
الْتَّقِيَّدُ لِيُسَمِّي بالانْسِرافِ أَوْ بِالْقَرِينِيَّةِ مِنَ الْخَارِجِ ، لِيُمْثِلَ لَهُ بِالْعَامِ وَإِرَادَةِ
الْخَاصِّ ، بَلْ لَا ظَهُورٌ إِلَطَّاقِيٌّ فِي الْخُطَابِ مِنْ أَصْلِهِ ، كَمَا ذُكِرَ يَتَمَثَّلُ ،
لَا قَضَاءُ الْقَرِينِيَّةِ الْمَتَصلِّيَّةِ الْمَنْعُ مِنْهُ .

وَقَدْ اسْتَحْسَنَ الْمُؤْرِخُ الْمُحَقِّقُ سَمَاحَةُ الشِّيخِ باقِرُ شَرِيفِ الْقَرْشِيِّ
التَّوْجِيهِ السَّابِقِ ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ - حَيَاةُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

" .. من المقطوع حسبما تواتر نقله أن جمهرة كبيرة من خيار علماء الشيعة وصلحائهم، قد تشرفوا ببرؤيته وملاقاته، وقد أول ذلك بتأويلات عديدة كان من أجودها: أن من يدعى مشاهدته ونيابته وسفارته عنه على غرار سفراه في حال الغيبة الصغرى، فهو كاذب مفتر، وفيما أحسب أن هذا التوجيه حسن "(١٠)."

الثالث:

ومن أجب عن الإشكال بعدة مؤيدات - بناء على وجوب صرف الخبر عن ظاهره، ولعل فيها ما وصفه الميرزا الاصفهاني بالبعد - العلامة المجلسي تَعَظِّي في بحار الأنوار (ج ٥٣ ص ٣١٨)، فقال ضمن وجوه ما ملخصه:

" وهذا الخبر بظاهره ينافي الحكايات السابقة وغيرها مما هو مذكور في البحار والجواب عنه من وجوه:

" الأول : أنه خبر واحد مرسل، غير موجب علمًا، ضعيف لم يعمل به ناقله، وهو الشيخ في كتاب الغيبة كما يأتي كلامه، فكيف بغيره والعلماء الأعلام تلقواها بالقبول، وذكروها في زبرهم وتصانيفهم، مulous عليها معтинين بها ."

ولا يخفى أن مراده مرسلة الشيخ تَعَظِّي في كتاب الغيبة، فإنه لو كان عاملا به لذكره في طيات جوابه على المخالف حول علة غيبة الإمام الحجة الشَّفِيع عن أوليائه الداعي لسقوط التكليف عنهم، حيث قال تَعَظِّي في كتابه (الغيبة) :

"والذي ينبغي أن يجاب عن السؤال الذي ذكرناه عن المخالف أن
نقول:

إنا أولا لا نقطع على استثاره عن جميع أوليائه، بل يجوز (أن يظهر)
لأكثرهم ولا يعلم كل إنسان إلا حال نفسه، فإن كان ظاهرا له فعلته مراحة،
وإن لم يكن ظاهرا له علم أنه إنما لم يظهر له لأمر يرجع إليه وإن لم يعلمه
مفصلا لقصير من جهته، وإلا لم يحسن تكليفه. فإذا علم بقاء تكليفه عليه
واستثار الإمام عنه علم أنه لأمر يرجع إليه، كما تقوله جماعتنا فيمن لم
ينظر في طريق معرفة الله تعالى فلم يحصل له العلم، وجب أن يقطع على
أنه إنما لم يحصل لقصير يرجع إليه، وإلا وجب إسقاط تكليفه وإن لم
يعلم ما الذي وقع تقصيره فيه.

فعلى هذا التقرير أقوى ما يعلل به ذلك أن الإمام إذا ظهر ولا يعلم
شخصه وعينه من حيث المشاهدة، فلا بد من أن يظهر عليه علم معجز يدل
على صدقه والعلم بكون الشيء معجزا يحتاج إلى نظر يجوز أن يعترض
فيه شبهة، فلا يمتنع أن يكون المعلوم من حال من لم يظهر له أنه متى ظهر
وأظهر المعجز لم ينعم النظر فيدخل [عليه] فيه شبهة، فيعتقد أنه كذاب
ويشيع خبره فيؤدي إلى ما تقدم القول فيه" (١١)

إلا أنها نكتفي بالجواب عن هذا الوجه بما تقدم في البحث السندي
من صحة طريق الصدوق ثبت، وتقدم تصحيحها، فراجع.

"الثاني: أنه محمول على من يدعى المشاهدة مع النيابة، وإيصال
الأخبار من جانبه إلى الشيعة على مثال السفراء صرفاله عن ظاهره...،

وتقديم استحسانه من دون حاجة لصرفه عن ظاهره.

"الثالث: ما يظهر من قصة الجزيرة الخضراء، وفيها:

فقلت للسيد شمس الدين محمد وهو العقب السادس من أولاده عليه السلام : يا سيدي قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر عليه السلام أنه قال : لما أمر بالغيبة الكبرى : من رأني بعد غيبي فقد كذب، فكيف فيكم من يراه؟

فقال: صدقت إنما قال ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته، وغيرهم من فراعنة بنى العباس، حتى أن الشيعة يمنع بعضها بعضاً عن التحدث بذلك، وفي هذا الزمان تطاولت المدة وأيس منه الأعداء، وببلادنا نائية عنهم، وعن ظلمهم وعنائهم، الحكاية^(١٢). وهذا الوجه كما ترى يجري في كثير من بلاد أوليائه عليهم السلام.

وقد صنفت في رؤيته عليه السلام رسائل كثيرة مستقلة، وأما قصة الجزيرة فهي محل تشكيك من قبل جملة من العلماء، إلا أن الوقوف على الوارد أسلم ورد العلم لأهله أوفق للصواب.

"الرابع: ما ذكره العلامة الطباطبائي في رجاله في ترجمة الشيخ المفيد بعد ذكر التوقيعات^(١٣) المشهورة الصادرة منه عليه السلام في حق الشيخ المفيد عليه السلام من إمكان دفع إشكال صدورها عن الإمام عليه السلام زمن غيبته الكبرى باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن، واستعمال التوقيع على الملاحم والإخبار عن الغيب الذي لا يطلع عليه إلا الله وأولياؤه بإظهاره لهم، وأن المشاهدة المنافية أن يشاهد الإمام عليه السلام ويعلم أنه الحجة عليه السلام حال مشاهدته

له، ولم يعلم من المبلغ ادعاؤه لذلك.
وقال عليه السلام في فوائدہ في مسألة الإجماع بعد اشتراط دخول كل من لا
نعرفه :

وربما يحصل لبعض حفظة الأسرار من العلماء الأبرار العلم بقول
الإمام الكتاب عليه السلام ع بينه على وجه لا ينافي امتناع الرؤية في مدة الغيبة، فلا يسعه
التصريح بنسبة القول إليه الكتاب فيرزه في صورة الإجماع، جمعاً بين الأمر
بإظهار الحق والنهي عن إذاعة مثله بقول مطلق.

والإجماع المذكور هو المسمى بالإجماع التشرفي، ولم يدعه أحد من
العلماء، وعلل بخوف التصريح بالمدرك الحقيقى مخافة التكذيب أو تعبدا
بالكتمان، وهو الإجماع - حسى حسه البعض عندما لم يوجد مدركا له،
فحقيقته التورية عن مدرك الحكم، وهو المشهور في تعليل إجماعات مثل
السيد بحر العلوم ت.

" الخامس : ما ذكره السيد الطباطبائى ت فيه أيضا بقوله : وقد يمنع
أيضا امتناعه في شأن الخواص وإن اقتضاه ظاهر النصوص بشهادة الاعتبار،
ودلالة بعض الآثار.

ولعل مراده بالأثار الواقع المذكورة هنا وفي البحر أو خصوص ما
رواه الكليني في الكافي والنعماني في غيته والشيخ في غيته بأسانيدهم
المعتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة،
ولا بد له في غيته من عزلة، وما بثلاثين من وحشة^(١٤). وظاهر الخبر كما
صرح به شراح الأحاديث أنه عليه السلام يستأنس بثلاثين من أوليائه في غيته ...

وهو لاء الثلاثون الذين يستأنس بهم الإمام الكتاب في غيبته لا بد أن يتبادلوا في كل قرن إذ لم يقدر لهم من العمر ما قدر لسيدهم الكتاب، ففي كل عصر يوجد ثلاثون مؤمنا ولها يتشرفون بلقائه.

” السادس: ما ذكره المحقق الكاظمي في أقسام الإجماع من مؤيدات ونقولات لتصحيف بعض الإجماعات وكونها عن طريق التشرف وأنه غير ممتنع:

منها ما سمعه منه علي بن طاووس في السردار الشريفي (١٥).

ومنها ما علم محمد بن علي العلوى الحسيني المصرى في الحائر الحسيني وهو بين النوم واليقظة من الدعاء المعروف بالعلوى المصرى وغير ذلك.

ومنها ما قاله السيد المرتضى في كتاب تنزيه الأنبياء في جواب من قال: ” فإذا كان الإمام الكتاب غائبا بحيث لا يصل إليه أحد من الخلق ولا ينتفع به، فما الفرق بين وجوده وعدمه... قلنا الجواب أول ما نقوله: إنما غير قاطعين على أن الإمام لا يصل إليه أحد، ولا يلقاء بشر، فهذا أمر غير معلوم، ولا سبيل إلى القطع عليه... (١٦)

وقال أيضا في جواب آخر: إنه غير ممتنع أن يكون الإمام يظهر لبعض أوليائه ممن لا يخشى من جهته شيئا من أسباب الخوف، وإن هذا مما لا يمكن القطع على ارتفاعه وامتناعه، وإنما يعلم كل واحد من شيعته حال نفسه، ولا سبيل له إلى العلم بحال غيره وله في كتاب المقنع في الغيبة كلام يقرب مما ذكره هناك.

ومنها ما قاله الشيخ الطوسي رضوان الله عليه في كتاب الغيبة في الجواب عن هذا السؤال بعد كلام له : والذى ينبغي أن يجاب عن هذا السؤال الذى ذكرناه عن المخالف أن نقول : إنما أولاً لانقطع على استثاره عن جميع أوليائه بل يجوز أن يبرز لأكثرهم ولا يعلم كل إنسان إلا حال نفسه، فإن كان ظاهراً له فعلته مزاحمة، وإن لم يكن ظاهراً علم أنه إنما لم يظهر له لأمر يرجع إليه، وإن لم يعلمه مفصلاً لتقصير من جهته ... ”^(١٧)

”السابع: أن يكون المخفى على الأنام، والمحجوب عنهم، مكانه ^{الغيبة} ومستقره الذي يقيم فيه، فلا يصل إليه أحد، ولا يعرفه غيره حتى ولده، فلا ينافي لقاءه ومشاهدته في الأماكن والمقامات التي قد مر ذكر بعضها، وظهوره عند المضرط المستغيث به، الملتجئ إليه التي انقطعت عنه الأسباب وأغلقت دونه الأبواب.

ومما يؤيد هذا الاحتمال: ما رواه الشيخ والعماني في كتابي الغيبة عن المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله ^{الثقلية} يقول : إن لصاحب هذا الأمر غيتين إحداهما يطول، حتى يقول بعضهم مات، ويقول بعضهم قتل، ويقول بعضهم ذهب حتى لا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من ولده، ولا غيره إلا الذي [يليه] [أمره].

وما روى الكليني عن إسحاق بن عمار قال أبو عبد الله ^{الثقلية}: للقائم غيتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة : الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه^(١٨). وليس

في تلك القصص ما يدل على أن أحداً لقيه الله في مقر سلطنته ومحل إقامته. ثم لا يخفى على الجائس في خلال ديار الأخبار أنه الله ظهر في الغيبة الصغرى لغير خاصته ومواليه أيضاً، فالذى انفرد به الخواص في الصغرى هو العلم بمستقره، وعرض حوائجهم الله فيه، فهو المنفي عنهم في الكبرى، فحالهم وحال غيرهم فيها كغير الخواص في الصغرى، والله "العالم"

انتهى ما أردنا نقله،
نقلناه بتمامه لما فيه من الشواهد القيمة والمعنىة عن الإطاب، ولا يخفى أن المجلسي قدّر لو سلم بظهور التوقيع الشريف وصحته، لما احتاج لصرف الجهد في تبع الأقوال، مع كون أكثرها شواهد ومؤيدات لا ترقى للدلالة، إلا بضم بعضها البعض.

الرابع:

ما عن بعض الفضلاء المعاصرين، جمعاً بين امتناع مشاهدته الله ولو فرضت وما تواتر عن التشرف بمحضره: أن غيبته الله غيبة هوية لا غيبة

شخصية، فمن الممكن أن يرى ويشاهد لكن لا عن تشخيص^(١٩).
والإشكال على هذا الوجه ظاهر؛ فإن مما تواتر نقله عن غير طريق
صحيح مشاهدته ومعرفته بشخصه^(٢٠) نعرض لها إن شاء الله، رغم أن
المشهور بين عامة الناس عدم إمكان معرفته كما هو ظاهر بعض الأخبار
مثل ما رواه الصدوق رضوان الله عليه في كتابه كمال الدين وتمام النعمة
عن ابن أبي عمر رَجُلَ اللَّهِ^(٢١)، فضلاً عما تقدم من أن ظهور النص في نفي
النيابة الخاصة عصر الغيبة الكبرى على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى
السلام، أقوى. إلا أن يدعى أن التشرف بمحضره في جميع ما ينقل ونقل،
ليس بنحو الجزم بكون من شوهد هو شخص الإمام الْكَلِيلُ^(٢٢)، إلا أنها دعوى
خالية من البرهان والشواهد، ولعل القائل لا يريد نفي إمكان رؤيته
ومعرفته، إلا أن المقام لم يصلح أولم يسمح له - حفظه الله - بيان التفصيل.
وأما احتمال أن "يكون المراد به رد من يدعى رؤية الإمام قائم آل
محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف في أيام الغيبة بهدف تضليل الناس
واستغلال طهارتهم، فأوصدوا بِالْكَلِيلِ هذا الباب الذي قد يحاول الطامحون
أو المستغلون النفاذ منه إلى عقول الناس الأمر الذي تترتب عليه سلبيات
كثيرة وخطيرة فيما يرتبط بسلامة المسيرة الإيمانية"^(٢٣) فإنه يحتاج لدليل
آخر غير ما تضمنه التوقيع، ولا يمكن حمل مضمونه على هذا التقريب،
ولا طريق للجزم بهذا الاحتمال بعد تواتر الأخبار واليقين بتحقق اللقاء معه
الْكَلِيلُ زمان الغيبة الكبرى، مع معرفته بشخصه أو مع عدمها.
نعم يأتي في محله التعرض لحل مشكلة كثرة مدعى السفاراة عنه

التعليمة وكثرة مدعى المشاهدة، دون أن يلزم منها الإعراض عن مضمون الرواية على الوجه المختار من ظهورها في نفي دعوى السفاراة على النحو الخاص منها، فانتظر.

هذا كله في الحديث الأول طريقاً ودلالة اختصرنا مطالبـه ليتناسب والمقام، وقد اتضـح صحة سـنده، وسلامـة مـنته دـلالـته، والله العـالـم.

* * *

الهوامش

- (١) راجع بحار الأنوار ج ٥٣ / ص ١٩٩، حيث ذكر ٥٣ قصة - منها المتواتر - تمـها مؤلف كتاب (جنة المأوى) للعلامة الميرزا حسين التوري عليه السلام، بل لا يـعد القول بتواتر كـثير من أخـبار المشـاهـدة.
- (٢) الأنوار الـلامـعة في شـرح الـزيـارة الجـامـعـة: ص ٣٥ / مـطبـعة أمـير / ط ١.
- (٣) جـد آـيـة اللهـ السـيدـ محمدـ عـلـىـ الأـبـطـحـيـ عليـهـ السـلامـ.
- (٤) أيـ: لا تـوصـ إلىـ أحدـ يـقـومـ مقـامـكـ فقدـ لـأنـهـ وـقـعـتـ الغـيـبةـ الثـانـيـةـ الـكـبـرىـ.
- (٥) وـهـوـ المـانـعـ منـ الـاطـلاقـ، بلـ نـصـ فيـ المـرادـ.
- (٦) هـذـاـ المـثالـ يـصـلـحـ لـلـخـاصـ المـرادـ منـ لـفـظـ الـعـامـ فـقـطـ.
- (٧) سـورـةـ الـبـقـرةـ - ١٣٦ـ. فالـسـيـاقـ دـالـ علىـ أـنـ الـظـهـورـ وـحتـىـ الـقـدـرـ الـمـتـيقـنـ - فيـهـاـ هوـ خـصـوصـ الـأـنـبـيـاءـ عليـهـ السـلامـ.
- (٨) يـأتـيـ ذـكـرـ بـعـضـهـاـ فيـ ضـمـنـ كـلـامـ الـعـلـامـ الـمـجـلـسـيـ رحمـهـ اللـهـ.
- (٩) مـكـيـالـ الـمـكـارـمـ: جـ ٢ـ . ٣٣٥ـ.
- (١٠) حـيـةـ الـإـمـامـ الـمـهـديـ عليـهـ السـلامـ. ١٣٠ـ.

- (١١) الغيبة: ٩٩.
- (١٢) راجع في ذلك: بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٧٢ "باب نادر فيمن رآه الله".
- (١٣) ذكرها المجلسي رحمه الله في باب ما خرج من توقيعاته الله راجع ص ١٧٤ - ١٧٨ من المجلد ٥٣.
- (١٤) الكافي - ج ١ ص ٣٤٠، غيبة النعماني ص ٩٩، غيبة الشيخ ص ١١١، وقد ذكره المجلسي - رضوان الله عليه - في ج ٥٢ ص ١٥٣ و ١٥٧، وقال : يدل على كونه الله غالبا في المدينة وحاليا وعلى أن معه ثلاثين من مواليه وخواصه، إن مات أحدهم قام آخر مقامه.
- (١٥) البحار: ٥٣ / ٣٠٢ - ٣٠٦.
- (١٦) تنزية الأنبياء: ٢٣٥ - ط ٢ / دار الأضواء.
- (١٧) الغيبة للشيخ الطوسي رحمه الله ص ٧٥.
- (١٨) الكافي ج ١ ص ٣٤٠، غيبة النعماني ص ٨٩.
- (١٩) الغيبة الصغرى والسفراء الأربع - الشيخ فاضل المالكي ص ٦١.
- (٢٠) منها ما رواه الشيخ الطوسي في الغيبة (ص ٢٥٣) عن أحمد بن علي الرازي وما رواه النعماني ظاهر كذلك في كون شخصه الله بينما غير أن هويته خافية علينا (غيبة النعماني : ٨٤ و ٨٥ باب ان في القائم سنة من الأنبياء) بإسناده، عن سدير.
- (٢١) في كتابه كمال الدين وتمام النعمة في آخر الباب الرابع والثلاثين (ج ٣٦٨/٢) عن أبي أحمد بن زياد الأزدي، وهو ابن أبي عمير رحمه الله.
- (٢٢) خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام للسيد جعفر متضي: ج ٢ - ص ٢٠٣ الهاشم ٢.

مقدّمات لعلم الفقه

حسن عبد الله أحمد القصاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ
وَالْمَرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
أَجْمَعِيْنَ مِنِ الْآنَ حَتَّى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.

نشوء الحاجة إلى هذا المطلب:

إنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَبْدُأ دراستَهُ لِمَادَةِ الْفِقَهِ، وَقَدْ تَغْيِيبُ عَنْهُ بَعْضُ الْمَسَائِلِ
الْمُتَعْلِقَةِ بِالْعِلْمِ نَفْسَهُ، إِمَّا لِعدَمِ وُجُودِهَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَدْرُسُ مِنْهُ، أَوْ
لِعدَمِ التَّطْرُقِ إِلَيْهَا مِنْ قَبْلِ الأَسْتَاذِ، وَهِيَ مَسَائِلٌ يَحْتَاجُ إِلَى فَهْمِهَا الطَّالِبُ
فِي بِدَائِيَّةِ مَرْحَلَةِ دراستِهِ الْحَوزَوِيَّةِ. وَمِنْ هَنَا أَحَبَّيْتُ أَنْ أَجْمَعَ بَعْضَ النَّاقَاطِ
الْمُهِمَّةَ حَوْلَ الْعِلْمِ مِنْ بَعْضِ الْكِتَابِ الْفَقِيْهِيِّ، وَأَقْدَمُهَا بَيْنَ يَدِيِ الطَّالِبِ
سَائِلًا الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا وَأَنْ يَنْتَفَعَ بِهَا الطَّالِبُ.

ما هو المقصود من الفقه؟

يُعرَفُ الْلَّغَوِيُّونَ الْفِقَهَ بِالْفَهْمِ وَالْفَطْنَةِ^(١)، فَتَقُولُ : فِيقُ الْعِلْمِ أَيْ فَهْمُهِ .
وَقَدْ إِسْتَعْمَلَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِيهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٢).

وَوُرِدَتْ فِي آيَةِ أُخْرَى بِمَعْنَى التَّبَصُّرِ بِأَمْرِ الدِّينِ (وَهِيَ أَعْمَّ مِنْ
الْعِلْمِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

طَائِفَةٌ لَيَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمًهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿٣﴾.

هذا ما ورد في اللغة، أما عنده اصطلاح الفقهاء فقد عرفوه بـ "العلم بالمسائل العملية أو الأحكام الشرعية الخمسة"، ويقصد من الأحكام الشرعية الخمسة : الواجب، المستحب، المباح، المكروه، الحرام .

● **الواجب** : ما يلزم على المكلف الإتيان به، وتركه يعد معصية ويستحق العقاب على تركه .

● **المستحب** : ما يكون فعله راجحاً ومرغوباً فيه، فإذا أتى به نال الثواب وإذا تركه لم يستحق العقاب .

● **المباح** : ما يكون متساويا في فعله وتركه .
المكروه : ما يكون تركه راجحاً ومرغوباً فيه، وفعله ليس بمعصية .

● **الحرام** : ما يكون فعله معصية، ويجب الاجتناب عنه .

ما هو موضوع علم الفقه ؟

إنّ موضوع علم الفقه هو أعمال المكلف .

ما هي غاية علم الفقه ؟

غاية علم الفقه هي معرفة التكليف الإلهي وتطبيقه لينال المكلف السعادة الدنيوية والأخروية .

ما هو المقصود من التكليف ؟

في اللغة : كلفه تكليفاً أي أمره بما يشق عليه، وأما في الاصطلاح الفقهي فهو : الإلزام بأحكام الله تبارك وتعالى، والمراد به إلزام المسلم  **الخط الثالث** دسالة القلم ٢٠٠

البالغ العاقل المقتدر بالأحكام الشرعية^(٤).

ما هي شروط التكليف ؟

لدينا شروط عامة وهي : التي يلزم وجودها في كل إنسان حتى يصبح منه امثال الحكم الشرعي الموجه إليه بالخطاب الشرعي، وهي تعم جميع الأحكام ولهذا سميت بالشروط العامة، وأما الشروط الخاصة فهي : التي تختص بتكليف معين مضافاً إلى الشروط العامة، ومثال ذلك : الاستطاعة في الحج، وبلغ النصاب في الركأة، وعدم السفر لوجوب الصوم ... وغيرها .

نبّن الشروط العامة المهمة التي ورد ذكرها في التعريف وهي :
البلوغ، العقل، القدرة .

● **البلوغ** : الدخول في سن التكليف - أي انتهاء حد الصغر والوصول إلى بدء التكليف^(٥).

وتعرف عند الطرفين - الذكر والأئمّة - بظهور أumarات تدل عليها وهي :

إنزال المني عند الذكر، سواء كان الإنزال في يقظة أو منام
بجماع أو غيره.

ظهور الشعر المخشن على العانة (وهي من السرّة إلى العورة).
إكمال تسع سنين قمرية عند الفتاة وخمسة عشر سنة قمرية
عند الصبي.

● **العقل** : ويقصد به أن يكون لديه من الرشد ما يمكن أن يعي به

كونه مكلفاً وبحس بالمسؤولية تجاه ذلك، فلا تكليف للمجنون أو الأبله الذي لا يدرك الواضحات لبلاته وقصور عقله^(٧).

● القدرة : وهي القوة سواء كانت بدنية أو مالية أو غيرهما، التي يقتدر بها الإنسان على امتحان التكليف.

ما هي الغاية من التكليف ؟

وتجدر الإشارة إلى أن تكليف الإنسان من قبل الله سبحانه بمجموعة من الأحكام - واجبات ومحرمات - ليس الغرض منه إرهاق الإنسان وتحميشه المشاق، بل إن التكليف في روحه عبارة عن تشريف من الله سبحانه وتعالى للإنسان وتكرير له، وسوق له نحو الكمال في الدنيا والآخرة، وحل لما يتعرض طريقه في الحياة من مشكلات مختلفة ؛ نظير أمر الأستاذ طلابه بحل مسألة علمية، فهو لا يريد أن يثقل كاهله بمثل هذه التكاليف، وإنما الغرض هو إيصال الطلاب إلى درجة الكمال العلمي، وكذا الحال بالنسبة إلى التكليف الشرعي ؛ فإنه يرمز إلى ما يميز الله به الإنسان من عقل وقدرة على بناء نفسه والتحكم في غرائزه، وقابلية لتحمل المسؤولية خلافاً لغيره من أصناف الحيوانات ومختلف كائنات الأرض، فإن أدى الإنسان حق هذا التشريف وأطاع وامتثل شرفه الله تعالى بعد ذلك بعظيم ثوابه وبملك لا يبلى، ونعم لا يفنى، وإن قصر في ذلك وعصى كان جديراً بعقاب الله سبحانه وسخطه ؛ لأنه ظلم نفسه وجهل حق ربه، ولم يقم بواجب الأمانة التي شرفه الله بها، وميزه عن سائر مخلوقات الأرض، قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيْنَ أَن

يَحْمِلُهَا وَأَشْفَقُنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُوًّا ﴿٧﴾

ما هي الطرق لأداء التكاليف؟

إن كل مكلف يعلم بوجود عدة تكاليف إلزامية (أوامر ونواهي) في الشريعة، وهو مسؤول عنها يوم القيمة، فيحكم عقله بلزموم امتثال كل ما يريده المولى سبحانه وتعالى من عباده، ولابد له من أن يتيقن بالفراغ مما في عهده من ذلك، وأنه قد أطاع ربه في أمره واتقاءه في نهيه، ولا وسيلة لتحصيل هذا اليقين إلا إذا كان المكلف في جميع أفعاله وتروكه مجتهداً في أحكام الشريعة، أو مقلداً لمن هو أهل للتقليد والاقتداء به، أو محاطاً على أن يستند في احتياطه إلى عمله هو واجتهاده أو إلى تقليد مجتهد معين.

ولا وزن لعمل عامل غير مجتهد في أحكام الله تعالى ولا محاط فيها ولا مقتد بمجتهد عادل، فإنه مع تركه لهذه الطرق الثلاثة لا يتيقن بفراغ ذمته أمام الله سبحانه، حتى ولو كان العامل جاهلاً بوجوب التقليد أو تستثنى بعض الحالات النادرة حيث يحكم فيها بالصحة.

وسنوضح هذه الطرق الثلاثة بتفصيل أكثر:

الطريق الأول : الاجتهاد

وهو القدرة العلمية على استخراج الحكم الشرعي من دليله المقرر له. ومن الواضح أن مصدر التشريع هو الكتاب الكريم والسنة المطهرة، إلا أن جملة كبيرة من هذه الأحكام لم تبين ضمن صيغ واضحة وصريرة، وإنما وردت متثورة في المجموع الكلي للكتاب والسنة بحيث صار

استنباطها يتوقف على بذل جهد علمي، ويزداد هذا الجهد العلمي ضرورة كلما ابتعدنا عن زمن صدور النص، وذلك لعدة أسباب :

- ١- ضياع مجموعة من الأحاديث .
- ٢- تغير أساليب التعبير وتطور اللغة .
- ٣- تعرّض الأحاديث إلى الدسّ والافتراء والتحريف .
- ٤- تطور الحياة وبروز حوادث و موضوعات جديدة لم يرد فيها نص خاص.

وهذا ما جعل التعرف على الحكم الشرعي في كثير من الحالات عملاً علمياً معدداً وبحاجة إلى بحث وعنه كثرين، وإن لم يكن كذلك في بعض الحالات القليلة التي يكون فيها الحكم الشرعي واضحاً كل الوضوح .

وبما أن الاجتهد قضية ضرورية ولازمة في الشريعة الإسلامية، فقد فُتح باب الاجتهد والبحث الفقهي في مذهب أهل البيت عليه السلام لكل قادر عليه ولا يزال مفتوحاً إلى الآن، مما أكسب هذا المذهب عمقاً وثراءً علمياً، حيث تتلاقح الأفكار والنظريات .

ومع الأسف الشديد برزت في التاريخ الإسلامي بعض المواقف غير السليمة وغير المبررة – من الناحية الشرعية – تبريراً مقنعاً أدت إلى غلق باب الاجتهد وحصره في المذاهب الأربع المعروفة : الحنفي والشافعى والحنفى والمالكى، وتباطأ حركة البحث الفقهي أو توقفت في إطار هذه المذاهب . إلا أن الغيارى من أهل السنة أخيراً أخذوا يطالبون وينادون

بفتح باب الاجتهاد، قال أحدهم : (إن القول بحرمة الاجتهاد وإغفال بابه جملة وتفصيلاً لا يتفق مع الشريعة نصاً وروحًا، وإنما المقوله الصحيحة هي إباحته، بل وجوبه على من توفرت فيه شروطه، لأن الأمة في حاجة إلى معرفة الأحكام الشرعية فيما جدّ من أحداث لم تقع في العصور القديمة)^(٨).

وهذا الكلام متين جداً وإن كان التعليل المذكور لا يمثل إلا جانباً واحداً من جوانب الحاجة إلى الاجتهاد، فإن الاجتهاد مبدأ مستمر باستمرار الشريعة وما دام هناك مكلف وتکليف في مختلف العصور والظروف، مضافاً إلى أنبقاء الشريعة وإحياء أمرها يتوقف على الاجتهاد، وإن فسوف لا يبقى من الإسلام والفقه إلا الاسم وبعض الأحكام التي يتداولها العامة من دون دليل والتي تحول بالتدريج إلى تقاليد اجتماعية موروثة لا روح فيها .

الطريق الثاني : الاحتياط

وهو أن يأتي المكلف بكل شيء يحتمل فيه الأمر بالوجوب ولا يتحمل تحريمـه على الإطلاق، وأن يترك كل شيء يحتمل فيه النهي والتحريم ولا يحتمل فيه الوجوب بحال .

ويشترط في العمل بالاحتياط العلم بموارده، وربما يتذرع في بعض الحالات، ولهذا فإن الاحتياط ليس ميسوراً لأغلب الناس .

الطريق الثالث : التقليد

إن التقليد هو الطريق المتيسر عادة لجل الناس، فقد اعتاد الناس في

كل مجال على الرجوع إلى ذوي الاختصاص والخبرة بذلك المجال، والتقليد واجب على كل مكلف لا يمكن من الاجتهاد . ويتحقق بمجرد العمل أو بمجرد الجزم والعزم على العمل بقول مجتهد معين ، فأحد هذين كافٍ في صحة التقليد .

٦- في ماذا يجب التقليد ؟

لا تقليد في البديهيات الدينية وال المسلمات الواضحة كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا والربا و كالمسائل القطعية التي يمكن العلم بها بلا جهد و درس ، كبعض الواجبات وكثير من المستحبات وأكثر المباحثات التي يعرف حكمها الكثير من الناس الذين يعيشون في البيئات الدينية ، ومنها (على سبيل المثال) أكل الرمان ، استحباب الأذكار و الدعوات ، فإن هذا النوع من الأحكام لا اجتهاد فيها ولا تقليد ولا احتياط ، فإن حكم العقل بلزوم أحد هذه الطرق إنما هو بالنسبة للحكم غير المعلوم .

هل يجوز التقليد في الموضوعات أم في الأحكام ؟

لا تقليد في الموضوعات ، بل التقليد في الأحكام فقط ، الموضوعات من قبيل أن هذا المائع السائل هل هو خمر أم خلّ؟ فقد يجهل المرجع أنه خمر ولكنه يعطيك الحكم ، فإن كان خمراً قال بحرمته وإن كان خلاً قال بحليته .

(والموضوعات تنقسم إلى قسمين : موضوعات صرفة كتشخيص أن هذا المائع خمر مثلاً : وهذا بيد المكلف ، هو يشخص ويأخذ الحكم من الفقيه ، و موضوعات مستنبطة : وهي التي يعود تشخيصها إلى صلاحية

المجتهد، كتشخيص أن الغناء هو الصوت اللهوي لا كل صوت اشتمل على ترجيع من غير لهو .

والموضوعات المستنبطة على نوعين، الأول : هو الثابت بحيث لا يتغير باختلاف الزمان والمكان، ومثاله الغناء، والثاني : هو المتغير بحيث يتأثر بالظروف المحيطة، وبما أن الأحكام تتغير بتغيير المواضيع، وتدور مدارها فمن هنا كان تشخيص الموضوعات المستنبطة المتغيرة له دخل في الاجتهاد^(٤).

هل يجوز التقليد في أصول الدين ؟

المقصود من أصول الدين هي المسائل الاعتقادية، مثل : الإيمان بالله ورسوله والأئمة من بعده والمعاد، هناك أيضا فروع الدين (وهي التي يجب التقليد فيها) وهي عشرة فروع :

- | | | | |
|--------------------|----------------------|-------------|-------------|
| ١- الصلاة. | ٢- الصوم. | ٣- الزكاة. | ٤- الخمس. |
| ٥- الحج. | ٦- الجهاد. | ٧- الولاية. | ٨- البراءة. |
| ٩- الأمر بالمعروف. | ١٠- النهي عن المنكر. | | |

فلا بد لكل إنسان أن يبذل جهداً مباشراً في البحث عنها واكتشاف حقائقها^(١٠)، والنصوص الشريفة نهت عن التقليد في العقائد، فقد عنّف القرآن الكريم أولئك الذين يعتمدون في اعتقاداتهم على تقليد الآخرين تقليداً أعمى بداعي التعصب وبدافع الكسل عن البحث والهروب من تحمل المسؤولية، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءُنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا

يَهْتَدُونَ ﴿١١﴾ .

والاجتهاد في أصول الدين ليس بالتكليف الصعب، بل أمر متيسر لأغلب الناس، وذلك : لأن العقائد الأساسية محدودة عدداً، ولكونها منسجمة مع الفطرة .

ولو واجهت الإنسان أحياناً صعوبات في هذا السبيل ، فإنه جدير ببذل الجهد لتذليل تلك الصعوبات ؛ لأن عقيدة الإنسان هي أهم شيء لديه .

رجوع الجاهل إلى العالم .

إن التقليد ومراجعة ذوي الخبرة والأشخاصين في الأحكام الفرعية، سنت من سنن الحياة التي تشمل جميع المجالات، ففي المجال الصحي نرى كثيراً من أساليب الوقاية والعلاج لا يعرفها الإنسان العادي غير المتخصص إلا بالرجوع إلى الطبيب الذي لم يعرفها إلا بعد البحث وبذل الجهد في تحصيلها . وقد جرى الإسلام على ذلك فوضع مبدأي الاجتهاد والتقليد، فالاجتهاد هو التخصص في علوم الشريعة والتقليد هو الاعتماد على قول الأشخاصين وخبرتهم، وليس ذلك من التقليد الأعمى، بل هو من تقليد الوعي .

وأصل مشروعية التقليد ليس أمراً يثبت بالتقليد، فالواجب على كل مكلف لم يقدر على الاجتهاد، أن يفتش عن فقيه يقطع بأن قوله حجة بينه وبين الله، ولكي يتيقن من امتثال التكاليف الموجهة إليه.

ولا يجوز التساهل في هذا الأمر والتقليد من غير فحص ولا بصيرة استرسالاً مع الوضع الموروث أو مجاراة لبني قومه، فإن المسلم لأجل شأنه

من أن يكون كذلك، ولابد له من أن يهتم بأمر دينه قبل أي شيء آخر .
ومن هذا المنطلق يلزم في المرجع أن يكون واحداً لمواصفات معينة حتى
يصح تقليده وأخذ الأحكام منه.

أصل مشروعية التقليد ليس أمراً يثبت
بالتقليد، فالواجب على كل مكلف لم يقدر
على الاجتهاد، أن يفتش عن فقيه يقطع بأن
قوله حجة بينه وبين الله .

ما هي شروط مرجع التقليد ؟

إن المرجعية في الفتوى مذهب إلهي مقدس وخطير جداً، وهذا الأمر واضح ومرتكز في أذهان المؤمنين والمتشرعة ومن هنا اعتبرت بعض الشروط في من يُرجع إليه في الفتوى:

١- الاجتهاد .

٢- البلوغ .

٣- العقل .

٤- الذكورة .

٥- طيب الولادة .

٦- الإيمان بإمامية الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام .

٧- العدالة .

- ٨- الحياة : أي يجب في سائر الأحوال أن يبدأ التقليد بالعمل أو الالتزام بقول الحي دون الميت، فإن النصوص الدالة على مشروعية التقليد ظاهرة في الفقيه الحي لا الميت كقوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فُرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَتَفَهَّمُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢). واشتراط الحياة في مرجع التقليد يجعل الرابطة بين المرجع الديني رابطة حية متتجدد باستمرار .
- ٩- الأعلمية : المقصود منه : الأقدر على استنباط الأحكام الشرعية من المدارك المقررة. وإذا تعدد المجتهدون الذين توفر فيهم الشروط السابقة وعلم المقلد بأنهم مختلفون في آرائهم فيجب عليه أن يقلد الأعلم من المجتهدين في هذه الحالة.
- ١٠- معرفة أمور الزمان والمكان، والاهتمام بأمور المسلمين:
- وهذا الشرط أوضحه وكشف عنه الإمام الخميني ت قائلًا: يجب على المجتهد أن يكون ملماً بأمور زمانه، ليس مقبولاً للناس والشباب أن يقول مرجعهم ومقلدهم أنا لا أعطي رأياً في المسائل السياسية (١٣).

ما هي الطرق لمعرفة المجتهد والأعلم؟

- لدينا ثلاث طرق لمعرفة الأمرين (أي الاجتهد والأعلمية)، يكفي تتحقق طريق واحد منهم :
- الأول : شهادة عدلين من المجتهدين الأكفاء أو الأفضل القادرين على التقييم العلمي.
- الثاني : الخبرة والممارسة الشخصية من المقلد إذا كان له من الفضل

والعلم ما يتيح له ذلك وإن لم يكن مجتهداً.

الثالث : كل سبب يؤدي إلى يقين المقلد وإيمانه بأن فلاناً أعلم، فإن ذلك يحتم عليه أن يقلده دون سواه، ومن ذلك الشياع بين أهل العلم والفضل، أو الشياع في صفوف الأمة إذا أدى إلى يقين المقلد بأن من شاع أنه أعلم هو الأعلم حقاً.

ويجب على المقلد الفحص والبحث عن الأعلم في كل مظنة وسبيل ممكн، وأيضاً يجب على المكلف أن يحتاط في أعماله مدة البحث والفحص .

ما هي طرقأخذ الفتوى ؟

يستطيع المقلد أن يتعرف على فتوى مقلّده بإحدى الوسائل التالية :

أولاًً : أن يسمع منه مباشرة .

ثانياً : أن ينقل الفتوى إليه شاهدان عادلان (المسمة بالبينة) .

ثالثاً: أن يخبره بها شخص واحد عادل أو ثقة يعرفه بصدق اللهجة والتحرّج عن الكذب حتى لو لم يكن عادلاً ولملزماً دينياً في كل سلوكه .

رابعاً: أن يجد الفتوى في كتاب ألفه المرجع أو أقرّه، كالرسالة

العلمية الصادرة منه^(١٤).

والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خير خلق الله أجمعين
محمد وعلى آله الغرّ الميامين وأصحابه المنتجبين.

* * *

لـ ١٤٥

- (١) المعجم الفقهي / المصطلحات ((الفقه)).
 - (٢) سورة الأعراف: ١٧٩.
 - (٣) سورة التوبة: ١٢٢.
 - (٤) المعجم الفقهي / معجم ألفاظ الفقه الجعفري (التكليف).
 - (٥) المصدر السابق / (البلوغ).
 - (٦) الفتاوى الواضحة / الشهيد السيد محمد باقر الصدر قيدئل. / شروط التكليف ص ١٣٧.
 - (٧) سورة الأحزاب: ٧٢.
 - (٨) الموسوعة الفقهية الكويتية، نقلًا عن مجلة فقه أهل البيت ٢٣.
 - (٩) أوجية الاستفتاءات للإمام القائد الخامنئي (دام ظله): ج ١ كتاب التقليد - الطرق الثلاثة - مسألة ٥.
 - (١٠) فكل شخص يكتفي بحسب حاله وقابليته العلمية، سواء كان من أهل الاختصاص أو لا.
 - (١١) سورة المائدة: ١٠٤.
 - (١٢) سورة التوبة: ١٢٢.
 - (١٣) سبيل المعرفة للشيخ خليل رزق ص ٢٠٠.
 - (١٤) المصدر الأساسي للبحث : محلة فقه أهل البيت العدد ٢٣، ٢٣٣، وأكثره مقتبس من كتاب (الفتاوى الواضحة) للسيد الشهيد محمد باقر الصدر قيدئل.

فِي دُنَاءِ شَهِيدِ الْمُحَارَبِ

السيّد محمد باقر الحكيم رَجُلَ اللَّهِ

عليٰ عبدُ الْحَسِينِ الْبَنْيَ

لقد أصيَّبَ الإِسْلَامُ بِشَكَلٍ عَامٍ وَالشِّعْيَةُ بِشَكَلٍ خَاصٍ بِفَاجِعَةِ
استشهاد آية الله السيد محمد باقر الحكيم الذي استهدف بعملية
اغتيال أثناء خروجه من حرم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بعد صلاة الجمعة في الأول من رجب لعام ١٤٢٤هـ الموافق
٢٩/٨/٢٠٠٣م.

وَهَا هِيَ الذَّكْرَى الثَّانِيَةُ لِاستشهادِ هَذَا السَّيِّدِ الْجَلِيلِ تَطْلُّ عَلَيْنَا...
وَلِمَا لَهُ مِنْ مَكَانَةٍ عَلْمِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ فِي الْأَوْسَاطِ الشِّعْيَةِ فَإِنِّي أَحَبِّتُ
أَنْ أَخْلُدَ ذَكْرَى هَذَا السَّيِّدِ بِهَذِهِ الْقُصْبِيَّةِ مِنْ بَابِ «لَا نَسْتَحِي مِنْ
إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ فَالْحِرْمَانُ أَقْلُ مِنْهُ» لَأَنَّ قَلْمَيْنِي لَا يَمْكُنُ لَهُ أَنْ
يُوْفِيَ حَقَّ إِنْسَانٍ مُؤْمِنٍ فَضْلًا عَنِ عَالَمٍ مِنْ عُلَمَاءِ الطَّائِفَةِ...
فَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَلَدٌ وَيَوْمٌ اسْتَشْهَدَ وَيَوْمٌ يَبْعَثُ حَيَا...

لي حزن يعقوب منه القلب قد تلفا
لسيد دمه قد صار منذرفا

يا ما أجل خطاباً جاء من فمه
يدعوا إلى المرجع الأعلى وما انحرفا

وقالها صرخة إن العراق غدى
لنفسه حافظ أكرم بذا وكفى

ولا أغالي بمدحى للحكيم ولـ
كن ها هو المصطفى للباقي اعترفا

فأسأل جماعته واسأله منابره
فعلمه كم ضلال ثوبه كشفا

وكم تصدى لحرب البعث من صغر
كأنه أسد في وجههم وقفوا

وطحه من أبي الأحرار يرسمه
خط الشهادة عنه قط ما انصرفا

لا يقبل العيش في ذلّ وفي ضعة
ونهجه غير درب العز ما عرفنا

فالها رتبة في خير منزلة
سمت بروح له فأهدي الغرفا

كانت له بالحسين علقة كبرت
مجدًا تَبُوء منها للعلا شرفا
وجسمه بجديث الأرض مختلطُ
مثل الحسين غدى الترب له سجفا
وغادر اليوم من أرض العراق أبُ
كان الحنون وعنا اليوم قد خطفا
فهمت الناس في تشيع جشه
والقلب ذاب ودمع العين قد ذرفها
فلتها رتبة أكرم بها وكفى
وذاك فضل لما قدّمه سلفا

* * *

سلام عليه يوم ولد ويوم استشهد
ويوم يبعث حيا